

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen Algérie



جامعة أبي بكر بلقايد

تلمسان الجزائر

جامعة تلمسان

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة والأدب العربي

ملاحج التجديد في المنهج الإصلاحى عند الشيخ البشير الإبراهيمى - دراسة وصفية تحليلية -

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في الدراسات الأدبية والحضارة
الإسلامية

إشراف الأستاذ الدكتور:

محمد عباس

إعداد الطالبة:

فاطمة الزهراء تابتي

لجنة المناقشة

رئيسا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالى	أ.د/ عبد العالى بهير
مشرفا و مقورا	جامعة تلمسان	أستاذ التعليم العالى	أ.د/ محمد عباس
عضوا مناقشا	جامعة تلمسان	أستاذ محاضر "أ"	د/ محمد ملياني
عضوا مناقشا	المركز الجامعي مغنية	أستاذة محاضرة "أ"	د/ وهيبة وهيبج
عضوا مناقشا	المركز الجامعي عين تموشنت	أستاذ محاضر "أ"	د/ جلال مصطفاوي

السنة الجامعية: 1439-1440هـ/2018-2019م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

1420 هـ

﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾

سورة الإسراء الآية 85

الإهداء

الإهداء

قال الله تعالى : ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾

سورة التوبة الآية 105

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة .. ونصح الأمة .. إلى نبي الرحمة ونور العالمين
سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ..

إلى أبي وأمي حفظهما والله ورعاهما وأدامهما بكل خير ..
إلى تلك الروضة الغالية ..

إلى إخوتي وأهلي وأصدقائي ..

إلى الذين مهدوا لنا دروب العلم والمعرفة ..

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي ..

شكر و تقدير

شكر وتقدير

أحمد الله تعالى أولاً وأخيراً على نعمه التي من بها علينا فهو العليُّ القدير .. فالحمد والشكر لله الذي وفقني لإنجاز هذا العمل المتواضع ..

كما أتقدم بخالص عبارات الشكر والتقدير لأستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمد عباس، الذي كان له فضل بتوجيهاته وإرشاداته وتصويباته، فله مني كل الشكر والتقدير ..

والشكر لكل أساتذتي الأفاضل من بداية مشواري العلمي إلى الآن .. ولكل من أفادني في عملي هذا من قريب أو بعيد ..

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، إلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين،
ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد،

فقد شهد الوطن العربي في أوائل القرن العشرين، انبعاث حركات إصلاحية تجديدية، رفعها مفكرون
ومصلحون، تبنا فعل التجديد والإصلاح بوصفه وسيلة ضرورية من أجل التصحيح للمفاهيمي المعتقد الديني
والفكري في مناحي الحياة.

وقد استطاعت هذه الحركات الإصلاحية أن ترمم جسد الأمة العربية، وتتقدم به خطوات إلى الأمام، بعد أن
بدأت فيه عوامل الضعف، وتتابع عليه النكبات والخطوب، وكان مصدرها الاستعمار، حتى بدا هزاله، وزاد
ضعفه، ثم ما لبثت أن انتقلت فكرة الإصلاح إلى بلاد الجزائر لترسم معالمها بوضوح، متأثرة بالفكر الإصلاحي
العام الذي ساد في الأمة العربية والإسلامية، فانبثقت على أرضها العديد من الحركات الإصلاحية، وأحدثت
صدى مرضيا يستحق الذكر، حيث كانت موجهة لخدمة الشعب الجزائري، وتغيير أوضاعه، فتمكنت من
إحداث الفارق، والتمثل لتطلعات الشعب الجزائري، خصوصا عندما ظهرت جمعية العلماء المسلمين
الجزائريين، والتي كان لها قدم صدق في محاربة كل مظاهر الانحراف الديني والثقافي والاجتماعي والسياسي الناتج
عن آثار الاستعمار، ووضع اللبنة الأولى على طريق النهضة العامة.

وفي هذه الجمعية انتظمت فئة من المصلحين الرواد الذي قيض الله لهم خدمة هذا الشعب، يزيدونه وعيا
ويقظة، ويبعثون في أوصاله روح الجهاد والمقاومة، من أمثال الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير

الإبراهيمي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ مبارك المليبي، وغيرهم، غير أن الغرة اللامعة في جبين جمعية العلماء، تجلت في العالمين الشيخين عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، باعتبارهما رئيسي المشروع ويحلمان راية التجديد والتغيير، ولم يكن بوسعي دراسة المشروع لكل واحد من هذين العلمين فوقفت على شخصية الإبراهيمي لأرصد في موضوعي ملامح التجديد في هذا المشروع من منظور المنهج الإصلاحي..وبدا لي في هذا المقام أن أتساءل عن طبيعة هذا المشروع؟ وعن أهدافه الاستراتيجية؟ وعن الكيفية التي اختارها من أجل تنفيذ مشروعه في ظل الصراعات والمشاكل التي كان يعج بها المجتمع الجزائري في تلك المرحلة؟ كانت هذه الأسئلة التي بنيت عليها مظان الدراسة، التي لم تكن وحيدة في وفائها لهذا المصلح الكبير من خلال جهاده ونضاله، ولكنها ربما تكون متميزة في طرقها لهذا الجانب من عمل الرجل ونضاله؟ وتكمن أهمية البحث في أنه يتناول الحراك التجديدي عند البشير الإبراهيمي، في ظل التأزم والانسداد داخل الأمة الجزائرية بفعل الأفكار المرهقة كما عبر عنها المفكر مالك بن نبي، ويهدف إلى إزاحة العثرات، ورسم طريق النهوض واضحاً.

ولعل ما دفعني إلى دراسة منهج الإبراهيمي في الإصلاح والتجديد، نوازع ذاتية تشربت حب الفكر الإسلامي عامة والفكر الإبراهيمي خاصة، ثم ما لهذه الشخصية من فضل ومزية تستحق الاعتناء والوفاء، وبممكن تحديد منهج الدراسة بالنظر إلى طبيعتها التي تقتضي الاستقراء والتحليل، حيث قمت بجمع الآراء والأفكار الإصلاحية للإبراهيمي، ثم وقفت على تحليلها واستنباط الأسس والقواعد والأهداف المبتغاة من مشروع التجديد، كما استعنت بالمنهج التاريخي في حديثي عن تأسيس الجمعية، والسيرة الذاتية للبشير الإبراهيمي. اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى ثلاثة فصول يسبقها مدخل، شرحت فيه مجموعة من المصطلحات الخاصة

بالإصلاح والتجديد والمنهج، ثم انتقلت إلى الفصل الأول وهو الحركات الإصلاحية في الوطن العربي عرضت فيه أهم هذه الحركات في الوطن العربي، وعن واقعها في الجزائر وأهم روادها، ثم تناولت في الفصل الثاني شخصية البشير الإبراهيمي، ومسيرة جهاده في صفوف جمعية العلماء المسلمين التي أفردت لها هي الأخرى جانبا نظريا حول التأسيس والأهداف والوسائل، وجانبا تطبيقيا لنشاطها ومسيرتها الإصلاحية، ثم عالجت في الفصل الثالث ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند البشير الإبراهيمي، تحدثت فيه عن رؤية الإبراهيمي لعملية التجديد من خلال مفهومه وركائزه، وبواعثه وأهدافه، ومجالاته، لأصل في نهاية البحث إلى خاتمة حددت فيها أهم النتائج التي توصلت لها الدراسة.

وقد استعنت لإنجاز هذا البحث بمجموعة من المصادر والمراجع، التي توزعت بين الكتب والرسائل الجامعية والمجلات، ولعل أهمها "آثار البشير الإبراهيمي"، التي جمعها نجله الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، وهي عبارة عن مقالات كان ينشرها الإمام في المجلات والجرائد الوطنية، و"سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" الذي ضم مجموعة من التقارير الإدارية لنشاط الجمعية، وبعض المواضيع الفكرية التي اهتم بها رواد الجمعية، وكذلك استعنت بكتابه "في قلب المعركة" وهو أيضا مجموعة من الوثائق والبرقيات والخطب التي حررها باسم الجمعية. واستعنت أيضا بكتب الفكر الإصلاحي مثل "زعماء الإصلاح في العصر الحديث" لأحمد أمين، و"المنهج الإصلاحي للإمام محمد عبده" لمحمد عمارة، وتجديد الفكر الإسلامي لحسن الترابي، و"سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر"، وهي مذكرة لنيل شهادة الماجستير من جامعة الحاج لخضر، باتنة للباحثة زيلوخة بوقرة. واستندت إلى كتب حول الحركة الوطنية الجزائرية كمؤلفات الدكتور أبي القاسم سعد الله التي تحمل عناوين "أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر"، و"الحركة الوطنية الجزائرية"، و"تاريخ الجزائر الثقافي"، و"جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحية " لأحمد الخطيب، وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى لعبد الكريم بوصفصاف.

وأفدت من كتب ورسائل في النقد الأدبي أذكر منها "نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر" لعبد المالك مرتاض، الشعر الجزائري الحديث" للصالح خرفي، و"البشير الإبراهيمي أديبا" وهي رسالة لنيل شهادة الماجستير لأستاذي المشرف الدكتور محمد عباس من جامعة بغداد، و"نثر البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939م"، للباحث محمد العيد تاورته، واعتمدت أيضا على بعض المجالات التي تناولت فكر الإمام ومواقفه الإصلاحية كمجلة الشهاب، والثقافة، والمواقفات، وجريدة البصائر في سلسلتها الأولى والثانية.

وقد اعترضتني بعض الصعاب والعقبات التي استطعت التغلب عليها بفضل الله تعالى، وألها عقدة البداية التي تواجه كل باحث في بداية بحثه، وقد يمتد فعلها وقتا ليس بالهين، لا يستطيع الباحث التغلب عليها إلا بمزيد من الصبر والعزم والإرادة، وثانيها ظروف شخصية وأخرى صحية كذلك كان لها فعلها في ابتعادي عن الدراسة فترة، وثالثها كثرة المراجع والمعلومات وتدافعها فيما يخص حياة الإبراهيمي، وتاريخ جمعية العلماء، ولكنها قليلة في الجانب الذي درسته، مما أجبني إلى الاعتماد على المراجع الوسيطة.

إن بحثي هذا ليس أول بحث يطرق باب الحديث عن البشير الإبراهيمي ومنهجه الإصلاحية، ولكنه ربما يختلف عنها بطريقة هذا الجانب في التجديد والإصلاح، فوضعت به بصمات شخصية عليها تكون إضافة إلى ما قدمه الباحثون قبلي وفاء للعلامة البشير الإبراهيمي.

فإن حقق البحث مبتغاه وهدفه، فبفضل من الله وتوفيق وسداد، ثم من أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور محمد عباس الذي كان عوناً لي بنصائحه وتوجيهاته وإرشاداته النبيلة في النقد والتصحيح، فله مني كل الشكر

والتقدير، وجزاه الله عني كل الجزاء، لأنه منحني الفرصة للولوج إلى رحاب هذه المدرسة الممتدة في الإصلاح،
والتقرب أكثر من قائدها ومصلحها الكبير الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، بحثًا وتنقيبًا.

والحمد لله رب العالمين.

الطالبة فاطمة الزهراء تابتي

تلمسان يوم: الاثنين 17 صفر 1439هـ

الموافق ل: 06 نوفمبر 2017م

مدخل

في معنى الإصلاح والتجديد والمنهج

التجديد والإصلاح والمنهج من أكثر المفاهيم المستخدمة بكثرة في الخطاب الإسلامي المعاصر المتعلق بكيفية بلوغ النهضة ، وفي هذه السطور سوف نحاول تحليلية هذه المفاهيم وتوضيح معناها اللغوي والاصطلاحي.

أولا : تعريف التجديد:

يعدّ مفهوم التجديد من أكثر المصطلحات تداولاً وشيوعاً منذ القدم وحتى يومنا هذا ، وقد وردت هذه الكلمة على لسان خير الخلق أجمعين في قوله "إن الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها"¹ فهذا الحديث يدل على أن كل شيء يمكن أن يتعرض للبلية والتلف والنسيان ، فيحتاج إلى من يعيد إحياءه وبعثه من جديد حتى تدب فيه روح جديدة ، ويرجع إلى حالته الأولى يوم كان أول مرة ، وستعرض في ما يلي إلى مفهوم التجديد في مختلف فروعه.

أ - لغة : "جدّ الثوبُ والشَّيءُ يجدُّ بالكسر، صار جديداً، وهو نقيض الخَلْقِ"² ، يقال ثوب جديد قطع

حديثاً، والجديدان والأجدان الليل والنهار، وذلك لأنهما لا يبليان أبداً."

وإذا نظرنا في الاستعمال القرآني لهذه الكلمة من الناحية اللغوية ، فإنها تأتي بمعنى "الإحياء والإعادة لما كان

موجوداً وزال ، يقول الله تعالى في محكم تنزيله :

¹ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، تحقيق وضبط وتخريج وتعليق: شعيب الأرنؤوط، محمد كامل قره بللي، دار

الرسالة العالمية، دمشق طبعة خاصة، 1430هـ-2009م، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ج6، ص349

جمال الدين أبو الفضل بن منظور الإفريقي، لسان العرب، المجلد الثاني، مادة (جدد)، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1،

² 1426هـ-2005م، ص508

﴿جَدِيدٍ يَخْلُقُ وَيَأْتِي بِذُهُبِكُمْ بِشَاءِ إِنْ بِالْحَقِّ وَالْأَرْضَ السَّمَوَاتِ خَلَقَ اللَّهُ أَنْ تَرَ الْعَمَلُ﴾¹ أي أن الذي تفرد بخلق ذلك

وأنشأه من غير معين ولا شريك، إن شاء أن يذهبكم فيفنيكم أذهبكم وأفناكم، ويأتي بخلق آخر سواكم مكانكم، فيجدد خلقكم.²

أما في الحديث الشريف عنه صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ الْإِيمَانَ لِيَخْلُقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلُقُ الثَّوْبُ الْخَلْقُ، فَاسْأَلُوا اللَّهَ أَنْ يُجَدِّدَ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ"³

والمعنى نفسه يأخذه هذا اللفظ في الاستعمال المعجمي يقول ابن الرومي :

هل من سبيلٍ إلى تجديدِ وُدِّكُمْ وهل يجددُ شيءٌ بعدَ إخلاقِ⁴

فالتجديد في المعنى اللغوي هو إعادة ما بلي وخلق، إلى ما كان عليه من قبل، أي على حالته الأولى التي كان عليها قبل أن يبلى ويصيبه التلف والنسيان.

ب - اصطلاحا :

1- في اصطلاح العلماء : هو سنة من السنن الدائمة، فكما يصدأ المعدن فيحول الصدأ بينه وبين

الفعل الخلاق، كذلك تصيب السنون المنظومات الفكرية، ومنها الأديان بالبدع والخرافات التي تحجب جوهر

¹ سورة ابراهيم، الاية 19

² محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه: محمود محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م ج16، ص556

³ أبو عبد الله محمد الحاكم النيسابوري، المسترك على الصحيحين، صححه : أبي عبد السلام بن محمد علوش، ج1، كتاب الإيمان، باب الأمر بسؤال تجديد الايمان، دار المعرفة، بيروت - لبنان، 1418هـ-1998م، دط، ص149

⁴ أبو الحسن بن الرومي، ديوان ابن الرومي، شرح: أحمد حسن بسج، ج2، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط3، 1423هـ-220م، ص462

الدين فتعطل فيه الطاقات والفعاليات ، ولكون الإسلام الدين الخاتم للرسالات السماوية ، ولكي يكون صالحا لكل زمان ومكان كان التجديد قانونا دائما.¹

فالتجديد من السنن الكونية التي تعمل على تفعيل الطاقات الكامنة في الإسلام حتى يساير العصر في جميع شؤونه.

وقد تنوعت عبارات العلماء في تعريف التجديد وتعددت صيغهم ولكنها لم تخرج عن محاور ثلاث² :

✓ المحور الاول: إحياء ما اندرس من معالم السنن ونشرها بين الناس، يقول أبو الأعلى المودودي -رحمه الله

- : "فحقيقة التجديد تعني تطهير الإسلام من أدناس الجاهلية، وجلاء ديباجته حتى يشرق كالشمس

ليس دونها غمام."³ فالمقصود بالتجديد هنا هو العودة إلى النحو الذي كان عليه زمن النبي -صلى الله

عليه وسلم - "فينفي عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، وغلو المنتطعين ، وتفلت الفاسقين، ويعود

الناس إليه بالقبول والتلقي ، والانقياد والتسليم، والتصديق والاتباع، والتوقير والتقديم والفهم والالتزام

والتطبيق."⁴

✓ المحور الثاني : قمع البدع والمحدثات وتعرية أهلها، وإعلان الحرب عليهم، وتنقية الإسلام مما علق به من

أوضاع الجاهلية، والعودة به إلى ما كان عليه زمن الرسول -صلى الله عليه وسلم - وصحابتها الكرام، جاء

¹ محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، دار الرشاد للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م، ص11

² دلال بن هويل السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، إشراف الدكتور أمين محمد عطية باشا، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، 1435هـ-2014م، ص17

³ المودودي أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر، بيروت -لبنان، ط2، 1386هـ-1967م، ص16

⁴ محمد بن شاكر الشريف، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، مجلة البيان، الرياض، ط1، 1425هـ-2004م، ص13

في حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: "إن الله عز وجل يبعث

لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها"¹

قال المناوي في فيض القدير شرح الجامع الصغير، وهو يشرح هذا الحديث: "يجدد لها دينها أي يبين السنة

من البدعة ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر أهل البدعة ويذلهم."²

ويقول العظيم آبادي³ فيعون المعبود، شرح سنن أبي داود: "التجديد إحياء ما اندرس من العمل بالكتاب

والسنة، والأمر بمقتضاهما وإماتة ما ظهر من البدع و المحدثات."⁴

✓ تنزيل الأحكام الشرعية على ما يجد من وقائع وأحداث، ومعالجتها معالجة نابغة من هدي الوحي.

ومن مجموع هذه التعريفات للتجديد يمكن أن نصوغ تعريفا جامعاً له، فنقول أن التجديد هو تلك الجهود

الفكرية والعملية التي يقودها العلماء والدعاة من أجل إبراز الدين كما أنزله الله تعالى على نبيه الكريم،

وتخليصه من شوائب البدع والمحدثات التي ألصقت به، وإظهار قوته وقدرته على قيادة الحياة في كل شؤونها

وقضاياها السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والفكرية، والتربوية ...

¹ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، سنن أبي داود، مصدر سابق، ص 349

² المناوي عبد الرؤوف، فيض القدير في شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط 2، 1391هـ -

1972م، ج 2، ص 282

³ هو شمس الحق العظيم آبادي الهندي، أبو الطيب العلامة المحقق والمحدث الكبير، من أكبر محدثي الهند، أشهر كتبه عون المعبود شرح سنن

أبي داود.

⁴ أبو عبد الرحمن العظيم آبادي، عون المعبود على شرح سنن أبي داود، ج 1، مراجعة وتدقيق: محمد ناصر الدين الألباني، دار ابن حزم،

بيروت - لبنان، ط 1، 1426هـ - 2005م، كتاب الملاحم، باب ما يذكر في قرن المائة، ص 1961

و التجديد ليس عملية فكرية خالصة، وإنما هو عملية تشمل العمل أيضا، فقد عد العلماء الخليفة عمر بن عبد العزيز المتوفى عام (101هـ) مجدداً في العمل بالإصلاحات السياسية العملاقة، التي قضى بها على ظلم بني أمية الذين حادوا عن سياسة الخلفاء الراشدين قبلهم في جميع شؤون الحكم والدولة، كما عدوا الإمام الشافعي -محمد بن إدريس المتوفى عام (204هـ) مجدداً في العلم حيث وضع علم الأصول الذي ضبط مناهج التفكير الإسلامي في مواجهة المناهج اليونانية.¹

2- التجديد في اصطلاح العصرانيين: فالتجديد عند هذه المدرسة العصرية يقصد به "إخضاع الشرع

لمتطلبات الواقع المعاصر، فهم يحاولون أخذ الطابع والأسلوب في تفكير الغربيين، سواء في تعبيرهم عن الدين، أو في تحديدهم لمفاهيمه ومفاهيم حياتهم اليومية."² وقد عقب الدكتور وهبة الزحيلي على هذا الفهم الجديد لمصطلح التجديد قائلاً: "أما إن كان القصد من التجديد هو تخطي أحكام الشريعة جملة وتفصيلاً، أو جزئياً بحجة التطور والارتقاء إلى مستوى الدول المتحضرة صناعياً ومادياً فقط، لا فكرياً وروحانياً وأخلاقياً، فهو عمل عدواني مشبوهُ لا يراد به خير الأمة الإسلامية، وإنما يراد به تصفية الشريعة تحت ستار التجديد المزعوم، ولا سيما أنه اتجاه يقوم به أناس غير مختصين ويغلب عليهم التأثر بالثقافة الغربية، وبأفكار المستشرقين فهم غرباء في الواقع عن شريعة الله تعالى"³ ويضيف على ذلك حسن الترابي حيث يقول: "هو أن ينفذ النظر إلى أصول الدين الأولى التي احتوتها النصوص الشرعية لعهد التنزيل، وأن يعنى في تراث الفقه

¹ ينظر، محمد دراجي، الأصول الفكرية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، العدد 4، السنة الرابعة، محرم 1416هـ/ جوان 1995م، ص 531

² أنس بن محمد جمال بن حسن، التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد، إشراف الدكتور يحيى بن علي بن يحيى الدجني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 143هـ-2013م، ص 25، نقلاً عن محمد البهي، الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

جمال عطية وهبة الزحيلي، تجديد الفقه الإسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط 1، ص 232

والتجريب الذي أضافته الخالفة، وأن يتبصر في ثنايا الواقع الحاضر، ووجوهها لابتلاء المتجددة التي يطرحها، من أجل استيعاء الشرع والاستئناس بالتراث، وتعرُّف الواقع لانجلاء صور التطبيق الإسلامي الواجبة في سياق الأوضاع المعاصرة.¹ فالتجديد في نظر الترايبي هو العودة إلى الأصول الأولى للدين، ثم النظر فيما أضافه الخلف في قضايا الفقه، والنظر أيضا في الواقع المعاصر من أجل إيجاد حلول وصور للتطبيق الإسلامي في سياق المعاصرة.

✓ أَلْفَاظ تَدَلُّ التَّجْدِيدَ : هناك الكثير من الألفاظ التي تشبه لفظ التجديد أو تدل عليه ، رغم أن أصحابها قد استخدموها في ما يتنافى مع المعنى الحقيقي للتجديد بسبب انحرافهم الفكري والعقدي، "وحاولوا تمرير المخالفات الشرعية من خلاله ، وفي مثل هذه الأحوال فإن الذكاء والفطنة في إدارة المعركة الفكرية أن لا يتم الهجوم على الأسماء المحمودة كالإصلاح والتجديد وغيرها، ولكن يجب الفصل بين الاسم الجميل والاستعمال الخاطيء والأفكار المنحرفة".² وهنا يجب علينا معرفة معناها الحقيقي ليتسنى لنا إيجاد الفرق بينها وبين مصطلح التجديد.

● الحداثة :

يقول محمد عمارة : "الحداثة بمعناها الغربي، هي التنوير الأوروبي الوضعي العلماني ، التي تأسست عليها ثقافة عصر النهضة الأوروبية الحديثة، والتي أقامت قطيعة معرفية مع الموروث الديني اللاهوتي، وأسست معالمها على الفلسفة الإغريقية، والقانون الروماني".³ فمعنى الحداثة هنا لا يدل على إقامة ما انقطع وأنهدم من المفاهيم

¹ حسن الترايبي، تجديد الفكر الاسلامي، دار القراني للنشر والتوزيع - المغرب، ط1، 1993، ص105

² أنس بن محمد جمال بن حسن، مرجع سابق، ص 25

³ محمد عمارة، الإسلام والتحديات المعاصرة، دار نضمة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، دط، ص85

الدينية وإعادة إحيائها، وإنما يدل على القطيعة والتخلص من الثوابت والمفاهيم الدينية، ومحاولة الانطلاق بمعزل عن الدين، "وإن هدف المروجين لفكرة تحديث العالم الإسلامي، لم يكن بلوغ مستوى أعلى من التقدم والرقي الحضاري والنضوج الفكري كما يدعي الحداثيون، إنما فيالحقيقة استبدال الأفكار والمبادئ والقيم العربية الإسلامية الأصلية، بأفكار ومبادئ وقيم غربية مادية حديثة مستوردة، من شأنها أن تثبت جذور تبعية المسلم للغرب، وتمحو شخصية المسلم وتطمس معالم المجتمع الإسلامي الفكرية، والثقافية والدينية، والاجتماعية.."¹ فالحدائثة بهذا المعنى لا تتفق مع التجديد الذي يدعو إلى الإحياء والإعادة، بينما الحدائثة "هي جديد يقيم قطيعة معرفية مع الفكر الديني، كما حدث في الحضارة الغربية"²

● **النهضة الإسلامية:** هو مصطلح حديث نوعا ما، بدأ مع إرهابات ما يعرف بالنهضة العربية، ومع التأثير بما عرف بعصر النهضة في أوروبا، ولا يوجد حتى الآن تعريف جلي للنهضة الإسلامية، وهل هي نهضة عربية لاستعادة أجماد الحضارة العربية، أم إسلامية لاستعادة أجماد الحضارة الإسلامية؟ ويزداد الأمر تعقيدا عند استخدام مصطلحات مماثلة كالتنمية، ومحاربة التخلف أو التقدم والتقدمية، ومحاربة الرجعية والتجديد الديني، أو تحقيق مبدأ الاستخلاف، وازداد الجدل مؤخرا مع بلورة مصطلح ما يعرف بالفكر الإسلامي، والمفكرين الإسلاميين الذين اهتم كثير منهم بما يشار له اليوم بالنهضة الإسلامية، حيث بدؤوا بطرح مفاهيم النهضة متأثرين ولو قليلا بالتصور الأوربي، لكن ما يزال الوضع غير مبلور تماما، وفي حالة البحث عن الفكر النهضوي ومدى علاقة النهضة بالدين الإسلامي.³

¹ أنس بن محمد بن حسن، مرجع سابق، ص25 نقلا عن أثر الحضارة الغربية على المجتمعات الإسلامية، جاد محمد عبد العزيز، ص135

² المرجع نفسه، ص25، نقلا عن تجديد الدنيا بتجديد الدين، محمد عمارة، ص13

³ <https://ar.wikipedia.org> النهضة الإسلامية، موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا

وعلى العموم فقد ربط بعض المفكرين الإسلاميين هذا المصطلح ، بمصطلح التجديد الإسلامي الذي يسعى إلى إحياء ما اندرس من معالم الدين الصحيح، ومحاولة بناء العقل المسلم بما يستجيب لمتطلبات العصر دون إحلال بما جاء في منظومته الإسلامية .

- **التنوير** : "عرفته أوروبا في القرن الثامن عشر الميلادي على أنه حركة إحياء حضاري لاديني، أحلت العقل والعلم والفلسفة محل الدين ، خاصة في شؤون الاجتماع الإنساني وال عمران البشري، بينما التجديد الإسلامي على مر تاريخ الإسلام وحضارته هو إحياء ديني ."¹ يزيل عنه شوائب البدع والمنكرات والنقص، فتعيده إلى منبعه النقي الصافي ، بل يكون فعله أكثر عطاء بما يواكب المستجدات والمتغيرات ففارق كبير بين إحياء ديني و إحياء لا ديني ، ولقد جاء التنوير بعلمانيته التي تنفرد بميادين الدنيا والاجتماع البشري ومناهج البحث .. بينما التجديد الإسلامي جاء سنة ربانية تعمل الدين في جميع ميادين الحياة .

لقد جاء التنوير الغربي بمصادر العلم والمعرفة واقفا إياها على سنن الكون، وقوانينه بينما التجديد الإسلامي يقيم المعرفة والعلم على ساقِي الوَحْيِ والوُجُودِ ، أي يعود بهما إلى الكتاب والسنة، لذلك افترق التجديد الإسلامي عن التنوير الغربي العلماني ، لاختلاف السياق والملازمات والتحديات والمشكلات ... ولكن المؤسف أن يخرج من ديار الإسلام من يجعل التنوير الغربي كالتجديد الإسلامي حتى أنه يجعل المجددين للإسلام تنويريين بالمفهوم الغربي، وهذا والله تزوير وظلم وباطل.²

¹ محمد عمارة، الإسلام بين التنوير والتزوير، دار الشروق، ط2، 1423هـ/2002م، ص223

² انظر، المرجع نفسه، ص224-228

ج- أهمية التجديد في الاسلام : إن التجديد في الفكر الإسلامي مطلب شرعي ، وضرورة ملحة لمواكبة التغيير الذي يحدث في العالم ، دون زيغ عن الأصول الأولى للدين الإسلامي ، وحتى يفرض المسلم نفسه على الساحة الفكرية ، ويواجه مختلف التحديات ويتخطاها ، وقد كثر الحديث عن أهمية التجديد بين المفكرين والعلماء، وهو ما يدفعنا إلى التذكير بها في هذه السطور بإيجاز.

"إن التجديد في مآثر الأمم ومفاخرها العلمية والحضارية ، سبيل نهضتها وبعث الحيوية في وجودها، وتجديد الدماء في شرايين حياتها، وهو في فكرنا وتراثنا الإسلامي أكد وأهم ."¹ وذلك لضرورة تفرضها الخصائص المميزة لهذا الدين، والتي يتلزم وجودها وبقائها على وجود التجديد واستمراره. وهذه الخصائص هي :

1- الخلود : كانت شرائع الأنبياء السابقين على سيدنا محمد -صلى الله عليه وسلم- ينسخ المتأخر منها المتقدم، وكان النبي اللاحق يحدد ما انطمس من معالم الدين السابق ، وكان تصويب تصرفات البشر وتقويم ما اعوج في حياتهم يتم عبر وحي السماء، فلما بعث النبي محمد -صلى الله عليه وسلم- شاء الله أن يختم به الأنبياء، وأن يختم بشريعته الشرائع، قال تعالى: ﴿النَّبِيِّنَّ وَخَاتَمَ اللَّهِ رَسُولَ وَلَكِنْ رَجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ آبَاءِ مُحَمَّدٍ كَانَ مَا﴾²

وقال أيضا ﴿دِينًا أَسْلَمَ لَكُمْ وَرَضِيَتْ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَأَمَّمْتُ دِينَكُمْ لَكُمْ أَكْمَلْتُ لِيَوْمَ﴾³ فالله تعالى ارتضى لنا هذا الدين

ليطهرنا به، وليتم به الشرائع الأخرى، ومن ثمة تعهد بحفظه حتى قيام الساعة.

¹ أنس بن محمد بن حسن، مرجع سابق، ص30، نقلا عن تجديد الفكر الإسلامي، الحسن العلمي، ص183

² سورة الأحزاب، الآية 40

³ سورة المائدة، الآية 03

2- الشمول: فالشريعة الإسلامية هي شاملة لكل زمان ومكان ، وهي للبشرية كافة لا تقتصر على شعب

دون آخر أو على لون دون سواه ، قال الله تعالى : ﴿ وَنَذِيرًا بُشِيرًا لِلنَّاسِ كَافَّةً إِلَّا أَرْسَلْنَاكَ وَمَا¹ ﴾¹ فالتجديد هنا

"سنة ضرورة وقانون، وبدون التجديد الدائم والمستمر للفكر والفقهاء والخطاب الإسلامي ، تحدث الفجوة بين

الشريعة الإسلامية التي هي وضع إلهي ثابت ، وبين مقتضيات ومتطلبات الواقع المتغير والمتطور دائما

وأبدا، فالشريعة الإسلامية هي خاتمة شرائع السماء إلى الإنسان، وصلاحيتها لكل زمان ومكان، مرهونان

بالتجديد الدائم في الفكر والفقهاء والخطاب الإسلامي ، لمواكبة مقتضيات ومتطلبات ومستجدات الواقع

المتطور دائما وأبدا، ولبقاء حجة الله على عباده قائمة إلى يوم الدين.²

د- التجديد عند الشيخ البشير الإبراهيمي :

إن التجديد عند العلامة الشيخ البشير الإبراهيمي، هو العودة بالأمة إلى الإسلام كما أنزل على الرسول

الكريم، حتى تفهمه فهما صحيحا، وتطبقه تطبيقا حسنا، وتفتح على الواقع المعاصر ، فتأخذ منه الأحسن

وتترك السيئ، لأن الدعوة إلى تمثّل القديم بَعَثَهُ وَسَمِيْنَهُ، هي دعوة إلى الجمود، والدعوة إلى التغريب والتحديث،

هي دعوة إلى الانسلاخ الحضاري والمسح القومي ، وفي كلا الدعوتين شر وويل على الأمة .³ يقول

الإبراهيمي : "إن الجمعيات لا تبقى ولا يضمن لها الدوام إلا إذا كان في المعنى الذي أسست لأجله عنصر

من عناصر التجديد... وما من جديد في حياة الأمة إلا وله أصل اندثر ، وذهبت منه العين أو الأثر، فتقوم

¹ سورة سبأ، الآية 28

² محمد عمارة، الخطاب الديني بين التجديد الاسلامي والتبديد الامريكاني، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1328هـ / 2007م، ص7-8

³ ينظر، محمد دراجي، الموافقات، مرجع سابق، ص531

الجماعات أو الجمعيات بإحيائه أو تجديده، فيكون لمعنى الاجتماع - وفيه قوة - مؤازر من معنى الجدة - وفيه قوة أخرى - فتصير القوتان للجمعية بمثابة جناحين تطير بهما إلى الكمال..¹

إن التجديد عند الإبراهيمي هدفه العودة إلى الإسلام الصحيح الذي يدعو إلى العلم والعمل، من أجل تحقيق المرتبة العالية التي ارتضاها الله تعالى لهذه الأمة ، وهي مرتبة الشهادة ، لقوله تعالى

﴿شَهِيدًا عَلَيْكُمْ الرَّسُولُ وَيَكُونُ النَّاسُ عَلَى شُهَدَاءٍ لَتَكُونُوا أَوْسَطَ أُمَّةٍ جَعَلْنَاكُمْ وَكَذَلِكَ﴾²

ثانيا :تعريف الإصلاح :

ا. لغة : صَلَح : الصلح : ضد الفساد، يصلح يصلح، ويصلح صلاحاً وصلوحاً.

وأصلح الشيء بعد فساده : أقامه، وأصلح الدابة : أحسن إليها فصَلَحَتْ، وَالصُّلْحُ : السَّلْمُ. والإصلاح نقيض الإفساد.³

ب- اصطلاحاً : لو تفحصنا المعنيين للفظة الإصلاح لوجدنا أن هناك ارتباطاً بين المعنى اللغوي والمعنى

الاصطلاحى، يقول الإمام الزمخشري (ت 538هـ - 1143م): وَالصَّلَاحُ هو الحصول على الحالة النافعة المستقيمة.⁴

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997 ج1 (1929-1940)، ص59

² سورة البقرة، الآية، ص143

³ ابن منظور، مصدر سابق، مادة(صلح)، م2، ص294-295

⁴ جار الله الزمخشري، تفسير الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مج4، 1415هـ/1995م، ص70

وقال الراغب الأصفهاني (ت356هـ-967م): "والصلح يختص بإزالة النفاق بين الناس، يقال منه اصطلحوا وتصلحوا، وإصلاح الله تعالى الإنسان بخلقه إياه صالحاً، وتارة لإزالة ما فيه من فساد بعد وجوده¹، قال الله تعالى: ﴿أَعْمَلِكُمْ لَكُمْ يُصْلِحَ﴾²

وقبول في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة، قال الله تعالى: ﴿إِصْلِحْهَا بَعْدَ الْأَرْضِ فِي تَفْسِدُ وَأَوَّلًا﴾³ وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿سَيِّئًا وَءَاخِرَ صِلِحًا عَمَلًا خَلَطُوا﴾⁴

مما سبق يتبين أن الإصلاح يعني تقويم وتصحيح الأخطاء أو الفساد الذي اعترى الفرد أو الجماعة في وقت من الأوقات للوصول إلى الحالة المستقيمة والسوية.

أما الإصلاح بالمعنى المقصود في بحثنا فيدل على يقظة ووعي الشرق بالنسبة لأغلبية زعماء الإصلاح، لأنهم كانوا يشعرون بالآلام شعوبهم، ويدركون الأخطار المحيطة بهم، ويفكرون بعمق في أسباب الداء ووصف الدواء.⁵

ويبدو أن كل مصلح ينظر إلى إصلاحه من زاويته، وحسب مفهومه، فكان في العالم العربي والإسلامي مصلحون دعوا إلى الإصلاح حسب ثقافتهم وبيئتهم وعقليتهم، فنجد السيد جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والكواكبي، والإمام عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي، وهذا الأخير كان يرى هو

الراغب الأصفهاني، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم، دمشق، ط4، 1430هـ-2009م، ص489-

490¹

سورة الأحزاب، الآية 71²

سورة الأعراف، الآية 56³

سورة التوبة، الآية 102⁴

محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992، ص14⁵

ورفاقه في جمعية العلماء المسلمين أن الإصلاح والتغيير لا يتحقق قطعا إلا إذا حدث التغيير في البنية الذاتية

للمجتمع الجزائري، بأن يعمل كل فرد جزائري على تغيير ما بنفسه أولا، بالتخلص من مجموع القيم

السلبية، من تواكل واستسلام وجهل وضعف الهمة والإرادة، حينها يصبح مؤهلا للتخلص من ريقة

الاستعمار، وتحقيق الفاعلية في الحياة ، ولهذا اتخذت جمعية العلماء المسلمين من الآية

الكريمة ﴿بِأَنْفُسِهِمْ مَا يُغَيِّرُوا حَتَّىٰ بِقَوْمٍ مَا يُغَيِّرُ اللَّهُ إِنَّهُ﴾¹ شعارا لها، وتبنتها أساسا لكل تفكير، حتى أشرب الشعب

في قلبه نزعة التغيير، فأصبحت أحاديثه تتخذ منها شرعة ومنهاجا..²

ثالثا - تعريف المنهج :

أ- لغة : المنهج لفظ مشتق من نهج، "طريق نهج: بين واضح، وهو النهج، والمنهاج كالمنهج".³ وفي التنزيل .

﴿وَمِنْهَا جَاءَ شَرْعَةٌ مِنْكُمْ جَعَلْنَا الْكُلَّ﴾⁴ يقول الألوسي : أي طريقا واسعا واضحا في الدين.⁵

وأهَجَّ الطريقُ : وضحو استبان، وصار نهجا واضحا بيّنا. قال يزيد بن الخدّاق العبدي : ولقد أضاء لك الطريق،

وأهَجَّتْ سبل المسالك والهدى تعدي، أي تعين وتقوي، : النهجُ بالتحريك، والنهيج : الوبو وبقواتر النفس من

شدة الحركة.⁶

¹ سورة الرعد، الآية 11

² مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م، ص25

³ ابن منظور، مصدر سابق، مادة (نهج)، ص168-169

⁴ سورة المائدة، الآية 48

⁵ شهاب الدين محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: فؤاد سراج عبد الغفار، م4، المكتبة التوفيقية،

القاهرة 2008 ، ص224

⁶ ابن منظور، مصدر سابق، ص169

يظهر من خلال هذه التعريفات اللغوية أن المنهج هو الطريق الواضح البين المحدد المعالم.

ب-اصطلاحاً: هناك العديد من التعريفات الاصطلاحية لكلمة المنهج، ولعلها كلها تصب في قالب واحد فالمنهج هو "الطريق الذي يؤدي إلى التعرف على الحقيقة في العلوم، بواسطة طائفة من القواعد العامة، هي التي تهيمن على سير العقل، وتحدد عملياته، حتى يصل إلى نتيجة معلومة."¹

وهذا تعريف آخر جاء فيه أن "المنهج هو القانون والقاعدة التي تحكم أي محاولة للدراسة العلمية، وفي أي مجال من الدراسة."²

ويعرفه صلاح ذياب هندي بأنه "مجموع الخبرات المباشرة وغير المباشرة التي يعدها المجتمع لتربية الأفراد ، وإعدادهم في ضوء ظروف البيئة الاجتماعية، وما يهدف إلى تحقيقه من آمال وإنجازات مستقبلية."³

أما أحمد حسن اللقاني وعلي أحمد جمل فكلاهما يعرفان المنهج بأنه "مجموعة متنوعة من الخبرات التي يتم تشكيلها وإتاحة الفرصة للمتعلم للمرور بها، وهذا يتضمن عمليات التدريس التي تظهر نتائجها فيما يتعلمه التلاميذ، وقد يكون هذا من خلال المدرسة أو مؤسسات اجتماعية أخرى، تتحمل مسؤولية التربية، ويشترط في هذه الخبرات أن تكون منطقية وقابلة للتطبيق والتأثير"⁴

¹ عبد الرحمن نبوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات - الكويت، ط3، 1977م، ص5

² المرجع نفسه، ص3، نقلاً عن منهج البحث العلمي عند العرب جلال عبد الحميد موسى، ص271

³ مجموعة أساتذة اللغة العربية في الجزائر ناجي تمار، عبد الرحمن بن بريكة، المناهج التعليمية والتقويم التربوي، ص4

<https://www.academia.edu>،

⁴ المرجع نفسه، ص4

يتبين من خلال هذه التعريفات أن المنهج هو تلك الأفكار والتصورات والخبرات التي يكتسبها الفرد أو المجتمع ويسير بها في طريق واضح بيّن محدّد المعالم ، من أجل إصلاح الأفراد والمجتمعات بغية تحقيق الهدف المنشود .

فالمنهج الإصلاحي عند البشير الإبراهيمي هو مجموعة من الأفكار والتصورات والخبرات ، التي بدأ بالعمل عليها عندما أيقن بأن الاستعمار الفرنسي لن تزول قدمه من أرض الجزائر إلا إذا واجه شعبا متمسكا بدينه وهويته ، وواعيا تمام الوعي بأن الجزائر هي عربية مسلمة ، وليست قطعة من فرنسا كما كان يدعي الاحتلال ، وحتى يتحقق هذا الوعي لابد أن يتبنى كل فرد جزائري فكرة الإصلاح بأن يبدأ من تغيير نفسه، بتخليصها من كل المعتقجات التي تحول بينه وبين تحقيق الفاعلية في الحياة ، ومنه يتسنى له التخلص من قيود الاستعمار، ومن كل القيود التي تثبته عن القيام بدوره الصحيح في الحياة.

الفصل الأول :

حركات الإصلاح والتغيير في الوطن العربي

✓ أولاً : قضايا الإصلاح في الوطن العربي

- أهم الحركات الإصلاحية في الوطن العربي.

✓ ثانياً : نشأة الحركات الإصلاحية في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء

المسلمين

1. واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركات الإصلاحية

2. نشوء الحركات الإصلاحية في الجزائر.

3. رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر.

4. الحركة الإصلاحية غايتها ووسائلها.

أولا: قضايا الإصلاح في الوطن العربي

قبل الحديث عن الإصلاح في الوطن العربي وما يتعلق به، لابد من الإشارة إلى الأوضاع التي ميزته والتي أدت إلى ظهور هذه الحركات الإصلاحية، والأکید أنها لم تكن أوضاعا تبشر بالخير والنفع العميم وإنما سوء أحوال على كافة الأصعدة. يقول أحمد أمين "كان العالم الإسلامي منعزلا، لا يتصل بأوربة إلا فيما تعانیه تركيا من مشاكلها السياسية، فليس هناك بين الشعوب الإسلامية والشعوب الأوربية اتصال في الثقافة والعلم ونظم الحكم، يمهد لها الاستفادة منها والأخذ عنها"¹ لأن أوربة في ذلك الوقت كانت قد استفقت من سباتها وسارت في طريق النهضة، وسبقت غيرها بخطوات حسنة جعلتها وجهة المریدین للأخذ بأسباب المدنية والتقدم، كما يؤكد الكاتب أن "العالم الإسلامي قد أغلقت الأبواب في وجهه منذ الحروب الصليبية، وأخذ يأكل بعضه بعضا، وقف المسلمون في علمهم، وفي صناعتهم، فلا اختراع ولا إتقان، أبعدوا عن الاشتراك في الشؤون السياسية والحربية، فلا تراهم في جيش ولا في قيادته، ولا رأي لهم في الحكم ولا السياسة، إنما هم مزرعة الحكام ومستغل الولاة والأمراء"² هذا ما كان يعانیه الوطن العربي خاصة والإسلامي عامة إذا ما قارناه بغيره من الدول الأوربية التي شقت طريقها نحو النهضة والسيادة، إلى هنا بدأت بوادر الإصلاح والتغيير تتبلور في فكر وذهن بعض الرجال المصلحين الذين لم يقبلوا تلك الأوضاع التي كان يريزح

¹ أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ص7

² المرجع نفسه، ص7

تحت نيرها الوطن العربي¹، وتحركت في نفوسهم نوازع التغيير والإصلاح وتعاضمت وزادت حدتها، وكان أول ما ارتبط به مفهوم الإصلاح في العالم العربي بالتجديد والتغيير والدخول إلى معترك الصراع الحضاري، خاصة بعد الحركات الاستعمارية التي اجتاحت الوطن العربي، فدبت فيه عوامل الضعف، "وتوالت عليه الكوارث وتتابع على الخطوب حتى أصبح شيخا هرما حطمته الحوادث و أنهكه ما أصابه من كوارث، فساد نظام واستبداد حكام وفوضى أحكام، وخمود عام واستسلام للقضاء والقدر".² وقد اتخذت هذه الحركات الإصلاحية توجهاتها حسب موقعها وعلاقتها بالحضارة الغربية "وظهر هؤلاء المصلحين الذين نادوا بضرورة الإصلاح، وعملوا على تهيئة النفوس والعقول لمواجهة تحديات العصر الحديث، وقدموا جهودا رائدة لإخراج الشرق من طور الانحطاط إلى مشارف المدنية الحديثة مع الحفاظ على المقومات الإسلامية".³ هؤلاء المصلحون هم مختلفون في ثقافتهم وبيئتهم وأهوائهم ومزاجهم، ولكنهم اتفقوا جميعهم على هدف واحد وهو إخراج شعوبهم من وحل الجهل والتخلف والتبعية للغرب، وتحملوا في سبيل ذلك من المشاق والصعاب ما لا يتحمله إلا أولو العزم "أحبوا مبدأهم في الإصلاح أكثر مما أحبوا الحياة ولم يعبؤوا بالعذاب يحيق بهم في سبيل تحقيق فكرتهم وظلت أعمالهم تعمل عملها في حياتهم وبعد موتهم"⁴، وظلت فكرة الإصلاح والنهوض بشعوبهم تلاحقهم أينما حلوا وارتحلوا، فقدموا بذلك "أفكارا وتصورات ونُظُم سعت لسد الثغرات، وحل

¹ المرجع نفسه، ص8

² المرجع السابق، ص8

³ مدونة الكاتب والمفكر المغربي عباس أرحيلة، حركات الإصلاح في العالم الإسلامي، الجمعة 2 أكتوبر 2015

<http://abbasarhila.blogspot.com>

⁴ أحمد أمين، مرجع سابق، ص9

المشكلات، وإصلاح الأوضاع..¹ فكان لهم أن "تحقق إصلاحهم ونفذت أفكارهم وتقدم الشرق على أيديهم خطوات تستحق الإعجاب"² وإذا تأملنا جيدا في منطلق هذه الحركات الإصلاحية ، وجدناه بثبت من مبعث ديني ، أي أن دافعها للإصلاح هو دافع ديني وإن اختلفت فيما بعد طرائقها وأساليبها في الإصلاح والتغيير، وعلى هذا الأساس كان لزاما أن نتحدث قليلا عن أهم الحركات الإصلاحية في الوطن العربي ونبين أثرها على شعوبها ، وما أحدثته من تغيير وتجديد ، ونبين أيضا الفروق بينها في الطرائق والتوجهات التي كان على أساسها إصلاح أوضاع الأمة.

فمن واجبنا أن نحبي ذكرهم ونبين ما بذلوه من جهد في سبيل إحياء دور العرب والمسلمين، وليعرف جيلنا الحاضر ما كان عليه أجدادنا وأسلافنا ليحذوا حذوهم وينهجوا طريق السعادة في الحياة.

في هذا البحث سنتعرض للحركات الإصلاحية في الوطن العربي فقط لأن المجال يطول إذا أضفنا الحديث عن الحركات الإصلاحية في العالم الإسلامي عامة، والله الموفق .

-أهم الحركات الإصلاحية في الوطن العربي :

بدأت العملية الإصلاحية كما أسلفنا الذكر من منطلق ديني فكانت "متسلحة بالإيمان بالله وبشريعة الإسلام، ومستنيرة بهدي النبوة، ومستوعبة لواقع الأمة الخاص والعام...والإصلاح لا بد أن يكون شاملا ، أساسه بناء الإنسان الفرد والأسرة والأمة، ومفتاحه تغيير الأمة..فإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما

¹http://nosos.netالشيخ حيدر حب الله،الإصلاح الديني، عن موقع نصوص معاصرة، الحلقة الأولى،15 ماي 2015 ،

²أحمد أمين، مرجع سابق،ص9

بأنفسهم"¹ وكانت هذه الحركات الإصلاحية في أغلبها امتدادا لدعوة شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- الذي أدرك أن "الاعتصام بالكتاب والسنة، وفهمهما على منهج السلف الصالح يضمن التوحيد في العقيدة والتوحيد في التشريع وبالتالي توحيد الأمة الإسلامية تحت لواء واحد من دون أي نفرة وكرهية".² وعليه فإننا سنلحظ أثناء تصنيفنا للحركات الإصلاحية في الوطن العربي، أن بعضها قد تأثرت بدعوة شيخ الإسلام بن تيمية ليست كلها وإنما البعض منها.

1- الإمام محمد بن عبد الوهاب (1115-1206 هـ/1703-1791 م):

تعتبر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من أقرب الدعوات الإصلاحية إلى شيخ الإسلام بن تيمية من حيث الزمن والمنهج "كان رحمه الله من الأئمة المهتمين، والدعاة المخلصين الذين وفقهم الله تعالى للدعوة والإصلاح في الأوساط التي تحكمت فيها البدع والخرافات، والعادات والتقاليد"³ وكان شغله الشاغل، وعمله الدؤوب أينما حل وارتحل هو مسألة التوحيد "التي هي عماد الإسلام، والتي تبلورت في "لا إله إلا الله"، والتي تميز بها الإسلام عما عداه، ولهذا سمي هو وأتباعه أنفسهم بالموحدين، أما اسم الوهابية فأطلقه عليهم خصومهم واستعمله الأوربيون، ثم جرى على الألسن."⁴ لقد سعى هذا العالم أن يعيد ما اندرس من معالم

¹ حسني أدهم جرار، رواد الإصلاح والتغيير في العصر الحديث، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2006، ص5

² صلاح الدين مقبول أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، ج1، دار ابن الأثير -الكويت ط2، 1416هـ -1996م، ص123

³ المرجع نفسه، ص129

⁴ أحمد أمين، مرجع سابق، ص10

الإسلام الحق، وهو التوحيد وقد بلغت دعوته هاته جميع أقطار العالم وذلك بفضل الله وتوفيقه وقد وضع مبادئ لدعوته لم يجد عنها نلخصها في التالي: ¹

-توحيد الله في العبادة والربوبية والأسماء والصفات، وإقرار هذا المبدأ قولاً وعملاً، والابتعاد عن جميع مظاهر الوثنية والشرك..

-التمسك بمنهج السلف القائم على الكتاب والسنة، مع تقرير مبدأ الاجتهاد والرد على التقليد الأعمى.

-الجهاد في سبيل الله لنشر الدعوة حيناً، ولحمايتها حيناً آخر.

وقد استمد الإمام مبادئه هاته من المصادر الأساسية وهي: القرآن الكريم، والسنة النبوية، وأثار السلف الصالح والتابعين. ولعل السبب في نهج هذا الطريق هو ما رآه الإمام من عدول وابتعاد عن الدين وما يرتبط به فأرى "أن التوحيد الذي هو مزية الإسلام الكبرى قد ضاع، ودخله كثير من الفساد فهؤلاء الأولياء يُحجج إليهم

وتقدم لهم الندور، ويعتقد أنهم قادرون على النفع والضر من دون الله، وهذه الأضرحة تشد إليها الرحال من

كل حذب وصبوب يتمسحون بها ويتدللون لها" ² وأمام هذا الظلام الدامس الذي تعيشه الأمة الإسلامية، كان

لزما على الشيخ أن يشمر على ساعد الجد، وأن يهب وقته وحياته في سبيل هذا الهدف السامي، و"كان

ابن تيمية إمامه ومرشده وباعث تفكيره، والموحي إليه بالاجتهاد والدعوة إلى الإصلاح، دعا مثله إلى ردّ البدع

والتوجه بالعبادة والدعاء إلى الله وحده، لا إلى المشايخ والأولياء والأضرحة، فهم لا يملكون شيئاً بجانب الله

¹ صلاح الدين مقبول، مرجع سابق، ص 130

² أحمد أمين، مرجع سابق، ص 14

وقوانينه الثابتة التي لا تتخلف، والتي نظم الله بها كونه¹ "إن الابتعاد عن الدين بهذه الصورة المظلمة هو الذي أدى إلى انهيار الأمة الإسلامية، وهوى بها في مهاوي التخلف والجهل والضعف وهو ما كان يراه الإمام محمد بن عبد الوهاب، كما أنه لم يهتم بمظاهر المدنية والتقدم كما اهتم بها غيره من المصلحين لأنه يرى أنّ العودة إلى الدين الحق هو الذي يؤدي إلى التقدم والتطور في كافة المجالات"، لقد بدأ محمد بن عبد الوهاب يدعو دعوته -التي ذكرنا- في رفق ولين بين قومه، ثم أرسلها لأمرء الحجاز والعلماء في الأقطار الأخرى، وقد لاقت قبولا واستحسانا وشهرة، عندها تحالف مع الأمير محمد بن سعود في الدرعية التي انتقل إليها بعد أن اضطهد في بلده العيينة، فتعاهد هو والأمير على الدفاع عن الدين الصحيح ومحاربة البدع في جميع جزيرة العرب، ودخلت دعوته في منعرج خطير وهو اجتماع السيف باللسان² "أراد الشيخ أن ينشر تعاليم الدين الصحيح البعيد عن المحدثات التي أحدثها الناس فيه، فسلك طريق اللسان والدعوة بالإحسان، لكنه واجه بعض المعترضين على دعوته من الصوفية والمبتدعين، عند ذلك كان لزاما أن يسلك طريق السيف ليردهم ويردعهم عن تشويه الدين والعقيدة الصحيحة، وانتشرت دعوته ولاقت النجاح وإقبال الناس عليها، وكلما دخلوا بلدة أزالوا البدع وأقاموا تعاليمهم،" حتى هددت حركتهم كل جزيرة العرب وشعرت الدولة العثمانية بالخطر يتهددها بخروج الحجاز من قبضتها بحكم وجود الحرمين الشريفين فيها، وهما مركزان إسلاميان ممتازان تفقد الكثير بفقدتهما، فأرسل السلطان محمود إلى محمد علي باشا بمصر ليُخرج الجيوش لمقاتلة الوهابيين، وأرسلت كذلك الدعايات من جميع الأقطار الإسلامية، للنيل من هذه الدعوة ومن

¹ المرجع نفسه، ص 14

² المرجع السابق، ص 18

مبتدعيها.¹ "بجذه الوحشية واجه الشيخ وأتباعه دعوته، حتى أن علماء المسلمين أو أدياء العلم الذين نصبهم المستعمر في مقامات إسلامية يستتر خلفهم ويزينون له ما يريد، تصدروا لمهاجمته بتأليف الكتب التي تدعو إلى إنكار هذه الدعوة والحمل عليها بشدة، لكن ذلك لم يزد إلا من نجاح الدعوة وانتشارها على كل لسان" وما زاد من شأنها هو انتصار الوهابيين على حملة محمد علي باشا بقيادة الأمير طوسون، لكنه ما لبث أن هباً عُدةً أكبر، وسار بنفسه لمحاربتهم بخير سلاحه، فانتصر عليهم، وأتمَّ النصر ابنه ابراهيم باشا، وانحزمت قوة الوهابيين.² لكن دعوتهم بقيت لحد الساعة لأنها دعوة صحيحة من ناحية العقيدة والدين، أما الناحية المادية والعقلية فإننا نلاحظ جموداً وتخلفاً، إذ أنها لم تهتم بالولوج في هذا المجال، بل إنها اعتبرت وسائل التكنولوجيا من التلغراف والسيارات والعجلات من البدع التي لا يرضى عنها الدين، وهو أمر مخالف تماماً لمقتضيات الحياة ومتطلباتها، ومخالف أيضاً لما هو موجود في ديننا الحنيف الذي يدعو إلى العلم والأخذ بأسباب التقدم في كافة المجالات، ولكن تبقى للشيخ مكانته واحترامه وجهده العظيم في سبيل تخليص العقيدة من براثن البدع والمعاصي ولا ينكر ذلك إلا جاحد ناقم.

2- عبد الرحمن الكواكبي (1265-1320هـ/1848-1902م):

يختلف عبد الرحمن الكواكبي عن سابقه في نظريته وطريقته في الإصلاح، لكنه يتفق معه في مبدأ أن الابتعاد عن الإسلام هو سبب تخلف المسلمين وتأخرهم إلى هذا الحد، وقبل أن نعرف المسار الإصلاحي لهذا المصلح كان لزاماً علينا أن نعرف جانباً من حياته، وسبب ولوجه هذا الطريق، فالكواكبي "من بيت في حلب يعتر بنسبه

¹ المرجع نفسه، ص 19

² المرجع السابق، ص 19

وحسبه وعلمه وجاهه وماله، فأسرة الكواكبي كانت فيها نقابة الأشراف في حلب، ولها مدرسة تسمى المدرسة الكواكبية، تربي تربية صالحة، وفطر على حب الخير والميل إلى الحق، درس وتخرج واشتغل في وظائف عدة، فمن محرر لجريدة رسمية، إلى رئيس كتاب المحكمة الشرعية، إلى قاض شرعي، إلى رئيس للبلدية، ثم اعتزل هذه الوظائف الحكومية واشتغل بالتجارة، كل ذلك أكسبه خبرة وتجربة بالحياة¹ فقد تقلب الكواكبي في عدة وظائف حكومية، وذلك بسبب اصطدامه مع نظام الدولة الفاسد، فلم يستطع الثبات في هذه الوظائف الحكومية مما أدى به إلى اعتزالها واشتغاله في أعمال حرة، بعيدا عن الدولة وفسادها، فالبلاد كانت "موبوءة بحكم* السلطان عبد الحميد* لا يستطيع أن يعيش فيها حر صريح، ولا ينجح فيها تاجر نزيه ولا موظف جرى مستقيم، وهذا النوع من الحكم عدو كل كفاية، وقاتل كل نبوغ".² لذلك اشتغل في الصحافة ليتصدى لهذا الاستبداد الذي يخنق أنفاس الشعب، فأنشأ جريدة "الشهباء" وقبل ذلك "اشتغل في صحيفة "فوات" العربية التركية التي أنشأها المؤرخ التركي الكبير أحمد جودت باشا"³ وكان يتعرض للدولة ونظامها الفاسد واستبداده، مما أدى إلى اتهامه بخروجه على النظام وإثارته للفوضى والشغب في البلاد فأغلقت صحيفة الشهباء، لكن الكواكبي ما لبث أن أنشأ صحيفة أخرى سماها "الاعتدال" لكنها لاقت نفس مصير الشهباء، و"يئس الكواكبي من أداء رسالة الإصلاح بالكتابة المحجور عليها في الصحافة المهتدة بالتعطيل"⁴ فاشتغل كما أسلفنا سابقا بالأعمال التجارية أو بمشروعات عمرانية بعد توليه مناصب حكومية،

¹ المرجع نفسه، ص 249-250

² المرجع السابق، ص 250.

³ عباس محمود العقاد، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة - مصر د ت، ص 41

⁴ المرجع نفسه، ص 41

فكانت لديه قدرة على إحياء هذه الوظائف التي توكل إليه ، وإخراجها من الرتابة والروتين ، وحقق "ونجاحا في تنظيفها وتطهيرها بعد نفض الغبار عنها، واستصلاحها للإنتاج والتعمير، وفي خلال ذلك جرّت عليه نزاهته - وصراحته - عداوة أعداء العمل النزيه والقول الصريح، فابتلي في ماله ورزقه، وتمحّل الولاة المعاذير الواهية لمصادرة أرضه وإتلاف مرافقه." ¹ لكن عزيمة الرجل أقوى من أن تنال منها مكائد الكائدين وأباطيلهم، فنلّت وقويت على الإصلاح والتغيير ما استطاع إلى ذلك سبيلا.

"إن دعوة الكواكبي ليست من الدعوات التي تتجه إلى ناحية واحدة أو تنحصر في جزء من أجزاء الحياة العامة التي تتفرق العناية بها بين أشتات من المصلحين، بل كان ينظر في جميع العلل المتفشية في المجتمع، يتتبع أعراضها ويستقصي آثارها." ²

أحس الكواكبي بعموم المسلمين وآلامهم، ورصد مواطن الضعف والهوان التي أودت بحالهم إلى هذا المآل، ومن أجل ذلك خصص جزءا كبيرا من حياته لإصلاح هذه الأوضاع ، وإيجاد الحلول المنجية للأمة عليها تخرج من بوتقة الاستبداد والظلم إلى رحابة العدل والحرية والطمأنينة "ونشرَ نتيجة دراسته في مقالات كتبت في المجلات والجرائد، ثم جمعت في كتابين أحدهما " طبائع الاستبداد "، والآخر "أم القرى"، الأول في نقد الحكومات الإسلامية، والثاني في نقد الشعوب الإسلامية ، فلحديث في هذه الموضوعات في عصر الكواكبي كانت من المحرمات لأنها تمس صفة الحاكم ونظام الحكم ، وتكشف مدى الفساد الذي استشرى في الدولة ، وزادت حدته لأن الشعوب لا تحرك ساكنا في سبيل تغيير هذا الوضع الفاسد ، لذلك كان الكواكبي يرى أنه "ينبغي

¹ المرجع السابق، ص 42

² المرجع نفسه، ص 112

تنبيه حس الأمة بآلام الاستبداد، ثم يلزم حملها على البحث في القواعد الأساسية السياسية المناسبة له ، بحيث يشغل ذلك أفكار كل طبقاتها، والأولى أن يبقى ذلك تحت محض العقول سنين بل عشرات السنين حتى ينضج تماما.. والحذر كل الحذر من أن يشعر المستبد بالخطر، فيأخذ بالحذر الشديد والتنكيل بالمجاهدين، فيكثر الضحيج، ويزيغ المستبد ويتكالب، فحينئذ إما تغتنم الفرصة دولة أخرى فتستولي على البلاد، وتجدد الأسر على العباد بقليل من التعب... وإما أن يساعد الحظ بعدم وجود طامع أجنبي وكون الأمة قد تأهلت للقيام بأن تحكم نفسها بنفسها، وفي هذه الحال يمكن لعقلاء الأمة أن يكلفوا المستبد ذاته لترك أصول الاستبداد واتباع القانون الأساسي الذي تطلبه الأمة .¹ إن هذه الرؤيا التي أوضحها الكواكبي حول التخلص من استبداد الحكام، وإفهام الشعوب حقوقهم وواجباتهم حتى لا يتمادى الحاكم في غيه واستبداده، هي رؤيا استمدتها من جوهر الإسلام الأصيل المبني على قواعد الحرية السياسية بين الحاكم والمحكوم كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

3- جمال الدين الأفغاني: (1254-1314هـ/1839-1897م):

"يرى الأفغاني بأنَّ المسلم ين ما صاروا أمة مدنية ودولا عزيزة إلا بحسن فهمهم لدينهم ، وحسن عملهم به وما ضعفوا واستكانوا بعد ذلك إلا بسوء فهمهم لدينهم، وانحرافهم عن صراطه..² وهو يتلاقى في هذه الرؤيا مع من سبقه من زعماء الإصلاح في العودة إلى الدين الصحيح ، كما كان على عهد النبي عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، وكان مما كتبه المغربي أثناء زيارته للسيد الأفغاني أنه قال : "ما الطريقة القومية التي

¹ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة - مصر، دط، دت، ص120

² محمد رشيد رضا، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1266-1323هـ-1849-1905م)، ج1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع

والتصدير، القاهرة، 1428هـ-2006م، ص82

ينبغي أن نسلكها لتتوصل إلى التمدن الحقيقي ومساواة شعوب أوروبا، فقال الأفغاني: لا بد من حركة دينية لأننا إذا نظرنا إلى سبب انقلاب حالة أوروبا من الخشونة إلى المدنى نراه الحركة الدينية، قلت : إن دينهم فاسد فأصلحوها، وديننا بحمد الله تعالى للآن محفوظ من التبديل والتغيير، فكيف تكون حركتنا الدينية؟ وعلى أي شيء مبناها؟ فقال: حركتنا الدينية هي اهتمامنا بقلع ما رسخ في عقول العوام والخواص من فهم بعض العقائد الدينية والنصوص الشرعية في غير وجهها الحقيقي.¹ فالقضية الأساسية عنده كانت في كيفية فهم الدين فهما صحيحا وتنفيذ تعاليمه حتى يكون العالم الإسلامي ناجحا وقويا، "كان الأفغاني يريد بث روح جديدة في الشرق حتى ينهض بثقافته وعلمه وتربيته، ويتمكن من تنقية عقيدته من الخرافات والأوهام، وقد تيقن الأفغاني أنه لا سبيل لإيقاظ المسلمين من نومهم إلا بالتعليم والتثقيف وتنوير العقول وتأليف القلوب"² فلم يدخر من أجل ذلك أي جهد يوصله إلى مراده "فاهتم بإنشاء بعض الصحف مثل جريدة " مصر " في سوريا، وجريدة "التجارة" في الإسكندرية، وتشجيع التلاميذ أمثال محمد عبده وأديب إسحاق وغيرهم على كتابة مقالات اجتماعية وأدبية..³ وقبل اهتمامه بهذا الجانب الاجتماعي، معروف عن جمال الدين الأفغاني أنه صاحب مشروع سياسي "يقوم على ركيزتين أساسيتين يتفرع عنهما كثير من الركائز الفرعية، أولهما تحرير إرادة الأمة الفردية والجماعية، وثانيتهما العمل على وحدة الأمة"⁴ فقد أدرك حجم الخطر الذي يتهدد العالم الإسلامي من جراء حملة التغريب والولاء للمستعمر "وهي هوة يدفع إليها قادته المفتونون، وزعماؤه الجهلة ليتردى فيها

¹ طهاري محمد، مرجع سابق، ص 99

² المرجع نفسه، ص 99

³ المرجع نفسه، ص 99

⁴ <http://www.essamtallima.com> عصام تليمة، جمال الدين الأفغاني والإصلاح السياسي، ص 1

فتتحطم قواه المعنوية تحطيمًا لا يرجى لها إصلاح بعده، فقم الأفغاني برسالة إيقاظ هذا العالم المغتر بثقافة وتقاليد المستعمر الأجنبي، ومقاومة هذا التيار الذي يسعى لنشر هذه الثقافة التي من شأنها أن تؤدي للتهلكة.¹ وإضافة إلى هذين الاتجاهين المتباينين في الإصلاح ، نجد أنه قد اهتم بالتربية والتعليم في مشروعه الإصلاحية وهو وفي هذا الجانب يتفق مع تلميذه محمد عبده الذي يرى أن التعليم الصحيح هو الذي يقود الأمم إلى الرخاء والعدالة الاجتماعية.

4- محمد عبده (1266-1323هـ/1849-1905م):

تعدد الكتابات والترجمات الخاصة بحياة العظماء والحكماء والمفكرين على أسس ومناهج مختلفة وما فيها من مآخذ وملاحظات ، ونحن في هذا السياق سنتحدث عن واحد من هؤلاء العظماء المصلحين الذين وهبوا أوقاتهم وحياتهم في سبيل إصلاح الأمة وأحوالها ، وسنكتف في سطور وجيزة مسيرة حياته الإصلاحية وما قدمه في سبيل ذلك .

"ولد الشيخ محمد عبده حسن خير الله في قرية "محلة نصر" بمحافظة البحيرة في سنة 1266هـ/1849م في أسرة تعتز بكثرة رجالها ومقاومتهم لظلم الحكام، وتحملهم في سبيل ذلك العديد من التضحيات، هجرة وسجنا وتشريدا وضياح ثروة² هذه الظروف لم يسلم منها أي مصلح راغب في التغيير والتجديد، وهي سنة الله فيمن سلك هذا الطريق وانتهج هذا الدرب من الأنبياء والمرسلين والمصلحين على مر العصور والأيام.

¹ المرجع نفسه، ص6

² محمد عمارة، المنهج الإصلاحية للإمام محمد عبده، مكتبة الإسكندرية، 2005، دط، ص12

"تعلم محمد عبده في الكتاب ثم بعثه والده إلى الجامع الأحمدى بطنطا ليجود القرآن بعد أن حفظه، ثم ليتعلم العلم"¹ ثم أخذ يتلقى سنة 1864م أول دروسه الأزهرية في الجامع الأحمدى، بعد أن استكمل تجويد القرآن، ولكن أساليب التعليم العقيمة قد صدته عن قبول الدرس فقرر هجران الدراسة بعد عام من شروعه فيها، لكن والده رفض ذلك وقرر إعادته إلى الجامع الأحمدى في نفس العام "² إن نقطة التحول في حياة هذا المصلح الكبير، تكمن في هروبه من قريته إلى قرية أخرى، بعد أن أكرهه والده على إتمام دراسته التي رفضها بسبب طرق التعليم العقيمة في بلدته، والتي شكلت عقدة بالنسبة له لم تفك إلا بعد أن التقى "بالشيخ درويش خضر خال أبيه فانقلب محمد عبده إلى شخص آخر كأن عصا سحرية مسته، وهنا يتجلى فعل المصادفات في حياة العظماء "³ إن التقاء الإمام محمد عبده بالشيخ درويش خضر تعد نقطة فاصلة في حياته، إذ لولا هذا اللقاء لما أصبح محمد عبده هذا العلم المشهور في سماء الإصلاح، واطل مثله مثل غيره من أبناء بلدته لا يعرفه أحد، اتصل الإمام بالشيخ الأفغاني عندما زار مصر، وذلك في سنة 1871م- 1288هـ فلزمه ليأخذ عنه فكرة الإصلاح ويسير على منواله في إنهاض الشعوب الإسلامية من ضعفها وهوانها، وتبصيرها بما لها وما عليها، حتى تستنير بصيرتها وتحس بما هي فيه من ضعف واستكانة.

*منهج محمد عبده في الإصلاح :

"لقد تألفت الدعوة الإصلاحية للإمام محمد عبده في واقع حضاري تميز بسيادة الجمود والتقليد في دوائر طلاب العلم الديني، وهو غلو يحجب الدين والإصلاح الإسلامي عن الواقع، ويبعد المنهاج الإصلاحي

¹ أحمد أمين، مرجع سابق، ص281

² محمد عمارة، مرجع سابق، ص13

³ أحمد أمين، مرجع سابق، ص283

الإسلامي عن أن يكون هو سبيل الأمة للنهضة والتقدم" ¹ وكغيره من المصلحين الذين تقدم ذكرهم يرى محمد عبده أن لا سبيل للتقدم وبلوغ الحضارة إلا بالعودة للدين الصحيح والعمل بما جاء فيه "وكان حريصا على تمييز منهاجه في الإصلاح بسمة الوسطية الإسلامية الجامعة" ² يقول في ذلك: "ولقد خالفت في الدعوة إليه -أي إلى منهجه في الإصلاح - رأي الفئتين العظيمتين اللتين يتركب منهما جسم الأمة: طلاب علوم الدين ومن على شاكلتهم، وطلاب فنون هذا العصر ومن هو في ناحيتهم" ³ فكان يرى أن النهضة في العالم الإسلامي لا تتم إلا بإصلاح التعليم والتعليم الديني خاصة، لأن ضعف المسلمين سببه سوء العقيدة والجهل بأصول الدين، وهو بذلك مخالف لرأي أستاذه الأفغاني الذي يدعو إلى ثورة سياسية شاملة حتى تتغير الأوضاع ويتم الإصلاح والنهضة المنشودة.. وعلى هذا المنوال سار الإمام بيتغي الإصلاح "وينغمس في الحياة الواقعية ليتمكن من تنفيذ برامج الإصلاحية" ⁴

5- خير الدين باشا التونسي (1225-1307هـ/1810-1879م):

هو أحد رموز الإصلاح في الوطن العربي "ولد سنة 1225هـ/1810م على الأغلب في قرية بجبال القوقاز فهو شركسي الأصل من أسرة أباطة، أُسِر وهو طفل على إثر غارة فاقْتِيدَ إلى اسطنبول ليبيع في سوق الرقيق، حيث بيع لنقيب الأشراف تحسين بك الذي اتخذ رفيقا وأخا لابنه الوحيد في الدراسة" ⁵ ثم لم

¹ محمد عمارة، مرجع سابق، ص40

² المرجع السابق، ص41

³ محمد عبده، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ-1993م، ج2، ص310

⁴ أحمد أمين، مرجع سابق، ص338

⁵ سهام شابي، الفكر الإصلاحية لخير الدين التونسي 1225-1307هـ-1810-1889م، من خلال كتابه أقوم المسالك في معرفة

أحوال الممالك، إشراف الدكتور عاشوري قمعون، مذكرة ماستر في تاريخ المغرب العربي، جامعة الوادي، 2013-2014م، ص2

يلبث أن رأى نفسه في مشهد آخر وهو "يعرض على رجل يتفحصه كما تفحص السلعة، ثم يدفع مالا في يد تحسين بك وينتقل هو إلى يده، ثم يبحر به إلى تونس وإذا به في بيت أحمد باشا باي تونس"¹ وقد استفاد في أثناء استقراره بتونس من العلم والمعرفة واللغات، مما أدى إلى تبلور الشخصية الإصلاحية عنده و"كانت تونس حين حمل إليها خير الدين كسائر بلاد الشرق، مقرا لحضارة قد هرمت ، وذهبت روحها ولم يبق إلا رسمها"² فهي إذ ذاك في حالة مزرية من التخلف والبدائية في كافة الميادين سواء "في العلم ، أو الفلاحة، أو الصناعة، أو التجارة، أو إدارة البلاد، فكلها فوضى في فوضى والحاكم حاكم بأمره.. والعدل فيها موقوت.. وقلما يكون، فكل ما فيها كان على النمط البالي العتيق"³ أمام هذه الأوضاع المتردية وجد خير الدين التونسي نفسه، وكان عليه أن يغير من هذه الأوضاع ما استطاع إلى ذلك سبيلا، ومن حسن حظه أنه تربى في بيئة ساعدته على النبوغ، وحمل رسالة الإصلاح فيما بعد فهو "تربى في قصر الباي أحمد الذي اهتم بتعليمه ليعده رجلا من رجاله، فكان البرنامج الذي أعد له ، أن يتعلم القراءة والكتابة ويحفظ ما استطاع من القرآن ويجوده، ثم توسع في العلوم الشرعية وعلوم اللغة، ومطالعة كتب التاريخ، وتقدم في كل ما تعلمه ثم نزع إلى تعلم الفرنسية فكان يجيد العربية والفرنسية والتركية."⁴ عرف خير الدين بالذكاء والفطنة مما ساعده على تقلد عدة مناصب في الدولة ساعدته على عملية الإصلاحات التي قام بها ، وكان من بين ما تقلد من مناصب أنه "عين أميراً للواء الخيالة ثم مدافعا عن الدولة التونسية في قضية محمود بن عياد، ثم

¹ أحمد أمين، مرجع سابق، ص146

² المرجع السابق، ص148

³ المرجع نفسه، ص150

⁴ المرجع نفسه، ص151

وزيرا للبحرية التي استقال منها بعد خلافات بينه وبين الوزير الأكبر **مصطفى الخزندار**، الذي كان يقوم باختلاسات لأموال الدولة¹، وكان في كل منصب يتقلده ينهض بمسؤولية الإصلاح بروح جديدة ونفس وثابة تواقّة للتغيير والإصلاح، ومما يذكر في هذا المجال أنه "عندما تولى منصب الوزير الأكبر (رئيس الوزراء) في عام 1873م، أقبل على إجراء الإصلاحات التنظيمية في مجالات السياسة والإدارة والاجتماع والقضاء والاقتصاد والثقافة والتعليم".² إننا في هذا المقام لا نريد أن نتوسع في ما قام به خير الدين من إصلاحات ولكننا نكتفي بذكر مجال واحد نوجز فيه هذه الإصلاحات وليكن مجال التعليم هو المقصود "اهتم خير الدين التونسي بالجانب الثقافي والتعليمي وذلك من خلال إنشاء مدرسة "الصادقية" نسبة إلى "الباي محمد الصادق" الحاكم حينئذ بتونس وهي مدرسة على الطراز الحديث تدرس فيها العلوم العربية والشرعية إضافة إلى الثقافة العصرية مع تعليم اللغات الفرنسية، والإيطالية، والتركية، والرياضيات، والطبيعات والاجتماعيات، وما إلى ذلك من العلوم العصرية، وتنظيم التعليم في جامع الزيتونة وإنشاء المكتبة العبدلية فضلا عن تشجيع الطباعة والصحافة والنشر"³

6- محمد رشيد رضا (1282-1354هـ/1865-1935م):

"السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا، وأصل هذه الأسرة من الحجاز ثم انتقلوا إلى العراق فنزلوا النجف ثم نزحوا إلى الشام وسكنوا قرية القلمون، من أعمال طرابلس الشام"⁴ كما أنه تحدث عن بيئته وبيته فقال :

¹ عبد الرزاق خلف محمد الطائي، خبر الدين التونسي ومشروعه النهضوي، صحيفة دنيا الوطن، تاريخ النشر 21-05-2010

² المرجع السابق.

³ المرجع نفسه.

⁴ تامر محمد محمود متولي، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة، دار ماجد عسيري، ط1، 1425هـ-2004م، ص59

"ولدت في قرية تسمى القلمون على شاطئ البحر المتوسط من جبل لبنان، تبعد عن مدينة طرابلس الشام بنحو ثلاثة أميال، وكان جميع أهل هذه القرية من السادة الإشراف المتواترين النسب، وأهل بيئتنا ممتازون ويعرفون بلئهم أهل العلم والإرشاد والرياسة ويلقبون بالمشايخ للتميز"¹ رشيد رضا هو واحد من قادة الإصلاح في الوطن العربي، وقد تضافرت عوامل ساعدته على حمل رسالة الإصلاح أو بالأحرى هما عاملان "أحدها فطري وهو الاستعداد الذي يتوافر له من كمال الخلقة واعتدال المزاج وحسن الوراثة للوالدين والأجداد، وثانيهما مكتسب، وهو التربية والتعليم النافع، وقد اجتمع هذان الأمران في شخص محمد رشيد رضا إذ هو سليل بيت عربي إسلامي عريق، ينحدر من نسل الحسين بن علي بن أبي طالب، ويستمد بالتالي الشرف والسيادة من انتمائه إلى العترة النبوية الشريفة"². وهو يستمد مقصد الإصلاح من الإسلام الذي يدعو في جوهره إلى التغيير فيقول في ذلك: "ما شرع الله الدين للبشر إلا ليكونوا صالحين في أنفسهم مصلحين في أعمالهم، وقد بين ذلك شعيب -عليه السلام- بصيغة الحصر ﴿أَسْتَطَعْتُ مَا آلَا صَلَاحَ إِلَّا أُرِيدُ﴾"³ وهو أبلغ البيان وأعمه وأتمه وهو واجب على كل مسلم"⁴ والإصلاح في فكر رشيد رضا يكون بإصلاح المعتقدات والأخلاق والاجتماع والفكر، ويتوصل إلى ذلك بالتغيير يقول رشيد رضا: "نزل القرآن الكريم على قلب الرسول صلى الله عليه وسلم لأجل إحداث ثورة تحرر العقل البشري والإرادة الإنسانية، من رق المتحلين لأنفسهم صفة الربوبية، أو النيابة عن الرب الخالق في التحكم والهيمنة والسيطرة على قلوب الناس

¹ <http://tourathtripoli.com> أنيس الابيض، رشيد رضا والمسألة العربية، ذاكرة طرابلس وتراثها، 2016

² المرجع نفسه.

³ سورة هود، الآية 88

⁴ منوبه بوهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، إشراف الدكتور مسعود فلوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة

2006-2007م، ص 178.

وعقولهم .. وهذه الثورة لا يمكن أن تحدث إلا على قاعدة القرآن في قوله تعالى

﴿يَأْتِيهِمْ مَا يُغَيِّرُوا حَتَّىٰ بِقَوْمٍ مَا يُغَيِّرُ اللَّهُ إِنَّهُ﴾¹ من أجل ذلك أسس مجلة المنار التي كان ينشر فيها آراءه

الإصلاحية الدينية والاجتماعية والسياسية، فأول ما بدأ به مشروعه الإصلاحي هو تصحيح العقيدة من

الانحرافات والزيف وترك البدع والمعتقدات الخاطئة، التي ألحقت بالدين الصحيح فإذا صلحت صلح كل شيء

بعدها من أمر الدنيا والآخرة، ثم دعا إلى إصلاح الفكر للوصول إلى العلم والهدى والرشاد في الدين

والدنيا، حتى تبلغ الأمة عزتها وسعادتها، يقول في ذلك: "فعليناكم أيها الفضلاء المحبون لخير أمتكم، وتقدم

بلادكم، أن تنصروا الاستقلال الذاتي والحرية الشخصية، وأن تبدلوا جهد المستطاع في بث هذا الفكر في

طبقات الأمة، وتقتنعوا أولئك الذين نسمع أخبار أفتياتهم على الكتاب وأصحاب الجرائد بأن عملهم ضار

ببلادهم .. انصروا حرية البحث والطباعة لكي تتجلى للأمة الحقائق فتعرف ما يضرها وما ينفعها، ولكي

تتربى العقول الكبيرة بعد رفع الضغط عنها"³، وهكذا في كل مجال يطرقه بقي الشيخ رضا حريصا على

الإصلاح، حتى تستعيد الأمة مجدها الغابر وتسير على طريق المجد عن هدى وبصيرة.

هؤلاء المصلحين ممن ذكرنا وغيرهم الكثير ال ذين ارتفعت أسماؤهم في سماء الإصلاح، "وأثروا بدعوتهم في

الأمم الإسلامية، فأعلت مستواها ورفعت شأنها، فكانت حالتهم بعدهم خيرا مما كانت قبلهم .. وكان

المصلح منهم عارفا لأمته ، مطلعا على خفاياها ، واقفا على أسرار نفسياتها ، خبيرا بطرق توجيهها ، يعرف

كيف يخاطبها بلغتها، ولئيف يتملك زمامها، وكيف يكون موضع تقديرها وإجلالها، ولا يكون ذلك حتى

¹ سورة الرعد، الآية 11

² منوية بوهاني، مرجع سابق، ص 179

³ المرجع السابق، ص 180-181

يكمل نفسه ويسبق قومه وقد زرع المصلحون من سلفنا فحصدنا، فليزرع شبابنا لمن ياتي بعدهم ليحصدوا، جزاء وفاقاً.¹

ثانياً- نشأة الحركات الإصلاحية في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء

1- واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركات الإصلاحية :

كان المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركات الإصلاحية في وضع مزر يميزه التخلف الشامل في كافة مرافق الحياة، فهذه الظروف يمكن أن نعتبرها كمؤثرات للتغيرات التي حدثت في المجتمع ،أو أنها دافع لظهور الحركات الإصلاحية، ولمعرفة هذه التغيرات التي حدثت في المجتمع الجزائري ،لابد أن نتطرق لأهم الأحداث التي مر بها الشعب الجزائري.

1-1 الأوضاع السياسية في الجزائر :

أهم ما ميز المجتمع الجزائري في هذه الفترة هو السيطرة الاستعمارية التي كانت بدايتها من تاريخ الخامس من جويلية 1830م، وهو تاريخ التوقيع على اتفاقية الجزائر، وقد أطلق بعض المؤرخين على هذه الاتفاقية اتفاقية الهدنة مع أنها في الواقع ليست أكثر من اتفاقية تسليم عسكري بين غالب ومغلوب²، وقد نصت المادة 05 من هذا الاتفاق على ما يلي :

¹ أحمد أمين، مرجع سابق، ص 349

² أحمد الخطيب، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأثرها الإصلاحي في الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، سنة 1985، ص 16

"حرية العمل بالدين الإسلامي، ضمان حرية جميع الطبقات والأديان ، والممتلكات، والتجارة، والصناعات واحترام كامل للمرأة الجزائرية"، أما المادة 2 فقد نصت على "احترام التقاليد الجزائرية ، وعلى أنه لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية"¹، فقد وعدت سلطات الاحتلال الجزائريين بالحرية في الدين والعمل والممتلكات، واحترام عاداتهم وتقاليدهم، وهو الوعد الذي لم يتحقق طوال احتلالها للجزائر.

"دخل المستعمر الفرنسي الجزائر بنية الاستيطان الأبدي، ولم يفكر مطلقاً في أن نهايته الحاسمة ستأتي طال الدهر أم قصر، وارتاح إلى نيته وثبت أركانه، ووطن نفسه وانغمس في بركة الأضاليل يروي ظمأه بلهف في اغتصاب خيرات البلاد واستعباد أهلها"²، بل وأكثر من ذلك فقد كان يؤكد في كل مناسبة أنه "ما جاء إلا لنشر الحضارة في الجزائر كما يشير إلى ذلك فريدريك أنجلز* الذي كان يعتبر أن غاية الاحتلال ماهي إلا التعجيل بتطوير الشعوب المتخلفة."³

وليحقق الاستعمار أهدافه ونواياه اتبع عدة أساليب ووسائل الغرض منها تحطيم الهوية الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، ومن أهم السياسات التي انتهجها في هذا المجال ما يلي:

*سياسة الدمج والفرنسة:

"لعل التاريخ لا يروي في مختلف عصوره محاولة كمحاولة فرنسا إدماج الشعب الجزائري في كيان المجتمع الفرنسي، وهي عملية تعتبر من أحدث ما ابتدعته الدول المستعمرة لضمان استمرار سيادتها واستحلاب

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت - لبنان، ط4، 1992، ج2، ص18

² محمد عباس، البشير الإبراهيمي أديباً، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1983م، ص9

³ صالح فيلالتي وآخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية مركز دراسات الوحدة العربية، ص18

الخير من الضحية.¹ ومن أجل ذلك أصدرت قرارا في 22 جويلية 1834 يقضي أو "ينص على أنّ الجزائر هي الجزء الجنوبي من فرنسا لدرجة أنّ الدستور الفرنسي تضمن نصوصا مبكرة يعتبرها مقاطعة من الجمهورية الفرنسية، تمثّل في البرلمان الفرنسي، وبناء على هذا القانون فقد أمطرت باريس على الجزائر من القرارات ما بلغ حوالي ثماني وخمسين قرارا في ظرف خمسة شهور، من بينها قرار ينشئ منصب حاكم مدني وآخر يلحق الجزائر مباشرة بفرنسا بواسطة دمج شؤونها في مختلف الوزارات بالحكومة الفرنسية في باريس.² والحقيقة أنّ سياسية الدمج هاته كان الغرض منها تأمين الحصانة القانونية للمعمرين و أن تجعل لهم اليد الطولى على الجزائريين، بل كانت تعتبرهم أقل من الفرنسيين وأنّ سياسة الخضوع والاستسلام هي التي يجب أن تفرض عليهم، وقد تمثلت هذه السياسة في ما يلي³:

- ✓ أنها أقامت إدارة جديدة على أنقاض الإدارة الجزائرية مفرنسة فرنسة كاملة في كل صغيرة وكبيرة.
- ✓ ثم قامت بفرنسة المحيط الاجتماعي الجزائري بحيث حولت أسماء الشوارع، والساحات العامة، والمعالم الأثرية، وأسماء المدن والقرى من أسمائها العربية الجزائرية إلى أسماء فرنسية، فمدينة الجزائر أصبحت "ألجي"، ومدينة العلمة إلى "سنطارنو"، وعنابة إلى "بونا"... أمّا الشوارع فلصّبحت تحمل أسماء قادة وزعماء فرنسيين مثل باسكال، ولافايات، وميشلي، وديزلي.. حتى إنّ الزائر للجزائر يعتقد أنّه في بلاد أجنبية.

مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة-

¹ الجزائر، ط1، 1140هـ، 1981م، ص27

² سعد الله أبو القاسم، أبحاث وآراء في تاريخ الجزا، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1، 1996، ص26

³ تركي رابح عمامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط2، 1424هـ/2003م، ص81-82

✓ كما أنّها أقامت منظومة تربوية جديدة مفرنسة هي الأخرى ، حيث استولت على المدارس والمعاهد العلمية والزوايا والمساجد، وحولت لغة التعليم من العربية إلى اللغة الفرنسية، وطبقت فيها النظام التعليمي الفرنسي.

✓ وأهم تشريع صدر في هذه السياسة هو القرار الذي ينص على أن الأهالي المسلمين هم رعايا فرنسيون ولكنهم يخضعون لأحكام الشرع الإسلامي، فإذا طلب أحدهم الجنسية الفرنسية فإنه يحصل عليها ولكنه يصبح في هذه الحالة خاضعا للقانون الفرنسي.¹

من خلال ما سبق ندرك أنّ الاحتلال الفرنسي عندما دخل الجزائر لم يكن بنية الفسحة أو التنزه، بل من أجل إقامة دولة فرنسية تمحو معالم ما كان قبلها وتحل محلها دولة فرنسية بكل مقوماتها السياسية والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية، مستخدمة في سبيل ذلك أعتى الأساليب وأقواها ولكن ورغم قوتها وجبروتها إلا أنّها لاقت معارضة ومقاومة شديدة، تمثلت في شكل أحزاب سياسية تحمل مطالب الجزائريين.

*قانون الأهالي (الانديجينا)

وهو الذي أظهر من خلاله الاستعمار الرّيات الحقيقية لفرنسا من سنّها لقانون الإدماج، إذ أنّها لم تكن تعني بالمساواة والمماثلة في هذا القانون سوى الأوربيين أو المستوطنين بإعطائهم الصلاحيات الكاملة على التصرف في الجزائر²، "صدر هذا القانون التعسفي يوم 26 جوان 1881م وهو مجموعة من التعليمات

¹ أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص20

² زيلوخة بوقرة، سوسولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا، إشراف بلقاسم بوقرة، مذكرة ماجستير جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م، ص81-82

والأوامر الصادرة عن الضباط العسكريين والحكام الإداريين والجهات التي تنظر فيما يرتكبه المسلمون الجزائريون من جنحٍ دون السلطات المحلية ، ويفهم من هذا القانون أنّ العقوبات كانت تقع على الجزائريين بكل يسر..¹ يفهم من هذا القانون الجائر أنّ على الجزائريين أن يلتزموا بالسمع والطاعة العمياء للمستوطنين دون مقاومة أو اعتراض، وبقي هذا القانون ساريا حتى عام 1945. وسنعرض في ما يلي أصناف السلطة التي يشمل عليها قانون الأهالي أو الأنديجينا²:

➤ سلطة الوالي العام الفرنسي ، توقيع العقوبات على الأهالي دون محاكمة وقد استمر العمل بذلك حتى عام 1944م.

➤ سلطة المسؤولين الإداريين بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم دون حكم قضائي.

➤ سلطة المديرية ذات الصلاحيات المطلقة، وسلطة قضاة الصلح بسجن الأفراد ومصادرة ممتلكاتهم.

➤ سلطة المحاكم الزجرية المختصة بالمسلمين.

يعتبر قانون الأهالي محاولة للقضاء على روح المقاومة عند الشعب الجزائري وطمس هويته و إخضاعه بسلطة القانون، حتى إنّ الفرنسيين أنفسهم استنكروا هذا القانون ، واعتبروه أشد ظلامية مما كان يعرف في العصور الوسطى بمحاكم التفتيش .

*سيطرة المستوطنين :

¹ عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس أنموذجا، دار الهدى عين مليلة -الجزائر، ج1

ص61

² زيلوحة بوقرة، مرجع سابق، ص83

"من الغريب أنّ بعض مؤرخي فرنسا وكتابها وفقهائها اعتبروا القطر الجزائري قطرا شاغرا، وليس له من سيادة سابقة، رغم أنهم لم ينكروا مقاومة سكانه للمدّ الفرنسي على الجزائر"¹، ولكن الحقيقة من وراء هذا الاعتبار هو إغراء الأوربيين وتشجيعهم على الهجرة إلى الجزائر، ذلك أنّ الاستعمار الفرنسي جعل منذ البداية نصب عينيه هدفا رئيسيا، وهو تهيئة الجزائر وتعميرها بسكان أوربيين يملكون محل الجزائريين²، واقتضى المخطط الفرنسي منذ بداية الاحتلال تعمير الجزائر بالمعمرين لاستغلال الجزائر ونهبها وإقامة حكم ثابت فيها كما يقول الجنرال بيجو: "إن الدولة إذا رغبت في إقامة حكم ثابت في إقليم خارجي يجب أن لا تكتفي بإخضاعه عسكريا وسياسيا فقط، بل لابد من نشر عنصرها فيه، وبالتالي يجب على الحكومة أن تتولى بنفسها عملية نقل المهاجرين، وشق الطرق وتعميدها، وتخطيط المدن وبناء المساكن، ومد المهاجرين بالحبوب والمواشي في السنوات الأولى من هجرتهم إلى أن يصبحوا قادرين على استغلال الأراضي بأنفسهم."³ وبناء على هذه السياسة ازداد تدفق المهاجرين إلى الجزائر بصورة مروعة، حتى بلغ عدد المستوطنين في سنة 1911م (562931 مستوطنا)⁴ واستولى هؤلاء المهاجرين على الأراضي الخصبة الجيدة بينما تم ترحيل الجزائريين إلى المناطق القاحلة بغرض عزلهم وإبادتهم.

* سياسة التجنيد الإجباري :

¹ أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص 28

² المرجع نفسه، ص 28

³ المرجع نفسه، ص 29

⁴ المرجع نفسه، ص 30

تعتبر هذه السياسة من أكبر السياسات التعسفية التي طبقتها فرنسا على الشعب الجزائري ، والتي لاقت معارضة شديدة من معظم فئات الشعب الجزائري، "وتأتي أهمية التجنيد الإجباري في أنه يفرض على الجزائريين القيام بواجبات المواطن الفرنسي دون التمتع بالحقوق التي يكفلها القانون للمستوطنين".¹ إن هذه السياسة التعسفية هي فكرة ترجع إلى السنوات الأولى من الاحتلال الفرنسي للجزائر ، من أجل تعزيز قوتها وإخماد أي مقاومة تلو رايتهما في الأفق، وللتوغل في أعماق البلاد لإحكام سيطرتها عليها، حيث تعود أول فكرة "لتجنيد الجزائريين في صفوف الجيش الفرنسي إلى الكونت دي بورمون قائد الحملة العسكرية الغازية لمدينة الجزائر في جويلية 1830، حيث أكد أن التوغل في أعماق هذا الوطن يستدعي تدعيم جيش الاحتلال بالعناصر المحلية لإحكام سيطرتها".² وفي سنة 1912 أقرت السلطات الاستعمارية على "ضرورة تجنيد الشباب الجزائري في الجيش الجزائري ، وبمقتضاه تتكفل وزارة الحربية بمهمة تحديد عدد المجندين وتقسيمهم، على أن تكون مدة الخدمة العسكرية ثلاث سنوات، لذلك طالب المثقفون الجزائريون إعادة النظر في الشروط الخاصة بالتجنيد، فالجزائري ليس بمرتزق، بل طالبوا بلأن يتمتع المجند الجزائري بنفس قوانين وامتيازات المجند الفرنسي . " ونتيجة لهذه السياسة المحففة التي جعلت المجتمع الجزائري يعيش في حالة اضطراب، بدأ الشباب الجزائري يشد الرحال إلى البلاد المجاورة، فبدأت الهجرات الجماعية نحو المشرق العربي

¹ مازن صلاح مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية 1349-1358هـ-1931-1939م، إشراف

الدكتور محمد عبد الرحمن برج، مذكرة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، 1984-1985م، ص18

² محمد بجاوي، المجندون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1900م، إشراف شاوش حباسي، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث،

جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005-2006، ص19

والمغرب حتى بلغت أوجها " و آتت أكلها عندما تحولت إلى حركات سياسية ، ونواد ثقافية ، وأدوار قيادية وصلاتٍ تواصلٍ مع الوطن.¹

1-2 الواقع الاجتماعي في الجزائر :

إنّ الدارس للتركيبية السكانية للمجتمع الجزائري قبل الاحتلال الفرنسي ، يجد أنّها تتكون من أربع طوائف اجتماعية كبرى، وهي: الجزائريون ، والأتراك، والمسيحيون، واليهود، وقد تراصت هذه الطوائف مع بعضها مكونة طبقتين متباينتين هما :

- "طبقة عليا تتألف من الأرستقراطية السياسية ، أي الحكام ورؤساء العشائر والأرستقراطية الدينية أي الأشراف المرابطون، ورؤساء الطرق الصوفية، وإقطاعي الأرض، وكبار التجار.
- أما الطبقة الدنيا فكانت تشمل بقية أفراد المجتمع، لأن السمة الغالبة على المجتمع في ذلك الوقت هي الفلاحة والرعي، وإلى جانب هذه الطبقة الواسعة كانت توجد فئة ضئيلة مميزة من سكان المدن تتكون من المتعلمين والقضاة وصغار التجار وتشكل ما يسمى ببرجوازية المدن.²

رغم هذه الفوارق التي ميزت المجتمع الجزائري إلا أنه كان يعيش في أمان وسلام واستقرار .. لكن بمجيء الاحتلال الفرنسي لم تلبث تلك الروابط الاجتماعية المتماسكة تتفكك بفعل السياسة الاستعمارية الساعية إلى ذلك، فانقسم المجتمع الجزائري إلى مجموعتين اجتماعيتين مختلفتين هما: "المجموعة الفرنسية وفيها الطائفة

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص196

² عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، مرجع سابق، ص100

اليهودية، والمجموعة الجزائرية الإسلامية¹ وهكذا أصبحت تركيبة المجتمع الجزائري التي لا تمت له بصلة من الصلات، واستكمالا للمشروع الفرنسي الإجرامي الذي أدرك منذ البداية أهمية العلاقات الاجتماعية التي تربط بين أفراد المجتمع وعاداته وتقاليده، وأن الإسلام هو القوة المحركة والموحدة لهذا الشعب، اتبع عدة طرق وأساليب توصله إلى مبتغاه فعمد إلى حرمان الشعب من متطلبات الحياة الضرورية، من ماء وغذاء كما عمد إلى إحراق الغابات والمزارع والحقول والبساتين، وتدمير القرى والمدن وردم العيون والآبار.² لم يكتف المحتل بهذا الإجحاف والظلم الممارس على الشعب الجزائري، بل قام بما هو أنكى من ذلك حين قام بطرده من أراضيه وممتلكاته وتشريده في المناطق النائية. "وفي هذا الشأن أصدر الجنرال بيجو في 14 ماي 1840 تصريحاً مشهوراً قال فيه: حيثما وجدت مياه غزيرة وأراضي خصبة يجب أن يقيم المستعمرون الأوروبيون بدون الاهتمام بالسؤال عما يملك تلك الأراضي.³ وتبعاً لهذه السياسة الظالمة ظهرت "المجماعات المختلفة، والأوبئة الفتاكة، كالكوليرا، والتيفيس، وأمراض خطيرة مثل السل والسرطان، وأمراض أخرى وافدة على المجتمع الجزائري لم يعرفها من قبل إلا بمجيء الاحتلال.⁴ بالإضافة إلى هذا، فقد انتشرت البطالة في أوساط المجتمع الجزائري بصورة واضحة، حتى أن صحيفة "النجاح" كتبت مقالا بهذا الشأن يقول فيه صاحبه: "إذا مررت بأهجننا وعلى حوماتنا، وعلى مقاهينا تجد السواد الأكبر مشغولاً بالقال والقييل، والعكوف على الميسر بالمقاهي.. البطالة في الأمة فاشية جداً.."⁵ فالسياسة الاستعمارية لم تعدم وسيلة في سبيل إضعاف

¹ المرجع السابق، ص 100

² زيلوخة بوقرة، مرجع سابق، ص 108-109

³ تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 83

⁴ زيلوخة بوقرة، مرجع سابق، ص 109

⁵ مازن صلاح حامد مطبقاني، مرجع سابق، ص 30

المجتمع وبث الوهن والفرقة فيه إلا واستخدمتها، ولعل أخطر ما استعملت من وسائل سياسة "فرق تسد" التي أحدثت خلافات مذهبية من حنفية، ومالكية، وإباضية، إضافة إلى الخلافات العرقية فهذا عربي وهذا قبائلي وهذا ميزابي، والهدف من كل هذه الفتن التي ييئسها المحتل الفرنسي هو إحداث شروخ وفجوات بين أبناء الوطن الواحد، لزعزعته وتفكيك وحدته .. هذا غيظ من فيض السياسات التي ابتدعها الاحتلال وجعل الجزائر مسرحا لتطبيقها، وهنا لا بأس من أن نذكر ما كتبه المفكر الألماني فريدريك أنجلز سنة 1858 عن جرائم الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، فيقول: "من الوهلة الأولى لاحتلال الجزائر من طرف الفرنسيين وحتى الوقت الحالي فإن هذا البلد الشقي كان طوال هذه الفترة مسرحا لأحداث دموية ونهب وعنف.. إن هذه الحرب الشرسة التي قامت بها فرنسا هي ضد كل القيم الإنسانية والحضارية والمسيحية، إن ما يمكن قوله عن الجزائر هو أنها مدرسة حربية للجنرالات والجنود الفرنسيين، فكل الضباط الذين تحصلوا على ميداليات في الحرب الإجرامية أجروا تدريباتهم العسكرية والتربوية بالجزائر ، وفي الحقيقة أن مثل هذه الشهادة لم تصدر من أنجلز إلا بعد أن تؤكد فعلا من الجرائم التي ارتكبتها الاستعمار الفرنسي في حق الجزائريين"¹

1-3 الواقع الديني في الجزائر :

أدرت فرنسا منذ بداية احتلالها للجزائر أن الإسلام هو المحرك الأساسي للشعب الجزائري، والقوة الفاعلة فيه "هو الدين الذي يدين به تسعة وتسعون بالمائة من الجزائريين وكانت أماكن العبادة من مساجد وزوايا منتشرة في المدن والأرياف ، يؤمها الناس من كل حدب وصوب لأداء شعائرتهم بكل حرية واقتناع.. بل كانت كل من الديانتين المسيحية واليهودية محترمة يؤدي أصحابها طقوسهم الدينية في كنائسهم أو معابدهم

¹ صالح فيلاي، مرجع سابق، ص110

بكل حرية أيضا.¹ من أجل ذلك ركزت فرنسا جهودها على ضرب الإسلام والقضاء عليه ، مدفوعة بحقد صليبي أعمى ، ورغبة جامحة في انتزاعه من جذوره ، وهذه النبرة الحاكمة نلمسها في تصريحات زعمائهم وقادتهم ورجال الدين المسيحيين الذين لم يتركوا فرصة أو مناسبة إلا وأظهروا هذا العداء للدين الإسلامي ، ومن بين هذه التصريحات ما جاء على لسان الجنرال بيجو: "إنّ أيام الإسلام الأخيرة قد حانت، ولن يكون في الجزائر كلها بعد عشرين عاما من إله يُعبد غير المسيح.. وإذا ما ارتبنا في هذه الأرض أنّها ستبقى لفرنسا فمن الجلي على الأقل أن الإسلام قد فقدها.. إنّ العرب لن يكونوا لفرنسا إلا حينما يصبحون مسيحيين."² وهذا تصريح آخر لأحد السياسيين الفرنسيين مبررا سبب الحملة على الإسلام "هو خوفها من استحالة تعليماته ودروسه وعظاته إلى إيمان يملأ نفوس الأفراد والجماعات ، وبالتالي تستيقظ هذه الروح النائمة فتهدد كيان وجودها في الجزائر."³ وبناء على هذه التصريحات جاءت فرنسا بمجموعة من الوسائل والأساليب التي تبعد الجزائريين عنه، إما إلى المسيحية عن طريق سياسة التبشير والتنصير ، أو تحويلهم عن الدين كلياً، فلا يبقى لهم دين ولا انتماء ولا شخصية يتميزون بها. ويمكن أن نجمل هذه الأساليب في النقاط التالية :

-استهداف المساجد :

¹ بشير فايد، قضايا العرب والمسلمين في آثار الشيخ البشير الإبراهيمي والأمير شكيب أرسلان، إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف أطروحة دكتوراه العلوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م، ص81

² خيرة عبدي، المنهج العقدي في بناء المجتمع الإسلامي عند رجال الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ حسن البنا أنموذجا إشراف الدكتور سعيد رحمان، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر، 2013-2014، ص83

³ أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص48

بدأت فرنسا منذ احتلالها الجزائر واستيعابها لدور المساجد في تهديب النفوس وشحن الهمم وحملها على الدفاع عن أرضها مما أقلق المحتل وقض مضجعه، فشن حملة واسعة مسعورة متناسيا بذلك المادة 02 من اتفاق الجزائر التي تنص على عدم دخول الجنود الفرنسيين المساجد الجزائرية ، لكن ما حدث هو خلاف ذلك، حيث بدأت في إصدار أحكام وقوانين تبيح لهم الاستيلاء على أملاك الأوقاف، حيث "صدر قرار 30 أكتوبر 1858 الذي أدخلت بموجبه أملاك الأوقاف في مجال التبادل التجاري.. ونتيجة لهذا التصرف الاستعماري، أغلقت السلطات الفرنسية في مدينة الجزائر 13 مسجدا كبيرا و108 مسجدا صغيرا، و32 جامعا، و12 زاوية، وتم تحويل العديد من المساجد إلى اسطبلات ومستودعات ، ومستشفيات عسكرية، و ك نائس ومن بينهم مسجد كتشاوة المشهور الذي حوله الجنرال دي روفيغو سنة 1832 إلى كنيسة، فنصب الصليب وعلم فرنسا على الصومعة بمباركة البابا غرغوار رغم معارضة المفتين ، والسكان الذين سقط العديد منهم قتلى دفاعا عن المسجد ."¹ وقد وصف البشير الإبراهيمي هذا الاعتداء السافر على المساجد بقوله: "فقد حولت بعض المساجد الكبرى إلى كنائس، وعمرتها برجال الكنيسة المسيحيين وناهيك بمسجد كاتشاوة العظيم الذي صيرتها كاثدرائية عظمت في العاصمة ، وكأنها فعلت ذلك لتجعله عنوانا لما تبيته للإسلام من شر، ونذيرا للمسلمين بما يرتقبهم ودينهم من ويل، ودليلا مثلا على أن احتلال فرنسا للجزائر كان حلقة من الصليبية الأولى ولا غرابة في ذلك ."² إن هذه الحملة الشرسة على المقدسات الإسلامية هي عناوين بثتها الإدارة الفرنسية لتبين للشعب الجزائري ما تبيته للإسلام من شر وويل ولا غرابة في ذلك لعم قال الإبراهيمي .

¹ عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، ط1، 2002، ص124

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص163

– الاستيلاء على الأوقاف ومصادرتها:

كانت تمثل نسبة الأوقاف في كامل أنحاء الجزائر 66% من إجمالي الأملاك العقارية والزراعية، وكانت عوناً مادياً يساعد أبناء الجزائر في تسيير شؤونهم اليومية ، كالتعليم والإشراف على المساجد وبعض الأمور الاجتماعية، فكانت دعماً لهم تسد باب الفاقة والحاجة عنهم ولكن هذا المورد الخصب ما لبث أن نضب بفعل السياسة الفرنسية الجائرة التي حولت لنفسها التصرف فيه بعد أن أصدرت قراراً في 8 سبتمبر 1830 واستولت بمقتضاه على جميع أملاك الأوقاف، مخالفة بذلك كل الوعود التي قطعتها على نفسها في بداية الاحتلال بعدم المساس بكل المقدسات الإسلامية للشعب الجزائري¹، لقد أصبحت جميع الأوقاف الإسلامية ملكاً للحكومة الفرنسية بعد سلسلة الانتهاكات التي مارستها من أجل تصفية كل أملاك الأوقاف، لأنها تتعارض مع السياسة الاستعمارية على حد قول أحد الكتاب الفرنسيين "إن الأوقاف تتعارض والسياسة الاستعمارية، وتتناقى مع المبادئ الاقتصادية التي يقوم عليها الوجود الاستعماري الفرنسي في الجزائر."²

– محاربة القضاء الإسلامي :

إضافة لما سبق من جرائم وحشية ارتكبتها الاستعمار الفرنسي ضد الإسلام ، للقضاء على كل مظاهره من تدمير للمساجد، واغتصاب للأوقاف، كل ذلك الإجرام لم يروّظهم أهواً وحققه الجارف على الإسلام بل

ينظر محمد زاهي، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1830-1870م، إشراف الدكتور حنيفي هلايلي، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م، ص 1356

² عمورة عمار، مرجع سابق، ص 124

تمادى أكثر ليصل إلى القضاء الإسلامي على اعتباره الرابط الذي يربط المسلمين بالإسلام، من خلال تنفيذ الأحكام الدينية والدينيوية، وكل ما يخص المسلم في أمور دينه ودينه، لذلك قضى الاحتلال الفرنسي بضرورة القضاء عليه لتنفيذ مشروعه التنصيري الهامجي ، "فقد أصدرت فرنسا منذ بداية الاحتلال مجموعة من القوانين التي تحدد صلاحية القضاة المسلمين ، حتى لم يعد لهم حسب مرسوم 7 يونيو 1889 سوى حق النظر في قضايا الزواج والطلاق والموارث ، وكان قد سحب منهم من قبل وفي مراسيم مختلفة حق النظر في قضايا الملكية وغيرها ، وذلك بموجب قانون 26 يوليو 1873¹ وعلى هذا الأساس فقد تجرد القضاء الإسلامي من كافة الصلاحيات المنوط بها وتقلص دوره وانحصر في مسائل بسيطة كمسألة الزواج والطلاق مثلاً، كما استبدلت أحكام الشريعة الإسلامية بالعرف والعادات والتقاليد.

- سياسة التنصير:

إن السياسة التنصيرية هي الهدف الأسمى من وراء ما قامت به الحكومة الفرنسية، من خلال استهدافها للدين الإسلامي ومؤسساته من مساجد ، وقضاء إسلامي، وأوقاف إسلامية، فهذه النوايا التنصيرية كانت واضحة المعالم منذ بداية الاحتلال ، ونظراً للظروف الخائبة التي يعيشها الشعب الجزائري على كافة الأصعدة أقبل الاحتلال على هذا المشروع مستخدماً رجال التبشير والتنصير ، الذين جاؤوا معه في حملته على الجزائر وبدأ هؤلاء في تنفيذ ما جاؤوا من أجله لبيعاز من الحكومة الفرنسية "وقد ظهرت هذه الروح الصليبية من خلال تصريحات المسجونين الفرنسيين، فبعد أن تم احتلال مدينة الجزائر ، دعا القائد الفرنسي المرشدتين العسكريين إلى حفل بهذه المناسبة خاطبهم فيه قائلاً: قد فتحتم من جديد معنا باب المسيحية في أفريقيا ، ورجاؤنا أن

¹ حامد مطبقاني، مرجع سابق، ص36

تزدهر فيها عما قريب الحضارة التي كانت وانطفأت فيها ¹. وقد بين البشير الإبراهيمي أهداف هذا المخطط التبشيري لضرب الإسلام في دياره ، يقول في ذلك: "جاءت فرنسا إلى الجزائر بالراهب الاستعماري لتفسد به على المسلمين دينهم ، وتفتنهم به عن عقائدهم ، وتشككهم بتثليثه في توحيدهم وتضار في ألسنتهم كلمة "الهادي" بكلمة "الفادي" ، ذلك كله بعد ما أمدته بالعون، وضمنت له الحرية ، وكفرت به هناك لتؤمن به هنا." ² لقد استغل هؤلاء التبشيريون البؤس والفقر والجوع الذي استبد بالجزائريين فتربصوا بهم الدوائر كما يفعل الذئب بفريسته قبل أن ينقض عليها ، وهو ما يصفه الإبراهيمي في قوله: "وإذا الراهب المبشر ذئب فلاة يتربص اليتيم لينصر الأبناء، والمجاعات ليفتن الآباء، فكأن من وصايا المسيح عنده أن لا يطعم البطن إلا إذا أخذ القلب، وأن لا يكسو الظهر إلا بالتحريد من الدين ، ولا ينشر تعاليم المسيح إلا باستغلال أزمات الضعفاء والبائسين!... حاشا لدين المسيح عليه السلام وكلمته التي ألقاها إلى مريم أن يكون هذا طريقه إلى النفوس.. إن المسيح كان عدوا للظلم والباطل، وإن الاستعمار أقبح باطل وأشنع ظلم على وجه الأرض، فهل يعد من اتباع المسيح وورثة هديه من ينصر الاستعمار ³. هذه هي السياسة الفرنسية، وهذا هو المشروع التنصيري الحقيير الساعي لإخراج الجزائريين من نور الإسلام إلى ظلام الكفر والاستعمار، وقد استعانت لدعم هذا المشروع القذر بنشر البدع والخرافات التي يروجها رجال الطرق الصوفية المنحرفين.

- الطرق الصوفية :

¹ مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار البشير جدة، ط2، 1420هـ-1999م، ص15

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص96

³ المصدر نفسه، ص97

في هذه الفترة التي عرفت انحطاطا وتدهورا بكل المقاييس وفي كافة المجالات، وتكالبا من الإدارة الفرنسية على هذا الشعب المهين، لنهش لحمه وتقطيع أوصاله، ازدهرت الطرق الصوفية المنحرفة، التي لاقت كل التشجيع من الإدارة الفرنسية، وقد كانت قبل ذلك تلعب دورا رياديا في محاربة الاستعمار وتدمير مخططاته من خلال الثورات والمقاومات، كمقاومة الأمير عبد القادر، ومقاومة المقراني، ومقاومة الشيخ بوعمامة، وثورة أولاد سيدي الشيخ، والقبائل وغيرها، ولكنها انتكست بمرور الأيام وأصبحت تمشي في ركاب الاحتلال الذي عرف كيف يجذبها إليه بتقديمها إلى المناصب العليا، كقياد وباشغوات وقضاة حتى أن الشيخ أحمد التيجاني صاحب الطريقة التيجانية تزوج من فرنسية وكانت تعمل جاسوسة لصالح فرنسا¹، لقد ابتعد هؤلاء الطريقين عن المنهج السلفي حين أغرقتهم فرنسا بالمال والجاه والمناصب الرفيعة، فاستمالتهم إليها لغرض خبيث في نفسها، وهو نشر الفكر التخديري والمعتقدات الفاسدة البعيدة عن العقيدة الإسلامية الصحيحة بغرض إبعادهم عن الجهاد وتثيبتهم في الاستعداد للكفاح، وطردهم المحتل على اعتبار أنه من القضاء والقدر الذي يجب التسليم به والركون إليه، يقول أحد المؤرخين المعاصرين: "إن الحكومة تمكنت من استجلاب الطريقة إلى جانبها، تمدها بالمساعدات وتحميها فكان من الطبيعي في نظر العلماء أن تصبح خدمة الطريقة خدمة للأجنبي ودعائمه".² ومن هنا نشأ الصراع بين العلماء المصلحين والطريقة، واحتدم بشراسة كبيرة بسبب ما كانت تقوم به هذه الطرق من نشر للبدع والخرافات والدروشة والضلال والتفريق بين الناس، وفي هذا السياق يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس: "بالرغم ما في الأمة الجزائرية من أصول الحيوية القومية فقد عكرتها البلايا والحن حتى استخذت وذلت وسكنت على الضيم، ورضيت بالهوان، وبالرغم ما بينها من روابط

¹ حامد مطبقاني، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، مرجع سابق، ص 35

² حامد مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرياني، مرجع سابق، ص 111

الوحدة المتينة فقد عملت فيها الطريقة المحركة تفريقا وتشتيئا حتى تركتها أشلاء لا شعور لها ببعضها ولا نفع..¹ وهكذا وبعد أن استنفذت فرنسا جميع قواه ا في سبيل تشويه صورة الإسلام في قلوب وعقول الجزائريين وحولته إلى صورة باهتة لا يستطيعون رؤية تعاليمه ومبادئه بينهم ، إلا أن الجزائريين ظلوا على فطرتهم التي فطروا عليها رغم أن الكثير منهم ضلَّ باتباعه لهؤلاء الطرق المنحرفة التي سلكها الاستعمار في سبيل إبعاده عن دينه ، ولكن الله قيض لهذا الدين من يعلي رايته ويحيي تعاليمه ومبادئه في صورة أولئك المصلحين المخلصين الذين تحدوا سلطة الاحتلال وجبروته ، وعملوا ليلا ونهارا في سبيل تخلص الدين وأهله من قبضة الاحتلال ومبشره.

1-4- الواقع الثقافي في الجزائر:

كانت الجزائر قبل الاحتلال تعرف حركة ثقافية واسعة ومستمرة ، تتولى نشرها المساجد والمدارس والزوايا والكتاتيب القرآنية وقد أكد انتشار التعليم والثقافة عموما ، الضباط الفرنسيون الذين قادوا الحملة العسكرية سنة 1830م فقد ذكروا أن الأمية كانت منعدمة تقريبا في الجزائر بشكل لافت ، حتى بالمقارنة مع فرنسا نفسها التي كانت فيها الأمية أكثر من الجزائر ، وكانت المدارس منتشرة في المدن والأرياف على حد سواء² وهذه شهادة أحد الجنرالات وهو الجنرال فيالارا على انتشار الثقافة وذيوعها في الجزائر إذ يقول : "أنَّ العرب يتقنون كلهم القراءة والكتابة وفي كل قرية كانت توجد مدرستان وكان عدد المدارس يناهز ألفي مدرسة"³ وإن لم تكن هذه الثقافة بالقدر الذي يقارن مع ما كانت عليه أوروبا من تطور علمي ومادي ، إلا أنها

¹عمار الطالبي، آثار ابن باديس، ج2، م2، الشركة الجزائرية - الجزائر، ط1، 1388هـ-1968م، ص367

²عبد الكريم بوصفصاف، الفكر العربي الحديث والمعاصر، ص127

³المراجع نفسه، ص128

كانت أحسن حالا وأكثر انتشارا مما آلت إليه بعد الاحتلال الذي عمل منذ وطئت أقدامه ثرى الجزائر وأدرك حالة الجزائريين الثقافية المنتعشة حتى عمل على القضاء عليها ، ليفسح المجال لثقافته بالانتشار والذیوع ومن ثمة يكون الطريق سهلا نحو الاندماج ، فسلك سياسة التغريب والتجهيل "وضمن نجاح التغريب يكمن في العزل القسري للمقومات الحضارية للتراث العربي الإسلامي في الجزائر ، وتغيير الهوية الثقافية السائدة، ومن ثم على الجزائر أن تكون فرنسية في كل شيء، وأن تنسى ذاكرتها وجسور اتصالها بالماضي دفعة واحدة وإلى الأبد." ¹ وتطبيقا لهذه السياسة عمد الاحتلال الفرنسي كما أسلفنا الذكر سابقا إلى إغلاق المساجد والكتاتيب والزوايا والمكتبات لأنها الممول الرئيسي للنشاط الديني والتعليمي والثقافي كما أنه ركز على محاربة التعليم الإسلامي لأنه هو الدافع للمطالبة بالاستقلال كما تأمر بذلك الشريعة الإسلامية. وقد ارتكزت سياسة التغريب على قاعدتين اثنتين :

✓ الأولى: هدم التعليم الجزائري بعنصره الإسلام واللغة والعربية.

✓ والثانية: فقد تمثلت في بناء هوية جديدة عن طريق فرسة الثقافة .²

ولعل قول النائب الفرنسي "تانغ فيل" يوضح بالدليل الفعلي سياسة الهدم والتشييد الجديدة للهوية الجزائرية فيقول: "إن المجتمع الجزائري لم يكن غير متمدن ، بل كانت مدنيته إلا متأخرة وناقصة.. وكان يحتوي على الكثير من المؤسسات الدينية مهمتها البر والإحسان ونشر التعليم في جميع أنحاء الجزائر، وقد استحوذنا على مداخيلها وحرفناها عن أهدافها وقضينا على الجمعيات الخيرية وخرّبنا المدارس فهدمت دعائم العرفان ،

¹ المرجع السابق، ص 131

² المرجع نفسه، ص 131-132

وشتتنا شمل الزوايا... لقد انطفت في الجزائر مشاعل العلم، وأهملنا العلماء والفقهاء المسلمين ، فصاروا قوما بورا وقذفنا بالمسلمين الجزائريين في البؤس والجوع ، فأصبحوا ينادون ويلا وثبورا، ثم رمينا بهم في حالة أكثر همجية مما كانوا عليه، فسخطوا علينا سخطا كبيرا...¹

إنَّ الحديث عن الهمجية والحراب الذي أحدثته فرنسا في هذا الجانب الثقافي يطول كثيرا طول بقاءها في الجزائر، ولكن حسبنا أننا ذكرناه لنبين حقدنا وكرهها الذي جاءت به لتبته في ثنايا شعب لم يجد قيد أنملة عن قيمه ومقوماته الشخصية العربية والإسلامية .

2- نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر :

مع مطلع القرن العشرين، عرفت الجزائر ظهور حركات إصلاحية بدأت ترسم معالمها بوضوح متأثرة بالفكر الإصلاحي في بلاد المشرق ، والذي أطلقه نخبة من المصلحين المخلصين من أمثال جمال الدين الأفغاني، ورشيد رضا، ومحمد عبده، وهذا الأخير يعتبر عاملا من العوامل في نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر كما ذكر ذلك البشير الإبراهيمي في سجل المؤتمر إذ يقول : "ويرجع تكوين الحركة الإصلاحية على هذه الصورة إلى العوامل التالية : -العامل الأول : نوازع جزئية محدودة أحدثتها في النفوس المستعدة الأحاديث المتناقلة في الأوساط العلمية عن الإمام عبده ولو من خصومه المعنيين في التشنيع عليه وسبه، ولعنه، فكانت تلك الأحاديث تفعل فعلها في النفوس المتبرمة من الحاضر، والمستشفرة إلى تبدليه بما هو خير .. ويضاف إلى هذا العامل قراءة المنار على قلة قرائه في ذلك العهد واطلاع بعض الناس على كتب

¹ المرجع السابق، ص132

المصلحين القيمة، ككتب ابن تيمية ، وابن القيم ، والشوكاني.¹ "ولاشك في أن دعوة الإمام محمد عبده قد أثرت في الكثير من رجال الجمعية حيث يقول أحدهم "لا نزاع في أن أول صيحة ارتفعت في العالم الإسلامي بلزوم الإصلاح الديني والعلمي في الجيل السابق لجيلنا، هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الشيخ محمد عبده رضي الله عنه " ² يضاف إلى هذا العامل الأساسي عوامل أخرى سنذكرها كما ذكرها الإمام الشيخ البشير الإبراهيمي في سجل المؤتمر.

-العامل الثاني: "الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس بدروسه الحية، والتربية الصحيحة التي كان يأخذ بها تلاميذه، والتعاليم الحقة التي كان يبثها في نفوسهم الطاهرة النقية ، والإعداد البعيد المدى الذي كان يخذي به أرواحهم الوثابة الفتية فما كادت تنقضي مدة حتى كان الفوج الأول من تلاميذ ابن باديس، مستكمل الأدوات من فكرٍ صحيحة، وعقول نيرة، ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة .."³ فهاذان العاملان كان لهما دور كبير في انبعاث الحركة الإصلاحية في الجزائر، مبشرة بوجهة جديدة في الإصلاح بجميع جوانبه "والحقيقة أن حركة التعليم في الجزائر والتي تعتبر نواة لحركة الإصلاح الديني ترتبط بدروس الشيخ عبد الحميد بن باديس في مساجد قسنطينة وفي غيرها، ثم سفره وتعرفه على العلماء والاستفادة منهم، ثم عودته هو والإبراهيمي ، والعقبي كان إيذانا بالانطلاقة الكبرى لحركة الإصلاح"⁴ وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي "ولقد بدأت معجزة البعث تتدفق من كلمات ابن باديس فكانت

¹ سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة -الجزائر، ص37

² المصدر نفسه، ص 32

³ المصدر نفسه، ص37-38

⁴ مازن صلاح حامد مطبقي، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية، ص44

تلك ساعة اليقظة .¹ يضاف إلى ذلك "عودة فجة من أبناء الجزائر البررة المخلصين من الحجاز بالهدى

المحمدي الكامل ، متأثرة بالإصلاح تأثرا خاصا مستمدا قوته وحرارته من كلام الله وسنة رسوله

مباشرة."² وآخر ما يضاف إلى هذه العوامل هو "الحرب العالمية الأولى وما أحدثته في نفوس الناس من

انحطاط قيمة المقدسات الوهمية، ومما أعان على نمو هذا الأثر في النفوس تطور زعماء التخريف و أساطين

التدجيل بالانكباب على المال ، والتكالب في جمعه ، والانهماك في الملذات ومزاحمة العامة في الوظائف

والنياشين بعد أن كانوا وكان سلفهم القريب يتظاهرون بالبعد عن هذه المواقف.. كل هذه المؤشرات مجتمعة

أخرجت رجالا "ظهروا بفكرة إصلاحية محدودة، ولكنها على كل حال محمودة " ³ من أمثال الشيخ صالح

بن مهنا، والشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ عبد الحلیم بن سمایة، والشيخ محمد بن خوجة " وذلك قبل أن

يظهر الإصلاح التعاوني ويزخر عبا به وتتسق أسبابه، فقام هؤلاء الرجال بمحاربة البدع في دوائر ضيقة وكان

لهم في القضاء على بعضها مساع موفقة، ولهم في ذلك نيتهم وقصدتهم"⁴ .

وكان لا بد أن تلقى هذى المساعي الإصلاحية رفضا ومعارضة ،الأولى "كانت سياسية من قبل السلطات

الاستعمارية التي اجتهدت بكل ما أتيت من جبروت على تعطيل مسار الحركة بدءا باضطهاد أصحابها

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، دار الفكر - بيروت 1969، ص30

² سجل جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص38

³ المصدر نفسه، ص39

⁴ المصدر نفسه، ص39

وملاحظتهم وتوقيفهم لينتهي بهم الأمر إلى السجون والإبادة، أما الثانية فكانت مع ارضة دينية، وهي ذات جانبين: جانب أجنبي يمثله المستعمر، وآخر محلي يمثله رجال الصوفية والطرقين.¹

3- رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر :

إن الحركة الإصلاحية في الجزائر لم تكن وليدة الصدفة ، بل كانت نتيجة لجهود علماء جزائريين مثقفين ، هالهم ما يعيشه الواقع الجزائري من انغماس في البدع والانحرافات والجهل والتخلف ، فاحتضنوا فكرة الإصلاح، وجاهدوا في سبيل نشرها والعمل عليها في الواقع ، وكان من بين هؤلاء العلماء كما ذكرنا سابقا الشيخ صالح بن مهنا (1854-1910)، والشيخ عبد القادر المجاوي (1848-1914)، والشيخ عبد الحليم بن سماية (1886-1933)، والشيخ محمد بن الخوجة (1865-1917)، ومحمد بن الموهوب (1866-1939)، ومحمد بن شنب (1869-1929)، وغيرهم.

"تمثل إسهامات هؤلاء الرواد اللبنات الأولى على طريق اليقظة العامة بما أسهموا به في تصحيح العقيدة ، وإحياء المقومات والدعوة إلى الأخذ بأسباب العلم"² على الرغم من المعوقات والصعوبات التي واجهها هؤلاء الرجال، إلا أن عزمهم لم ينثن لأن الهدف أسمى والهمم عالية، فكان عملهم "عملا شريفا لأنهم مهدوا السبيل لخلفهم، فلو لا جهودهم وسعيهم لما وجد الأمير خالد بعد الحرب الأولى من الشعب الجزائري عضادة ولا نصرا، ولا وجد الشيخ عبد الحميد بن باديس في ذلك الوقت عقولا مهياة لفهم دعوته البعيدة

² محمد عباس، مرجع سابق، ص19

² محمد بن سمينة، ملامح من إسهامات الشيخ محمد البشير الابراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر، مجلة الموافقات، ص494

المرامي وإدراك جهاده في سبيل تحرير هذا البلد..¹ " هذه الأصوات التي ارتفعت بالإصلاح كانت تدعو إلى تحرير العقول من الأوهام والخرافات والبدع والمنكرات التي رسخها دعاة الصوفية في أذهانهم، وهم جيل الإصلاحيين الأول، ثم توالى بعدها الصيحات وزادت حدتها دون أن تقلل من شأن ما قبلها " وكان أصدقها وأقربها إلى نفوس جمهور الأمة، وأكثرها تمثيلاً لتطلعاته هو صوت الأمير خالد (1875-1936) وهو يجهر بالحق المغتصب ويدعو إلى جمع الشمل للنهوض بواجبات الدين والوطن، فكانت دعوته النواة الحقيقية للحركة الوطنية الحديثة التي هزت المحتل² وتزامن مع هذه الصيحات الإصلاحية ظهور ثلاث تيارات على الساحة الوطنية:

أ- فمن معجب بالغرب منبهر بمظاهر مدنيته، لا يرى لقومه مستقبلاً خارجاً عن نطاق الدائرة التي ترسبت في ذهنه من خلال ما حفظه من أفواه أساتذته في المدرسة الأجنبية³

" وكان هذا الحزب يدعى فيدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين وكان قد تأسس في 11 سبتمبر 1927 في الجزائر العاصمة، ثم أصبح يدعى الحزب الليبرالي بدلاً من فدرالية المسلمين الجزائريين المنتخبين، وكانوا ينشدون دمج الجزائر في فرنسا عن طريق التجنيس الجماعي، بقطع النظر عن القضية الدينية ونادوا بالتعليم الفرنسي واتباع طريقة الحياة الفرنسية ، وبالمساواة التامة مع الفرنسيين وبرنامج معتدل لبعض الإصلاحات الأساسية.⁴ لا بد من الإشارة إلى أن الحزب الليبرالي كان يشكل الغالبية في حزب النخبة، وكان يضم فئة من

¹ المرجع السابق، ص 494

² المرجع نفسه، ص 494

³ المرجع نفسه، ص 495

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ص 352

المتقنين أمثال الدكتور ابن التهامي والزناقي ، والفاسي ، وطاهرات ، وبلحاج ، والليشاني، وفرحات عباس ، والدكتور ابن جلول ، ثم انقسم في عام 1919 إلى قسمين سياسيين مختلفين في الأهداف "ولكن نظرا لموالاتهم للفرنسيين -أي الليبراليين- خسروا الانتخابات وبدؤوا في التقهقر، لأن الزعامة كان قد أخذها الجناح اليساري من النخبة الذي سمي بالحزب الإصلاحي تحت قيادة الأمير خالد¹ لكن السلطات الاستعمارية ما لبثت أن قامت بنفي الأمير خالد ، مما أعطى الفرصة للحزب الليبرالي بالصعود مرة أخرى على حساب الإصلاحيين،" كان الليبراليون يعتبرون حركة المصلحين قبرا للجزائريين -حسب تعبيرهم- بدعوة أن التمدن العربي الإسلامي مفقود في الجزائر ،ومن ثم يسع الجزائريين أن يبقوا على حالتهم الحاضرة .² فرد العلماء المصلحون على هذا الزعم بقولهم " وهذا التمدن الأوربي الفرنسي الذي تراه لازما فقد كان مفقودا أيضا في الجزائر، ولم يزل مفقودا فما الداعي لترجيح تمدن بعيد عن دين الأمة و أخلاقها وعوائدها، على تمدن هو متفق معها في كل ذلك."³

ب - "ومن مقلد، حامل الفكر، خامد الذهن، مسلم أمره لغيره، فلا يملك القدرة على أن يبرح مكانه إلى سواه، إلا من بعد أن يأذن له الشيخ ويبارك له خطواته في هذا الاتجاه أو ذاك (نموذج أدعياء التصوف)⁴ وهذا النموذج هو الذي راهن عليه المحتل من أجل إبقاء الشعب الجزائري تحت سيطرته، معزولا عما يجري حوله من إصلاح وتجديد،" وقد نشأ بين هذا التيار وبين المصلحين المحددين صراع بدأ في بداية

¹ المرجع السابق، ص352

² عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى 1931-1945، دار بهاء للنشر والتوزيع

2013، ص77

³ المرجع نفسه، ص78

⁴ محمد بن سنيحة، مرجع سابق، ص4940

الأمر مذهبيا عقديا ، ثم اتخذ فيما بعد طابعا سياسيا بتدخل الإدارة الاستعمارية في ذلك ، ظنا منها أن تدخلها المباشر في القضية قد يكبح جماح الحركة الإصلاحية ، وكان بطبيعة الحال أن تستفيد السلطات الاستعمارية من إبقاء الوضع جامدا في البلاد، وذلك لتستفيد سياستها الاستعمارية في الجزائر الفرنسية¹.

ج- وفريق ثالث انبثق من أعماق الأمة على حذاء تطلعاتها وصيحات جهادها ، يرفع راية النهضة والتقدم فسار بالأمة في الطريق الصحيح ، ورست على يديه أسس الحركة الوطنية ، بوجهيها الحضاري والسياسي.² فهذا التيار الأخير هو الذي كان يمثل الجماهير الشعبية ، بكل طبقاتها ومستوياتها، وهو الذي عبر عن طموحاتها وتأملاتها، وهو الذي انبثقت عنه جمعية العلماء المسلمين فيما بعد ، فقد كان يدعو إلى تحرير العقول من الأوهام والخرافات.

4- الحركة الإصلاحية غايتها ووسائلها:

كان لزاما على الحركة الإصلاحية أن تهيئ الأرضية المناسبة من أجل ترسيخ جذور الإصلاح، ومن أجل ذلك "لابد من إزالة الموانع، وموانع الإصلاح وعوائقه هي طائفة أو طوائف تختلف اسما وصفة وتتحد رسما وغاية، والمصلحون إذ ذاك يلتقون على فكرة ولا يلتقون على نظام ولا جمعية، لأن جمعية العلماء لم تؤسس بعد."³ عمدت الحركة الإصلاحية إلى بعث المشروع الإصلاحي في الجزائر وكانت تهدف من خلاله إلى تحقيق غاياتها التي تلخصت في نقطتين اثنتين هما:

¹ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء وعلاقتها بالحركات الأخرى، ص 79

² محمد بن سمينة، مرجع سابق، ص 495

³ سجل جمعية العلماء، مصدر سابق، ص 39

- "الرجوع إلى الماضي العريق فكرا وثقافة وتراثا، مع صياغته على وجه يساير العصر وهو ما يعرف بعملية الإحياء"

- نقد الواقع للخروج من التخلف المادي والأدبي والفكري¹ من أجل ذلك جندت كل الوسائل التي رأتها مناسبة وفعالة لتحقيق الإصلاح ومن أهمها :

أ- الصحافة الوطنية :

لقد أدرك دعاة الإصلاح في الجزائر أهمية العمل الإعلامي والصحفي باعتباره مظهرا لحمل الإصلاح وهو "من أمضى الأسلحة التي حاربت بها الحركة الإصلاحية خصومها ونشرت من خلاله أفكارها، وبالرغم من التضحيات المادية الجسيمة التي قدمها أصحابها، إلا أنه ظل من أهم الوسائل في إرجاع الناس وربطهم بدينهم الصحيح وفي إيقاظ الهمم وتحفيز النفوس لطرد المستعمر الفرنسي".² استطاعت الصحافة الوطنية الخروج من بوتقة الحصار المفروض عليها وسارت تشق طريقها إلى الوجود وتبلغ رسالتها الإصلاحية والنضالية بفضل عزائم الصحفيين الجزائريين التي لم تنش أمام جبروت الاستعمار وقسوته فالصحف ، هي مرآتنا المجلوة، التي كانت تنعكس عليها آمال شعبنا وآلامه، فهي بضعة من أنفسنا وجزء من تفكيرنا وقبضة زمنية من تاريخنا الطويل"³ والحقيقة أن الصحافة الجزائرية تأسخت في الظهور عن مثيلاتها في المشرق العربي إلى أواخر القرن التاسع عشر، فظهرت صحف نضالية إصلاحية وصحف معادية للمسار الإصلاحي متمثلة

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص23

² عبد الغفور شريف، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956م)، إشراف الدكتور أحسن بومالي، رسالة ماجستير في علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر-3، 2010-2011، ص69

³ عبد المالك مرتاض، نخضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر الجزائر، ط2، 1983، ص122

في التيار الطرقي المدعوم من قبل الاحتلال، وصحف سياسية كانت تدعو للاندماج والتقارب بين الجزائريين والفرنسيين، وسنوضح مسار كل نوع من هذه الصحف في السطور التالية.

كانت السلطات الاستعمارية تصر على محو الهوية والشخصية العربية الإسلامية الجزائرية وكانت تقف بالمرصاد لكل محاولة لبث الروح الوطنية في نفوس الجزائريين، ولعل أول ظهور لصحيفة وطنية جهر صاحبها بصوت الإصلاح وهاجم المحتل هي "جريدة الجزائر" لعمر راسم التي صدرت عام 1908 لكنها لم تعمر طويلا حيث صدر منها عددان فقط بعد تعرضها للمنع من النشاط بقرار من الإدارة الفرنسية¹ ثم أصدر في عام 1913م جريدة "ذو الفقار"، لكن الاستعمار عاود تعطيلها ليصدر مرة أخرى جريدة الفاروق الأسبوعية في نفس السنة. ² فكانت "منبرا لكتاب الحركة الإصلاحية فلاقت الكثير من تعنت الرقابة وتضييقها"³ كانت الصحافة الإصلاحية قبل الحرب العالمية الأولى تسير متناقلة الخطى، لأن غالبية الصحف التي صدرت قبل صحيفة عمر راسم كانت صحفا معادية للاحتلال، وبالتالي لم يكتب لها النجاح بفعل القوات الاستعمارية التي كانت تسعى دائما إلى إجماع صوت الحق، "لكن بعد الحرب العالمية قامت نهضة صحفية، فعرفت البلاد صدور صحيفتين عربيتين في سنة واحدة، وهما "الإقدام" للأمير خالد، و"النجاح" لعبد الحفيظ بن الهاشمي"⁴ ثم طالعنا صحف عربية أخرى كان أبرزها وأهمها على الإطلاق جريدة "المنتقد" التي أصدرها ابن باديس سنة 1925 وكانت في فترة من الفراغ الصحافي خاصة بعد اختفاء صحيفة

¹ أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص 71-73

² همالات عبد القادر، أثر الحركة الوطنية في شعر محمد جلواح، إشراف الدكتور عبد الملك مرتاض، رسالة ماجستير، جامعة السانوية، وهران 2009-2010م، ص 16

³ نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، 2010، ص 169

⁴ عبد الغفور شريف، مرجع سابق، ص 70

"الصديق" سنة 1922 لعمر قدور الجزائري ومحمد باكر، كذلك توقف جريدة "الإقدام" في أبريل من سنة 1923، الأمر الذي شجع ابن باديس في تأسيس الصحيفة الإصلاحية، وهذا حتى لا يترك المجال للإصلاح الوطني يتأثر بالفراغ الإعلامي والسياسي.¹ و"المنتقد" كانت الفاتحة الميمونة في سجل حركة الإعلام الوطني، والانطلاقة الرشيدة على درب النهضة العامة الفكرية والأدبية والاجتماعية، فقد فتحت صدرها للأدباء واحتضنت أعمالهم فعرفت البلاد على صفحاتها ميلاد النهضة الأدبية.² كان شعارها "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء" وكان الهدف منها هو توعية المجتمع الجزائري بخطورة الاستعمار الفرنسي ومحاربة رجال الطرق الذين استعملهم الاحتلال لتخدير الشعب والانحراف به عن الدين الصحيح، لكن لم يظهر منها سوى ثمانية عشر عددا قبل أن تمنعها السلطات الفرنسية من الصدور ومن بين المساهمين في هذه الجريدة المؤرخ مبارك المليي والطيب العقبي.³ وبعد منع "المنتقد" من الصدور، أنشأ ابن باديس في نفس السنة 1925 مجلة "الشهاب" التي كانت من أكبر المجلات الجزائرية ت أثيرا خلال عقدين، بدأت تصدر في أول الأمر أسبوعية، ثم أصبحت شهرية يقول ابن باديس: "لقد غالبته الظروف بما لها من قوة وسلطان وقد قاومها بماله من حق وإيمان، ولو حاربتته بغير ذلك لخرج كعادته غالبا منصورا، ولو أراد الاستكثار من هذا السلاح من كل وجه لكان نصيبه موفورا، لكنه عف وتكرم فكانت الغلبة

¹ المرجع السابق، ص74، نقلا عن عبد الحميد ساهل، أصول الدعوة الإصلاحية، ص223

² عمارة حياة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، إشراف الدكتور محمد عباس، أطروحة دكتوراه في الأدب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014، ص55

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص399

عليه.¹ دامت هذه المجلة نحو خمس عشرة سنة مما يجعلها أكثر حظا عن سابقتها إلى أن اضطرت للإغلاق بسبب الحرب العالمية الثانية، حتى لا تضطر لنشر أفكار معارضة لمسارها الإصلاحي بسبب الحرب وكانت "الشهاب" تنشر للكتاب والشعراء الجزائريين، بالإضافة إلى النشر للمفكرين في العالم العربي، ولم تكن الشهاب المجلة الرسمية للعلماء، حتى بعد خلق جمعيتهم، ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في الجزائر.² وتعتبر "الشهاب" مجلة وطنية إصلاحية دعت إلى لم الشمل والوحدة، كما دافعت عن الإسلام واللغة العربية والعدالة والحرية وعن قضايا الأمة ككل مما جعلها تؤثر على الجزائريين والنخبة المثقفة داخل الوطن وخارجه.

إن صدور "المنتقد" و "الشهاب" وهي صحافة ابن باديس، أعطى دفعا قويا للعمل الصحفي في الجزائر، فقد كانت هاتين الجريدتين تملآن وجها جديدا للصحافة الإصلاحية شكلا ومضمونا، لذلك اقترب منها القراء لأنها تتعاطى مع حاجاتهم اليومية وتقترب من معاناتهم، مما جعلها أحد أعمدة النهضة بجميع مستوياتها في الجزائر، وبعد بزوغ شمس جمعية العلماء المسلمين أضيفت لهذه الصحف الإصلاحية صحف أخرى على غرار "السنة"، و "الشريعة"، و "الصراط"، و "البصائر"، وهذه الأخيرة كان يرأسها في سلسلتها الأولى الطيب العقبي ثم أعقبه مبارك الميلي، وذلك من سنة 1936 إلى 1939، أما السلسلة الثانية فترأسها الشيخ البشير الإبراهيمي من سنة 1947 إلى 1956م، وعلى النقيض من هذا الاتجاه الإصلاحي فقد برزت صحف أخرى تقف في الصف المعارض للإصلاح، وتدافع عن الطرق الصوفية وقضايا التصوف

¹ مجلة الشهاب، المجلد 5، ج 1، السنة الخامسة، 1347-1348هـ-1929-1930م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1 1421هـ-2001، ص 3

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ص 399

فكانت "البلاغ" و"الإخلاص"، و"لسان الدين" (الثانية)، و"الرشاد"، وغيرها، وسنذكر بعضها -بإيجاز

فيما يلي

"صدرت "البلاغ" سنة 1926م، وكان يشرف عليها محمد محي الدين حجوي، تعتبرها الحركة الإصلاحية

خصما لها لدفاعها عن الطريقة، وكانت المهاترات قوية بين الجانبين وبعدها توقفت عن الصدور بعد أن

دامت مدة، وعوضت بجريدة أخرى هي "لسان الدين"، التي أسسها مصطفى حافظ في سنة 1923م¹

كانت الخلافات شديدة بين العلماء المصلحين والطرقيين، وزادت حدتها بصدور هذه الصحف التي تدعم

هذا الانحراف عن الوجهة الصحيحة في الإصلاح، وتوالي المستعمر بدلا من خدمة أبناء الشعب الجزائري،

ونتيجة لذلك انفصل العلماء الطرقيون عن جمعية العلماء " وأنشأوا جريدة باسم "الإخلاص" في سنة

1932م، وكان رئيس تحريرها الشيخ المولود الحافظي أحد علماء الفلك البارزين ومن خريجي

الأزهر، استمرت فترة أيضا، هذه الجريدة أسستها جمعية علماء السنة المنشقة عن جمعية العلماء

المسلمين، وكانت تعارض الإصلاح وتتهم أصحابه بالتدخل في السياسة ومسايرة الحداثة، لأنها كانت

مدعومة من الإدارة الفرنسية² نشأ عن هذا الانقسام منازعات ومهاترات بين الجمعيتين، وشحن كل واحد

منهم سلاحه ليكون أمضى في وجه الآخر وكشف نواياه، وكان أولى أن توجه إلى العدو وكشف جرائمه

ونياته الخبيثة، فكان هذا النوع من الصحافة أقرب إلى الهجاء منه إلى الأخبار والإفادة العامة³ ومن الجرائد

المضادة للإصلاح أيضا ما أنشاه عبد القادر القاسمي سنة 1938م باسم "الرشاد" وهي جريدة أسبوعية كان

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5، ط1998، ص1، 260-261

² المرجع نفسه، ص261

³ المرجع نفسه، ص262

يشرف على تحريرها الشيخ محمد العاصمي ، والذي كان من العناصر المثقفة المستنيرة ، لكنه حاد وانحرف بها إلى خدمة أغراض غير وطنية ، فانزلق في متهاتات صنفته في المعادين للوطنية والإصلاح .¹ إن المقام هنا لا يتسع لذكر كل الصحف والمجلات التي كانت تسير على الخط القديم ، وتدعو إلى الركون للمحتل ، وتحارب كل دعوة للإصلاح ، ولكننا ذكرنا أهم هذه الصحف التي توضح هذا العداء وتجليه ، إضافة إلى هذين التيارين السابقين ظهرت صحف ذات نزعة سياسية "كجريدة "التقدم" التي أسسها ابن التهامي ، تستقطب المثقفين المتسيسين من الاندماجين المعروفين بالنخبة ، ثم ظهرت صحيفة "الوفاق" وكان مديرها السياسي الدكتور ابن جلول ومحررها هو فرحات عباس ، وكتب فيها عدد من الاندماجين ثم أعاد الصادق دندان جريدة "الإقدام" وهي جريدة أسبوعية للدفاع عن مصالح المسلمين الشمال إفريقيين.² كانت هذه الصحف تصدر في أغلبها باللغة الفرنسية ، مما يدل على سياستها الإدماجية ، كما نجد في هذه الفترة صحفا أخرى للتيار الشيوعي الذي كان له تأثير قوي بين النخبة الاندماجية "فوجد جريدة " همزة الوصل" التي أسهمت في دعم حركة الأمير خالد وجريدة " الباريا" ، وأخرى باسم " الراية الحمراء"³ وغيرها من الجرائد التي لا يتسع المقام لذكرها لكثرتها واتساع توجهاتها غير الإصلاحية ، ومن هنا يمكننا القول إن هذا النوع من الصحافة الذي كان ضد الخط الإصلاحية هو في الحقيقة لم يكن من إنتاج الصحفيين الجزائريين ، وإنما كان فرنسيا بامتياز لغة واتجاهها وتمويلها .

ب - النوادي والجمعيات والمراكز الثقافية :

¹ المرجع السابق، ص 262

² المرجع نفسه، ص 265

³ المرجع نفسه، ص 267

من الوسائل الهامة التي استعانت بها الحركة الإصلاحية، نجد اهتمام هؤلاء المصلحين بإنشاء النوادي والمراكز الثقافية ففي سنة 1934 كتبت جريدة "لالوتسوسيال" (الصراع الاجتماعي) : "تقول أنه لا يوجد مكان في الجزائر لم ينشئ فيه العلماء منظمة بطريقة أو بأخرى"¹ لأن فرنسا الاستعمارية لجأت منذ وطئت أقدامها أرض الجزائر إلى محو كل المرتكزات الأساسية للشعب الجزائري حتى تقعده عن اللحاق بركب الحضارة ولا يستطيع القيام بعدها أبداً، فقد "ركزت السياسة الاستعمارية على الصعيد الثقافي على محو الملامح المميزة للمجتمع الجزائري، وتبعاً لذلك وجهت ضربتها إلى الثقافة العربية الإسلامية التي تمثل في نظر الاستعمار القوة المحركة الرئيسية المضادة للمشروع الاستعماري الساعي إلى محو الشخصية الوطنية .."² إن الجزائر قبل الاحتلال الفرنسي لم تكن تعرف الأمية فقد كانت هناك المساجد والكتاتيب والزوايا والمدارس التي تعنى بتعليم أبناءها، لذلك كان الاستعمار الفرنسي يراهن على هذه الميزة فاستنفذ كل جهوده في سبيل محوها وطمس معالمها حتى يتسنى له البقاء والاستمرار في الجزائر، "وفي هذا السياق تم الاستيلاء على جميع مراكز الثقافة العربية الإسلامية من مساجد وكتاتيب وزوايا ومدارس، وتحويلها إلى مراكز للثقافة الفرنسية وللهيئات التبشيرية المسيحية، أو إلى ثكنات وإسطبلات ومتاجر، أم الأوقاف فقد لاقت نفس المصير الذي لاقته المراكز الثقافية الأخرى، والتي كانت تمنحها الديمومة والاستقرار."³ وكنتيجة لذلك عملت الحركة الإصلاحية منذ نشوئها على استعادة النشاط الثقافي كما كان مزدهراً في هذه المراكز الثقافية، ومحاولة بعث الروح فيه من جديد فاستعانت على ذلك بإنشاء النوادي والجمعيات الثقافية، ومما يجب أن نلتفت إليه هو "أن

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص399

² حملات عبد القادر، مرجع سابق، ص21

³ بشير فايد، مرجع سابق، ص67.

الجزائر كانت تعيش تحت تعسف قانون الأهالي البغيض (الأنديجنا) ولا يمكنها أن تتمتع بهذا النشاط الثقافي دون أن يتعرض القائمون عليه للاضطهاد والسجن ، كما أنهم كانوا محرومين من صفة وحقوق المواطن لأن القانون الفرنسي كان يعتبرهم "رعايا" لا ينشدون الحرية ولا الحقوق المدنية ولا السياسية ولا الثقافية.¹ لأجل ذلك قامت الحركة الإصلاحية بدور هام حيث واجهت هذا التعسف وعملت على تعبئة الرأي العام وتبصيره بمخططات الاستعمار الفرنسي ، الذي حاول طمس الشخصية الجزائرية العربية المسلمة، وعملت على تصحيح هذه المفاهيم الخاطئة بإرساء الهوية الثقافية العربية الإسلامية الجزائرية ، ومقاومة كل أشكال التغريب والاستلاب ، وقد تجسد هذا النشاط الثقافي في شكل جمعيات ونواد واستجاب الشعب الجزائري لهذه الحركة الثقافية.² فقد "عبر عن إرادته هذه خلال الفترة الاستعمارية أكثر من مرة متمسكا بشخصيته العربية الإسلامية، وما يثبت ذلك بدون جدال ، تأسيسه لمؤسسات روحية وثقافية تستجيب لإشباع رغبته والتعبير عن هويته وكيانه"³ وأن أول ما عرفت الجزائر من النوادي والجمعيات يمكن أن يصنف إلى نوعين :

1- نوادي وجمعيات تشرف عليها الإدارة الفرنسية ، الثقافية منها والاجتماعية ، فنجد الجمعية التوفيقية والراشدية، وجمعية الهلال، ونادي صالح باي، ونادي التقدم، وجمعية الميعاد الخيري، وجمعية اتحاد الزوايا، وغير أنها غالبا ما يعود تأسيسها بإشارة من الإدارة الفرنسية العامة ، وربما اشترك في إدارتها فرنسيون لذلك فهي تدور في فلك من النشاط لا يتجاوز رضا الحاكم ، بل ربما سخرت منابرها للدعاية له والتنويه برسالته

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص313

² حملات عبد القادر، مرجع سابق، ص21

³ المرجع نفسه، ص22

الحضارية، وكان يغلب عليها طابع التقرير العلمي.¹ إذن كان هذا هو دور هذه النوادي وإن كانت تطرح بعض المشاكل الحية التي تمس أمور الشعب الجزائري ..

2- جمعيات ونوادي وطنية: "وفي العشرينيات يطالعنا نادي الترقى الذي تأسس سنة 1926 والذي

سيصبح فيما بعد المنبر العام للإصلاح في القطر الجزائري كله ، وأحمد توفيق المدني هو أحد المؤسسين لهذا

النادي حيث أعطى صورة عنه² فقال: "لم يكن الجزائريون يعرفون الاجتماعات منذ الاحتلال الفرنسي ، لأن

قوانين الأندلس تحرم الاجتماعات ، فكانت كل الحركات الجزائرية تتسم بقلة النظام إلى أن وفقنا الله لوضع

معقل بعاصمة الجزائر، كان له تأثيره العظيم على الحياة السياسية والاجتماعية ،وهو نادي الترقى الذي تمكنا

من تأسيسه بعد جهود عظيمة في أحسن موقع من العاصمة .. وكنا نسير بناادي الترقى - رغم القوانين

الصارمة - في طريق الدعوة الوطنية من جهة ، وفي طريق الدعوة الإسلامية والعروبة الشاملة من جهة

أخرى، وقاوم النادي نزعات الاندماج ، كما قاوم طلب الجنسية الفرنسية قصد الإحراز على الحقوق

السياسية، وفي هذا النادي المبارك تمكنا من تحقيق الحلم الذي كان يراود دعاة الحركة العربية الإسلامية ، ألا

وهو تأسيس هيئة إسلامية عربية تنهض بالبلاد نهضة جبارة فكانت جمعية العلماء المسلمين

الجزائريين.³ رغم كل النوادي التي تأسست في هذا القرن والتي أشرنا إليها سابقا فلن نادي الترقى هو الأبلغ

أثرا والأكثر إشعاعا في سماء الإصلاح لأن فيه وضعت البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية.

¹ صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984، ص 139-140

² المرجع نفسه، ص 140

³ المرجع نفسه، ص 140-141، نقلا عن أحمد توفيق المدني هذه هي الجزائر، مكتبة النهضة، ص 165

فكان النادي نقطة التقاء النخبة المثقفة من علماء وسياسيين ، "وكان ابن باديس يلقي المحاضرات في هذا النادي كلما زار الجزائر العاصمة، كما كان النادي مركز لقاء الطبقة المثقفة، والزائرين الأجانب ولاسيما من الشرق الأدنى، ومن المهم أن نلاحظ أن الجمعية قد ولدت في هذا النادي" ¹، إضافة إلى المواضيع الدينية والسياسية والاجتماعية التي كانت تطرح في النادي، نجد أنه كان ملتقى الأدباء والشعراء، ومن بين الشعراء الذين لمعوا فيه نجد الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة الذي قال أبياتا في هذا النادي :

صفت بساحتك الوجوه ورددت فيك الحكم

فأريت ما يجلو العمى وسمعت ما يجلو الصمم

ودخلت ظللك أستجير به وانعم من أمم

وأتيت ميدان اللسان به، وميدان القلم ²

وقد احتل هذا النادي مكانة أدبية عالية، وفي ذلك يقول عبد الملك مرتاض: "لا يغالي الباحث في جوانب نهضة الأدب العربي المعاصر في الجزائر أثناء العقد الرابع من هذا القرن، أن يعد نادي الترقى بالجزائر بل في مجموع الوطن، كعكاظ في الجاهلية في جزيرة العرب، وكالمربد في البصرة أثناء القرن الأول الهجري". ³ والمقام هنا لا يتسع لذكر جميع النوادي والجمعيات التي برزت في هذه الفترة من الحركة الإصلاحية، وإنما أردنا أن نشير إلى هذه المنابر المشعة التي تدل على الحراك الثقافي في الجزائر، والتي أدت دورها على أكمل وجه في

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص404

² شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر 2010، ص99

³ عبد الملك مرتاض، مرجع سابق، ص33-34

سبيل استعادة الهوية الوطنية، وبناء جيل من الشباب الواعي بقضايا أمته، وتحميها من رياح التغريب، وتربطه بهويته وتاريخه، تجنباً لمحاولات الطمس والتشويه التي تستهدفه.

ج- المدارس والمعاهد :

واصلت الحركة الإصلاحية نضالها ورسالتها التي عززتها بالمدارس والمعاهد، وفي ذلك يقول البشير الإبراهيمي ".. حياة الأمم في هذا العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلا أن قلوباً ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد، ونفوس ختم عليها الضلال، وضرب على مشارعها المسخ، وطال عليها الأمد في الرق، فصدأت منها البصائر وعميت الأبصار، فتغير نظرها في الحياة ووسائلها، فرضيت بالدون، ولاذت بالسكون.. الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة، فمن طلب هذا النوع من الحياة من غير طريق العلم زلّ، ومن التمس الهداية إليه من غيرها ضلّ، وحياة الأمم التي نراها ونعاشرها شاهد صدق على ذلك."¹ لقد أدرك زعماء النهضة والحركة الإصلاحية في الجزائر معركة العلم، ودورها في الصراع الاستعماري الذي كان يهدف إلى إخضاع المستعمرة الجزائرية بكل الوسائل، وضمان استمراريتها² واتساع سياسته الاستيطانية، القائمة على نشر وترسيخ الثقافة الغربية في المجتمع الجزائري، وفرض لغته والقضاء على اللغة العربية، واعتبارها لغة ثانية أجنبية، فجعلها غريبة في عقر دارها، وهذا مثال لأحد القادة الفرنسيين الذين كانوا يعبرون عن أهداف فرنسا الحقيقية في الجزائر إذ يقول: "علموا لغتنا وانشروها حتى نحكم الجزائر، فإذا

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص258

² حميدي أبو بكر الصديق، دراسات وإعلام في الحركة الوطنية الجزائرية، دار المتعلم للنشر والتوزيع - الجزائر، ص63

حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة" ¹ أدركت الحركة الإصلاحية هذا الخطر الذي يتهدد مقوماتها وثوابتها، فعملت على إنشاء المدارس والمعاهد في سبيل استعادة الشعب لمقوماته من عقيدة ولغة وحضارة، وضرورة التوسع في بنائها، وقد عملت هذه المدارس في بدايتها أي في أعقاب الحرب العالمية الأولى "على رفع الأمية وتصحيح العقيدة والتأكيد على الصبغة الدينية حتى في أسماء هذه المدارس ، كالمدرسة القرآنية في تبسة والتي تأسست عام 1913م، ومدرسة الشبيبة الإسلامية في الجزائر وتأسست عام 1923م، بإدارة "عمر بن قدور" صاحب الفاروق، ومدرسة الاستقامة في قلمة. ² والحقيقة أن هذه المرحلة قوبلت بالقمع والتعنت الشديد من قبل الإدارة الفرنسية ، حيث أصدرت قوانين تمنع بناء المدارس ، وكان يتعرض المخالف للقوانين إلى السجن أو التزيم " فلقد شهدت المحاكم في الجزائر مناظر مخجلة يساق فيها معلمو اللغة العربية في موكب اللصوص والقتلة والجرمين لمحاكمتهم ، وقد تنال رحمة القضاة الفرنسيين بعض القتلة واللصوص على صعيد واحد ، ولكن ما جرّبت أن تنال معلم اللغة العربية أبدا ³، كما أن هذه المدارس سجلت حضورا محتشما من قبل الشعب الجزائري لقلّة إقباله عليها ، ولكنها ما فتئت تنهض من جديد في فترة الثلاثينات والأربعينات حيث "عرفت نهضة مزدهرة في بناء المدارس والتغافا قوميا حولها وإقبالا من الناشئة عليها" ⁴ ومما زاد من لتثير هذه المدارس تلك البعثات العلمية إلى جامع الزيتونة، الذي كان منبعاً للإصلاح و"كان صدى للنهضة الأدبية والعلمية في المشرق العربي ، وكان المتخرج منه يستقبل في

¹ صادق بلحاج، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحي والتقليدي، 1919-1939، إشراف الدكتور بوشیخي شیخ، جامعة وهران، 2011-2012م، ص33

² صالح خريفي، مرجع سابق، ص150-151

³ الفضيل الورثياني، الجزائر النائرة، دار الهدى - عين مليلة، الجزائر، دط 1992، ص69

⁴ صالح خريفي، مرجع سابق، ص150

الجزائر استقبال الفاتحين، وكذلك تعززت المدارس بالكتب العربية رافدا مغذيا لها.. وكان طرحها أمام الطلبة والمعلمين، يعني انتعاشا قوميا عانى منه الحصار الثقافي فترة ليست بالقصيرة.¹

وبعد الحرب العالمية الثانية كشفت المدرسة الحرة للمستعمر الفرنسي وجهها الآخر "وفرضته على المستعمر في وضوح النهار، وغدت مدرسة حربية، ورسالتها تخريج دعاة ثورة، وحملة سلاح، وأصبحت رسالة المعلم فيها الجهاد والتحرير وفك الأسر، وأصبح الطلبة الجند والعتاد والفداء، وهو ما نجده في قصيدتي (سحنون) "إلى المعلم"، و"إلى التلميذ" اللتين رفعتا شعارا لكل مدرسة حرة²:

هات من نشء الحمى خير عتاد وادخـرهم لـغد جند جهاد

هات نشئا صالحا يبني العـلا ويفك الضاد من أسر الأعادي

هاته جندا قـويا باسلا إن دجا الخطب يكن أول فاد³

¹ المرجع السابق، ص 152

² المرجع نفسه، ص 153

³ صالح الدين ملفوف، تجليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث، مجلة الأثر، العدد 20، جوان 2014، جامعة خميس مليانة، الجزائر، ص 84

وسنرصد في السطور التالية بعض المدارس الجزائرية كما صنفها الدكتور محمد بن سمينة في مؤلفه: "النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر" حسب العمالات التي كانت في الجزائر وهي كما يلي¹:

1 عمالة قسنطينة :

- مدرسة الإخاء للتربية بسكرة 1931..
- مدرسة الحياة بجيجل 1933.
- مدرسة التهذيب بالميلة 1934.
- مدرسة التربية والتعليم بباتنة 1937.
- معهد ابن باديس بقسنطينة 1947، وهو المدرسة الثانوية العربية الوحيدة في الجزائر يومئذ، وكان له الفضل الكبير في خدمة الفكر الإسلامي والمحافظة على اللغة العربية ونشر العلم ومقاومة الجهل، وتحصين الجيل من أخطار المخطط التغريبي وإعداده للثورة والتحرير..

2- عمالة الجزائر :

- مدرسة شريفة الأعمال بالقصبة في العاصمة 1934.
- المدرسة الصديقية بسلامباي بالعاصمة 1941.
- مدرسة الشباب بالعاصمة 1944.
- المدرسة التهذيبيية ببولوجين بالعاصمة 1949.

¹ محمد بن سمينة، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بداياتها، مراحلها، مطبعة الكاهنة، الجزائر، 2003م، ص40

- مدرسة التهذيب بالبليدة 1952.

3- عمالة وهران :

- المدرسة الإصلاحية بوهران 1935.
- مدرسة دار الحديث بتلمسان 1937.
- مدرسة التربية والتعليم بمستغانم 1944.
- مدرسة التربية والتعليم بسيدي بلعباس 1945.
- مدرسة التربية والتعليم بالبيض .

فالمتتبع لتاريخ المدرسة الجزائرية يجد أنها لعبت دورا فعالا ورائدا في بعث المكامن الوطنية، وإحياء مقومات الشخصية الجزائرية، فوقفت سدا منيعا أمام مخططات الاحتلال الملمغة ، لامتصاص الطاقات وإضعاف المقاومة وذلك برفع راية العلم والتشديد فيطلبه على اعتبار أنه من أهم المقومات في بناء الحضارة في أي مجتمع من المجتمعات ،وقد عبر الشيخ الإبراهيمي عن الحركة العلمية التي قامت بها الحركة الإصلاحية بقوله : "إن هذه الحركة العلمية الجليلة القائمة بالقطر الجزائري هي الأساس المتين للوطنية الحقيقية، وهي التوجه الصحيح للأمة الجزائرية، فغايتها التي ترمي إليها هي تصحيح القواعد المعنوية من عقل وروح وفكر

وذهن، وتقوية المقومات الاجتماعية، وهذه هي الأسس الثابتة التي بنيت عليها الوطنيات في الأمم، هذه

حقيقة لا يماري فيها إلا مكابر.¹

¹ البصائر، السنة الثانية، العدد 54، 22، ذي الحجة 1367هـ/ 25 أكتوبر 1948، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1426هـ-

الفصل الثاني :

البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين

قراءة في المسار النضالي

✓أولا :البشير الإبراهيمي حياته وجهاده

✓ثانيا :جمعية العلماء المسلمين التأسيس والمسار النضالي

1-بدايات التأسيس.

2-تأسيس الجمعية.

3-ردود الأفعال تجاه تأسيس الجمعية.

4-وسائل الجمعية وغاياتها.

5-ميادين العمل الإصلاحى عند الجمعية

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

أولاً : البشير الإبراهيمي حياته وجهاده

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، رجال خرجوا في حلقة الظلام الدامس ، ظلام الاستعمار الفرنسي وظلمه، ليضيؤوا لهذا الشعب طريق الاستقلال والحرية والمجد، هم الذين صنعوا أمجاد الجزائر وتاريخها، فاستحقوا بذلك الثناء الجميل والذكر الحسن، ومن هؤلاء الرجال الشيخ الإمام محمد البشير الإبراهيمي، من كانت له يدا بيضاء في صناعة الجزائر قبل الاستقلال وبعدها، فجزاه الله عن الشعب الجزائري خير الجزاء.

1- مولده ونشأته وتعليمه:

خير ما نعرف به العلامة البشير الإبراهيمي ، ما عرف به هو نفسه إذ قال : "أنا محمد البشير بن محمد السعدي بن عمر بن محمد السعدي بن عبد الله بن عمر الإبراهيمي، نسبة إلى قبيلة عربية ذات أفخاذ وبطن تعرف ب "أولاد ابراهم"، وهي إحدى قبائل سبع متجاورة في سفوح الأطلس الأكبر الشمالية المتصلة بقمم جبال أوراس من الجهة الغربية، وكل ذلك واقع في مقاطعة قسنطينة من القطر الجزائري، ولدت عند طلوع الشمس من يوم الخميس الرابع عشر من شوال عام 1306هـ الموافق للثالث عشر جوان 1889¹ نشأ الإبراهيمي في بيت درج على العلم وتوارثه جدا عن جد من خمسة قرون مضت، تولى رعايته عمه الأصغر الشيخ "محمد المكّي" العالم المعروف فأخذ عنه علوم العربية، امتاز الإبراهيمي بذاكرة وحافظة قويتين مما جعله يحفظ القرآن الكريم ، وهو لم يكمل الثامنة بعد وحفظ معه ألفية بن مالك ،

¹ محمد البشير الابراهيمى، مرجع سابق، ج5، ص163

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

وتلخيص المفتاح، وذلك نتيجة التنويع المعرفي الذي كان يتلقاه من عمه الذي لم يفوت الفرصة حتى

يصقل شخصيته بهذه العلوم، وما إن أتم الرابعة عشر من عمره حتى كان حافظا لمجموعة من المتون

والنظم، والرسائل في النحو، والبلاغة، والفقه، والأصول، ودواوين من الشعر. بعد وفاة عمه سنة 1903

خلفه وتصدر التدريس في سن صغير وذلك تبعا لوصية عمه.¹

2-رحلته إلى الشرق :

رحل البشير الإبراهيمي إلى الحجاز سنة 1911م لحاقا بوالده الذي كان مستقرا بالمدينة المنورة، فمر

بالقاهرة وأقام بها ثلاثة أشهر، كان يتنقل بين مجالس العلم ويأخذ عن علمائها، واتصل بفحول الشعراء

أمثال أحمد شوقي وحافظ إبراهيم، وحضر عدة دروس في دار الدعوة والإرشاد التي أسسها الشيخ رشيد

رضا في منيل الروضة²، خرج من القاهرة قاصدا المدينة المنورة فوصل إليها في أواخر 1911م، فاجتمع

هناك بوالده، وطاف بملقات العلم، لكن لم يرقه منها شيء، ولم يجد علما صحيحا إلا عند رجلين هما

:"الشيخ عبد العزيز الوزير التونسي"، و"الشيخ حسين أحمد الفيض أبادي الهندي"³ كما تنقل بين

المكتبات الغنية بآلاف المخطوطات النادرة للاستزادة من العلم، إضافة إلى ذلك فقد كان يلقي الدروس

متطوعا ويتلقى عدة دروس في التفسير والحديث والجرح والتعديل وأنساب العرب وأدبهم الجاهلي والسير

النبوية وعلم المنطق، فما كادت ترقضي ست سنوات من إقامته بالمدينة حتى بلغ غايته من هذه الرحلة التي

¹المصدر السابق، ص164-165

²محمد البشير الإبراهيمي، خلاصة تاريخ حياتي العلمية، مجلة الموافقات، مرجع سابق، ص383

³المرجع نفسه، ص383

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

كانت فتحا مبينا وخيرا وبركة¹، ومما زادها بركة التقا وه برفيق دربه في الإصلاح ، العلامة الشيخ عبد الحميد بن باديس في موسم الحج في عام 1913، فكانت هذه اللقاءات تمهيدا لمشروع جمعية العلماء المسلمين.

شكلت هذه المرحلة نقطة تحول في حياة البشير الإبراهيمي، إذ خلصته من آفة الغرور والإعجاب بالنفس التي كادت تهلكه، كما يقول: "وكدت أهلك بهذه الآفة لو لا طبع أدبي مرح كريم، ورحلة إلى الشرق كان فيها شفائي من تلك الآفة"²، كما ساعدته على تفتح ذهنه لمجالات أخ ر، فكانت له مشاركات سياسية وإصلاحية، ولكن ما لبث أن جاء الجلاء "بسبب استفحال ثورة الشريف حسين بن علي ضد الحكم العثماني، وعجز الحكومة عن تموين الجيش الذي بلغ عدده خمسين ألفا فاقتضى الأمر بترحيل السكان إلى مصدر الأقوات في دمشق"³ فكان الإبراهيمي من المرشحين.

3- انتقاله إلى دمشق :

انتقل البشير الإبراهيمي مع والده إلى دمشق بسبب الاضطرابات التي تحدثنا عنها سابقا، وكان ذلك في النصف الأخير من سنة 1916م وكان أول ما اهتم به هو لقاء العلماء الذين زاروه في منزله ، ومنهم الأستاذ الشيخ محمد بهجت البيطار، والإمام المحدث جمال الدين القاسمي⁴، وبعد مضي شهر من إقامته

¹ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص165-166

² المصدر نفسه، ص165

³ محمد البشير الإبراهيمي، خلاصة تاريخ حياتي العلمية، مجلة الموافقات، ص385

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج5، ص165

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

في دمشق "دعته حكومتها لتدريس الآداب العربية بالمدرسة السلطانية (مكتب عنبر)، وهي المدرسة العصرية الوحيدة آنذاك بالإضافة إلى إلقاء دروس الوعظ والإرشاد في الجامع الأموي، وقد تخرج على يديه جيل من المثقفين كان لهم أثر بالغ في النهضة العربية الحديثة."¹

4- العودة الى الجزائر:

في سنة 1920م غادر الإبراهيمي دمشق عائداً إلى أرض الوطن سالماً غانماً بما زودته به رحلته إلى الشرق" وفي مخيلته حركة تحيي الإسلام والعربية في الوطن وتنشر العلم، وتبعث الأمة، و أعجب بعد وصوله بالنتائج المثمرة التي حققها ابن باديس ،الذي كان يقود حركة ثقافية وصحفية بمدينة قسنطينة ، فلأقام بمدينة سطيف وأنشأ بها مدرسة ومسجداً بعد رفضه للتوظيفة التي عرضتها عليه سلطات الاحتلال"² في هذه الفترة اتصل البشير الإبراهيمي بالشيخ عبد الحميد بن باديس الذي كان قد أرسى قواعد الإصلاح، وأعلن عن مواقفه الراضية للاحتلال بصورة واضحة منذ البداية، فاتفق الرجلانم مع بعض العلماء الذين كانوا مفعمين بالمطامح الراضية للفرنسيين، اتفقوا على إنشاء جمعية للعلماء تحت اسم *جمعية الإخاء العلمي*، عند عودته من دمشق كان البشير الإبراهيمي عاقداً العزم على عمل يجسد فيه أفكاره وتصورات الإصلاحية التي نضجت واستوت على مهل بالحجاز ودمشق إلى أن حان أوان تنفيذها على أرض الواقع.

¹ المصدر السابق، ج1، ص10

² المصدر نفسه، ص10

5- عمله في جمعية العلماء :

لا نريد الخوض في هذا العنوان عن تأسيس الجمعية لأننا خصصنا لها مبحثا مستقلا، ولكن في سياق الحديث عن حياة البشير الإبراهيمي الذي كان من المؤسسين الفاعلين للجمعية ، كان لزاما علينا الإشارة إلى عمله في الجمعية حتى تكون الأحداث مرتبة، فالبشير الإبراهيمي بعد تأسيس الجمعية تولى النشاط في منطقة الغرب الجزائري وتحديدا في مدينة تلمسان و"أسس فيها مدرسة دار الحديث سنة 1937، التي بنيت على نسق هندسي أندلسي أصيل، فكانت مركز إشعاع ديني وعلمي وثقافي ، واحتوت على مدرسة ومسجد وقاعة محاضرات."¹

كانت إدارة الاحتلال الفرنسي على علم بنشاطات الإبراهيمي، فكانت ترصد تحركاته بكل توجس وخيفة، وذلك منذ عودته من المشرق العربي سنة 1920، من أجل ذلك حاولت استمالة الرجل إليها في موقف تقاربي "بعرضها منصب شيخ الإسلام على الشيخ إذا قهل إلقاء أحاديث إذاعية تأييدا لفرنسا ضد ألمانيا في بداية الحرب العالمية الثانية، لكنه رفض، فكلفه ذلك النفي ثلاث سنوات بقرية آفلو."² تغير

موقف الاحتلال من الشيخ البشير الإبراهيمي إلى العداء العلن الذي نجم عنه سلسلة من المضايقات

بدء بالنفي والتضييق على حركة التعليم الحر وغلق دار الحديث وإلحاقها بمدرسة

"دوفو" (duffau) الأوروبية بحجة ظروف الحرب العالمية الثانية.³ وبعد أسبوع من نفيه جاء هالخبر بوفاة

¹ المصدر السابق، ص1

² المصدر نفسه، ص19

³ عبد الخليم مرجي، مرجع سابق، ص98

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

رفيقه في مسار الكفاح، الشيخ العلامة عبد الحميد بن باديس وذلك في سنة 1940م وانتخابه، غيايبا رئيسا للجمعية، فلم يثنه النفي عن تولي المسؤولية كاملة ليصبح بعد إطلاق سراحه عام 1943م قائدا للحركة الدينية والعلمية والثقافية في الجزائر، يجوب ربوعها معلما وموجها ومرشدا، يوحد الصفوف، ويؤسس المدارس والمساجد، والنوادي، ويهيئ العقول لساعة الصفر التي كانت تخطط لها نخبة من الحركة السياسية.¹

6- رحلته الثانية إلى المشرق :

قرر الشيخ البشير الإبراهيمي السفر ثانية إلى المشرق العربي بحلول عام 1952م "ممثلا للجمعية العلماء ليسيى لدى الحكومات العربية لقبول بعثات طلابية جزائرية في معاهدها وجامعاتها، وطلب الإعانة المادية والمعنوية للجمعية حتى تستطيع مواصلة أعمالها وجهادها، والتعريف بالقضية الجزائرية في الأوساط السياسية في الدول التي زارها، أو التقى مسئوليتها، ولدى جامعة الدول العربية." ² وقد عمل الشيخ في جميع الدول التي زارها - كمصر وباكستان والسعودية والعراق والأردن والكويت - على بعث نشاطه الإصلاحية منها عن طريق إلقاء الدروس والمحاضرات التي تدعم مشاريع الجمعية وتدعو إلى الدعم المادي والمعنوي لها، والأحاديث الإذاعية التي تدعم الثورة التحريرية، التي انطلقت في الفاتح من نوفمبر من عام 1954م، كالبيان الذي أصدره في اليوم الموالي للثورة التي اعتبرها رد فعل طبيعي من الشعب الجزائري، ثم

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص11

² المصدر نفسه، ص13

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

البيان الموالي في اليوم الثالث ، خاطب فيه الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر ، والمغرب العربي ، وغيرها من
البيانات التي تدعم هذه الثورة المباركة وتشد على عضد الثوار الأحرار.¹

7-المرحلة الأخيرة في حياة الشيخ :

عاد الشيخ إلى أرض الوطن بعد أن بسط الاستقلال أجنحته عليها من رحلة مشرقية دامت عشر
سنوات تكلفت بنجاحات كثيرة من بينها الاستقلال، وشهد مع إخوانه فرحة الصلاة بمسجد كتشاوة
احتفالاً بعيد الاستقلال وقد دعا في هذا المحفل العظيم إلى الانصراف إلى الإصلاح والتجديد والبناء
والتشييد والاتحاد وعدم التفرقة والتشتت والغرور ، وحذر من مغبة الانزلاق في مخلفات الاستعمار
والسفاسف والصغائر من الأعمال .² وفي 16 أبريل 1964م أصدر الشيخ بيانا يناشد فيه المسؤولين
الذي امتلكوا زمام الحكم في الجزائر ، وأخذوا يقيمون أعمالهم على أسس نظرية أجنبية ، ناشدهم أن
الشعب إذ ذاك يطمح إلى الوحدة والسلام والرفاهية فلا بد أن ينطلقوا في أعمالهم من صميم جذورنا
العربية الإسلامية لا من مذاهب أجنبية، وأن يراعوا في كل ذلك المصلحة العامة فهي أساس كل اعتبار.³
توفي الشيخ البشير الإبراهيمي، ظهر يوم الخميس التاسع عشر ماي 1965م، عن عمر يناهز السادسة
والسبعين عاما، بمنزله بحي "حيدرة" بالجزائر العاصمة، ودفن بمقبرة "سيدي أحمد" ، بالعاصمة يوم الجمعة

¹ ينظر، المصدر السابق، ص12-13

² المصدر نفسه، ج5، ص307-308

³ المصدر نفسه، ص317

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

في العشرين من ماي 1965م¹، وسط حشد جماهيري كبير يجلوه الحزن على قائد عظيم وهب كل حياته للنضال في سبيل الله. ولئن مات الرجل المصلح الرائد العلم ووري الثرى، فإن أعماله تبقى خالدة على إخلاصه لهذا الشعب والوطن، غير أن الإبراهيمي لم يعط للكتابة اهتماما كبيرا، لأنه كان يعمل على ناحية أخرى وهي إعداد الرجال وتكوينهم والاهتمام بشؤون الجمعية والقضايا الوطنية فلم يكن لديه الوقت للتأليف وذلك حسب قوله: "لم يتسع وقتي للتأليف والكتابة مع هذه الجهود التي تأكل الأعمار أكلا، ولكنني أتسلى بأني ألفت للشعب رجالا، وعملت لتحرير عقوله تمهيدا لتحرير أجساده، وصححت له دينه ولغته، فأصبح مسلما عربيا، وصححت له موازين إدراكه فأصبح إنسانا أبيا، وحسبي هذا مقربا من رضى الرب والشعب."² ومع ذلك أسهم الشيخ بالكتابة في موضوعات مفيدة ظلت كلها مسودات إلى أن تم جمعها على يد طلابه والمحبين للشيخ، وقد تنوعت آثاره بين كتب ورسائل وروايات نذكرها كما يلي³

الكتب :

✓ بقايا فصيح العربية في اللهجة العامية بالجزائر.

✓ النقايات والنقايات في لغة العرب.

✓ أسرار الضمائر في العربية.

¹ عبد الحليم مرجي، قضايا تحرير المغرب العربي عند محمد البشير الإبراهيمي وعلال الفاسي، 1919-1962م، إشراف الدكتور

عبد الله مقلاتي، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015م، ص20

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج5، 288

³ المصدر نفسه، ص288-289

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

- ✓ التسمية بالمصدر.
- ✓ الصفات التي جاءت على وزن فعل.
- ✓ نظام العربية في موازين كلماتها.
- ✓ الأطراد والشذوذ في العربية.
- ✓ ما أدخلت به كتب الأمثال من الأمثال السائرة.
- ✓ حكمة مشروعية الزكاة في الإسلام.
- ✓ شعب الإيمان.

الرسائل :

- ✓ رسالة في الفرق بين لفظ المطرد والكثير عند ابن مالك.
- ✓ رسالة في ترجيح أن الأصل في بناء الكلمات العربية ثلاثة أحرف لا اثنان.
- ✓ رسالة في مخارج الحروف وصفاتها بين العربية والفصيحة والعامية .
- ✓ رسالة الضب.

الروايات :

- ✓ رواية كاهنة الأوراس .
- ✓ رواية الثلاثة.

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

هذا إضافة إلى مجموعة من المقالات التي كتبها في جرائد مختلفة، جمعها ابنه طالب الإبراهيمي في كتاب

آثار البشير الإبراهيمي وهو في خمسة أجزاء، نشرتها دار الغرب الإسلامي اللبنانية سنة 1997م

ثانيا- جمعية العلماء المسلمين، التأسيس، والمسار النضالي:

1- بدايات التأسيس:

في أكثر العهود انقلابية في هذا القرن، وهي فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر وسياسته الظالمة، وجد العلماء

الجزائريون أنفسهم مضطرين للهجرة خارج البلد هروبا من هذه السياسة الظالمة على الشعب ، ولكنه

هروب من أجل اكتساب القوة لمواجهة المحتل، "وعندما وضعت الحرب أوزارها، رجع هؤلاء المهاجرين

بنظريات وتصورات معادية للفرنسيين، وشرعوا في وضع برنامج اجتماعي وثقافي يستهدف توهين أسس

فرنسا في الجزائر"¹ وكان من بين هؤلاء المهاجرين زعماء المستقبل لجمعية العلماء المسلمين عبد الحميد بن

باديس، والبشير الإبراهيمي، والطيب العقبي، وغيرهم، وتعود بدايات تأسيس الجمعية إلى فكرة تباحثها

العالمان الجليلان عبد الحميد بن باديس، والبشير الإبراهيمي في موسم الحج بأرض الحجاز عام 1913

ميلادية، حيث يحدثنا الإبراهيمي عنها فيقول: "وأشهد الله أن تلك الليالي من عام 1913م هي التي

وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين والتي، لم تبرز إلى الوجود إلا عام 1931م"² وقد

اتفق الرجلان على البدء في حركة علمية فور عودتهما إلى الوطن، يكون فيها التركيز على الكيف لا على

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ص386

² البشير الإبراهيمي، أنا، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 87، 1985م، ص19

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الكم، وهنا نورد كلمات الإبراهيمي التي توضح أهمية هذه الفكرة: "كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في تربية النشء، هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا."¹

وعن البدايات الأولى لتأسيس جمعية العلماء يروي البشير الإبراهيمي " أن ابن باديس قد زاره في

سطيف، سنة 1924م، وأخبره بخطته في خلق جمعية للعلماء في قسنطينة تحت اسم *جمعية الإخاء

العلمي* .وأضاف ابن باديس إلى مضيفه، أن هذه الجمعية ستوحد جهود العلماء الجزائريين وطلابهم، وأنها

ستساعد على ربطهم جميعا ببرنامج مشترك، وقد شجع الإبراهيمي الفكرة .."² كانت هذه الجمعية هي

السييل الوحيد للجمع بين العلماء المتنافرين والمختلفين توحد جهودهم في سبيل تحقيق الإصلاح

المنشود، وفي تلك الليلة تولى الإبراهيمي وضع القانون الأساسي للجمعية، وفي اليوم الموالي انفق الرجلان

على مكان الاجتماع، وأعضاء الإدارة وترجمة القانون الأساسي، ثم عاد ابن باديس إلى قسنطينة لاستشارة

زملائه حول هذا المشروع فرحبوا به، وبقانونه المؤقت³، وقد نشر ابن باديس في جريدته "الشهاب"

للعلماء يدعوهم إلى تقديم آراء واقتراحات تفيد في تأسيس الجمعية، يقول ابن باديس: "أيها السادة

العلماء المصلحون المنتشرون بالقطر الجزائري، إن التعارف أساس التآلف والاتحاد شرط النجاح، فهلموا إلى

تحقيق هذا الهدف بتأسيس حزب ديني محض، غايته تطهير الدين مما ألصق به الجاهلون من الخرافات

¹ حامد مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، ص 51

² أبو القاسم سعد الله، مصدر سابق، ص 387

³ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 42

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

والأوهام، والرجوع به إلى أصلي الكتاب والسنة، وما كان عليها في عهد القرون الثلاثة.. إننا نرغب من كل من يستحسن هذا الاقتراح ويلبي هذه الدعوة من أهل العلم من كل من يجب الإصلاح أن يكتب إدارة الجريدة ببيان رأيه حتى إذا رأينا استحسانا وقبولاً من عدد كاف شرعنا في التأسيس والله ولي التوفيق"¹، ولكن حدثت حوادث عطلت المشروع وقتاً ولم يذكر الإبراهيمي هذه الأسباب وإنما أرجعها إلى عدم نضج الاستعداد لمثل هذه الأعمال الجليلة وعدم استقرار الأذهان على تقبل هذه الأفكار، يقول الإبراهيمي في هذا: "من الأعمال ما يكون الفشل فيه أجدى من النجاح وهذا هو ما شاهدناه في تأسيس جمعية الاخاء العلمي، فقد فشلنا في تأسيسها ظاهراً وفيما يبدو للناس ولكن تلك المحاولات لم تذهب بلا أثر في الجمعيات العلمية الجزائرية ، حتى كان من نتائجها بعد أعوام جمعية العلماء الجزائريين."² إن هذا التأخر في تأسيس الجمعية لم يثبط العلماء عن الاستمرار في دعم هذا المشروع الجليل، ولم يكن سبباً في تراجعهم عنه ، وإنما كان دافعاً لهم على زيادة التحضير للتأسيس التي ظلت شغلهم الشاغل طيلة الفترة الممتدة من 1925 إلى غاية 1930، وفي هذه الفترة برز نادي الترقى "فكان ملتقى النخبة المفكرة، تلقى فيه المحاضرات، وتقام الحفلات ، وداوم الشيخ ابن باديس كلما قدم إلى الجزائر العاصمة على المحاضرة فيه والاجتماع بالشباب الناهض المتوثب من طلبة العلم والمفكرين ، فكان نادي الترقى بذرة صالحة للنهضة الجزائرية خاصة ، وأن تكوين اللجنة التحضيرية التي انبثقت عنها الجمعية كان

¹ زيلوخة بوقرة، مرجع سابق، ص120، نقلاً عن علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر من 1925 إلى 1940، ص144

² سجل جمعية العلماء المسلمين، مصدر سابق، ص42

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

بمقر النادي¹ كل هذه الأجواء التحضيرية التي سبقت تأسيس الجمعية لم تكن بالأمر الهين، بل لم يكن من السهل جمع العلماء ولم شملهم تحت سقف واحد، ومؤسسة واحدة، رغم اختلاف آرائهم وتوجهاتهم ومشاربهم، ولكن الاستعداد كان على أشده لظهور هذا المشروع العظيم. "بينما كان العلماء الإصلاحيون ينتظرون فكرة إنشاء منظمة مشتركة حتى تنضج، كان عليهم أن يختاروا بين شيئين في تناولهم للإصلاح، الاختيار الأول هو التركيز على التعليم، بهدف خلق زعماء جدد ذوي مؤهلات عالية لمواجهة تحدي خصوم الإصلاح، والاختيار الثاني هو مواجهة الوضع حاليا وبصراحة، دون خوف أو رافة حسب تعبير الإبراهيمي.²"

* تأسيس الجمعية :

"كانت سنة 1930 هي السنة التي تم بتمامها قرن كامل على احتلال فرنسا للجزائر، فاحتفلت بتلك المناسبة في 5 جويلية 1930 احتفالا قدرت له ستة أشهر، ببرنامج حافل مملوء بالمهرجانات ودعت إليها الدنيا كله ا.³ وعملوا من خلالها على استفزاز مشاعر الجزائريين، لكن العلماء المصلحون لم يقفوا مكتوفي الأيدي، وإنما استطاعوا أن يفسدوا عليها احتفالها والكثير من برامجها، وكان الرد على ذلك قويا، حيث تم إخراج مشروع جمعية العلماء إلى الواقع "في الخامس من ماي 1931 حيث اجتمع بنادي الترقى* بعاصمة الجزائر اثنان وسبعون من علماء القطر الجزائري وطلبة العلم فيه إجابة لدعوة خاصة من

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص83

² المرجع نفسه، ج2، ص389

³ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، خلاصة تاريخ حياتي العلمية، مجلة الموافقات، ص389

* نادي الترقى هو عبارة عن مركز افتتح عام 1927م في الجزائر من طرف جماعة من أعيان وأغنياء الجزائر.

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

لجنة تأسيسية، متألفة من جماعة من فضلاء العاصمة عميدها السيد عمر اسماعيل أحسن الله جزاء الجميع، وغرض الدعوة هو تحقيق فكرة طالما فكر فيها علماء القطر فرادى وهي تأسيس جمعية العلماء المسلمين، وقد لى الدعوة كتابة بالقبول والاعتذار نحو الخمسين عالما¹. وقد تحدث الإبراهيمي عن أهم الأحداث التي مر بها هذا اليوم في قوله: "فاستجابوا جميعا للدعوة واجتمعوا في يومها المقرر، ودام اجتماعنا في نادي الترقى بالجزائر أربعة أيام، ولما تراءت الوجوه وتعالّت أصوات الحق أيقن أولئك الفقهاء أنهم ما زالوا في دور التلمذة، وخضعوا خضوع المسلم للحق فأسلموا القيادة لنا فانتخب المجلس الإداري من رجال أكفاء جمعتهم وحدة المشرب ووحدة الفكرة.. ووحدة المناهضين للاستعمار وقد وُكِّل المجتمعون ترشيحهم إلينا فانتخبوهم بالإجماع وانتخبوا ابن باديس رئيسا.. وأصبحت الجمعية حقيقة واقعة قانونية وجاء دور العمل². وهكذا نُؤمست جمعية العلماء المسلمين، وقد اتخذت من نادي الترقى مقرا لها في البداية، وقد اجتمع العلماء على راية التجديد والإصلاح" وكان أمام هذا الصرح الجديد فرقا ثلاثة: فريق استراح لها وتفاءل بها، ورآها خيرا وبركة على المجتمع الجزائري، وفريق توجس منها خيفة وتشاءم منها، ورآها شرا عليه، ضمَّ المعمرين والطرقين ودعاة الاندماج والتجنس، وفريق توسط الفريقين الأولين، تحيّر، لم ير الحق حقا فيتبعه، ولم ير من هذه الجمعية باطلا فينكره³. ولكن رغم تعدد هذه الفرق إلا أنها كانت سباقة للاستجابة للدعوة التي أطلقتها جريدة الشهاب، وتم تأسيس الجمعية وفي نفس

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص71

² المصدر نفسه، ج3، ص217

³ شهرة سفري، الخطاب الدعوي عند جمعية المسلمين الجزائريين، شهادة ماجستير في الدعوة الإسلامية، إشراف الدكتور محمد

زمران، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م، ص55

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الجلسة التي تم فيها الإعلان عن الجمعية تم وضع القانون الأساسي، "وعينوا للرئاسة المؤقتة الشيخ أبا يعلى الزواوي، وللكتابة الأستاذ محمد الأمين العمودي، ووضع القانون وتلاه كاتب الجلسة على رؤوس الأشهاد فأقرته الجمعية العمومية بالإجماع، وانقضت بذلك الجلسة الأولى على الساعة الحادية عشر صباحاً ، وعلى الساعة الثانية زوالاً من نفس اليوم أعيد الاجتماع العمومي لانتخاب الهيئة الإدارية طبقاً لمنطوق مادة القانون الأساسي." ¹ هكذا تشكلت الجمعية، وتشكل مجلسها الإداري على النحو التالي:

- عبد الحميد بن باديس رئيساً.
- محمد البشير الإبراهيمي نائباً له.
- محمد الأمين العمودي كاتباً عاماً.
- الطيب العقبي نائباً للكاتب العام
- مبارك الميللي أميناً للمال.
- إبراهيم بيوض نائباً لأمين المال.
- المولود الحافظي، الطيب المهاجي.
- السعيد اليجري، مولاي بن الشريف.
- حسن الطرابلسي، عبد القادر القاسمي.

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص71

- محمد الفضيل اليراتي.¹

ونظرا لكون أن أغلب أعضاء هذا المجلس يتواجدون خارج العاصمة كان لابد من تعيين لجنة دائمة

يكون أفرادها مقيمين بالعاصمة، فأصبح المجلس الإداري على النحو التالي:

- عبد الحميد بن باديس رئيسا.

- محمد البشير الإبراهيمي نائبا له.

- محمد الأمين العمودي كاتباً له.

- العربي التبسي نائبا للكاتب العام .

- مبارك المليلي أميناً للمال.

- ابراهيم أبو اليقظان نائبا للأمين العام.

أما الأعضاء المستشارون فهم كالتالي :

- الطيب العقبي.

- السعيد الزاهري.

- محمد خير الدين.

- علي أبو الخيار.

- يحي حمودي.

¹ موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس، تأسيس الجمعية، 9 شعبان 1429هـ-10-08-2008م. <http://binbadis.net>

- قدور الحلو .

- عبد القادر بن زيان .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن بعض الأعضاء في الجمعية كانوا أعضاء غير فاعلين، وإنما تم انتخابهم لظروف معينة زالت فيما بعد وزالوا معها، كشيوخ الطريقة والموظفون الح كوميون مما لا يعينهم أمر الإصلاح في شيء.

وسنعرض في هذا المقام بعض الأقوال لرواد الجمعية في تعريفهم للجمعية، كقول البشير الإبراهيمي "جمعية العلماء جمعية علمية دينية تهذيبية، فهي بالصفة الأولى تعلم، وتدعو إلى العلم ، وترغب فيه ، وتعمل على تمكينه في النفوس بوسائل علنية واضحة لا تستر، وهي بالصفة الثانية تعلم الدين والعربية لأنهم اشيعان متلازمان، وتدعو إليهما وترغب فيهما، وبالصفة الثالثة تدعو إلى مكارم الأخلاق التي حض الدين والعقل عليها، لأنها من كمالهما، وتحارب الرذائل الاجتماعية التي قبح الدين اقترافها ، وذم مقترفيها وتعمل لترقية فكر المسلم بما استطاعت، وترشده إلى الأخذ بأسباب الحياة الزمنية ، والجمعية فيما وراء هذا مرتبطة بالعالم الإسلامي أفرادا وشعوبا، بما يترابط به المسلمون من حقائق دينهم ومظاهره، وفيما عدا هذا فالجمعية جزائرية محدودة بحدود الجزائر، ملزمة بقانون الجزائر لأن أعضائها كلهم من أبناء الجزائر".¹

2-ردود الفعل تجاه تأسيس الجمعية :

¹البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج1، ص199-200

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

إنَّ الإقدام على مشروع بحجم الجمعية كان من الطبيعي أن يثير مخاوف الإدارة الفرنسية وشكوكها، ولكن ما لبثت أن اطمأنت وهدأت شكوكها بل لم تتأخر في منح الترخيص الرسمي للجمعية بعد أيام من تقديم طلبها، وكان ابتهاجها لتأسيس الجمعية بهدف ملء الفراغ الذي يحس به الأهالي ولاستقطاب كل علماء القطر في هذه المنظمة حتى يكون ربطهم بها يسيرا، وتتضح لها كل الاتجاهات المناوئة والمؤيدة لسياستها الاستعمارية في الجزائر.¹ ومما زادها اطمئنانا لهذه الجمعية، أنها جمعت مختلف الفئات الثقافية بما فيها الطرق الصوفية وبعض من أعداء الإصلاح إضافة إلى أن العلماء برأيها ليسوا مصدر خطر يهدد مصالحها في الجزائر، ويؤكد هذا مؤرخ أمريكي درس الوثائق الفرنسية الموجودة في الأرشيف الفرنسي إدارة ما وراء البحار في مدينة أكس إن بروفانس، حيث يذكر أنَّ الأجزاء المبعثرة من تقارير إدارة شؤون الأهالي للسنوات من 1343-1349هـ/1924-1930م، لم تر أي خطورة في حركة الإصلاح فقد كانت دوائر الشرطة خلال عام 1344هـ/1925م تهتم بالنشاط المتزايد للشيوعية أكثر من اهتمامها بالعلماء.² كما أنها لم تعترض على تنصيب الشيخ بن باديس رئيسا للجمعية، رغم علمها بنشاطه الإصلاحية قبل ذلك لاعتقادها أنه كغيره من الفقهاء الذين يسعون إلى إصلاح الناس وإرشادهم دون تدخل في الأمور السياسية، أي أن عمله لا يعدو على كونه كلاما نظريا "كما أنها كانت ترى بأن ابن باديس لم يكن له اعتبار هام لدى مصالح الشؤون الأهلية، وإذا كانت سمعته قد انتشرت في الجزائر فإنها لم تكن إلا في بعض النوادي، كما أن قراء الشهاب البالغ عددهم ألفي شخص لم يكونوا يمثلون إلا وسطا

¹ عبد الكريم بو الصنصاف، جمعية العلماء المسلمين، ودورها في تطور الحركة الوطنية، 101

² المرجع نفسه، ص 81

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

محدودا معزولا عن الجماهير الشعبية حسب رأي الإدارة .¹ كان هذا هو الموقف الفرنسي تجاه تأسيس الجمعية في بداية التأسيس فقط ، لكنه أخذ منعرجا آخر عندما بدأت الجمعية نشاطها الإصلاحية وستتطرق لذلك في حينه.

أما بالنسبة للجماعات التي ألفت نوم الشعوب وغفلتهم ، فلم تستسغ هذه الفكرة وعملت على تدمير المكائد لها، وكذلك يقول الإبراهيمي في سجل المؤتمر: "لم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين خفيف الوقع على الجماعات التي ألفت استغلال جهل الأمة ، وسذاجتها وعاشت على موتها، ولكن التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن تسير الجمعية في الظاهر وإن أسرت لها الكيد في الباطن"² وهي الطرق الصوفية وأعداء الإصلاح من دعاة الإدماج والفرنسة.

إن تأسيس الجمعية كان في الوقت المناسب، وكان ضرورة قصوى تقتضيها الظروف والتحديات، ردا على الادعاءات الاستعمارية بأن عهد الإسلام قد ولى، وأن الثقافة العربية الإسلامية اندثرت ، وزالت آثارها ولم يبق لها وجود، وقد كان فرصة أيضا لعودة العلماء إلى ميدانهم في القيام بواجبهم النضالي اقتداء بإخوانهم في المشرق العربي.³

وهكذا انقضت السنة الأولى من تأسيس الجمعية ، وقد تراوحت بين النجاح والإخفاق وهذه طبيعة كل عمل بشري، ولكن بسبب إصرارها على الإصلاح والتغيير وبلوغ النهضة المنشودة قويت شوكتها وارتقت

¹ المرجع السابق، ص 198

² سجل مؤتمر الجمعية، مصدر سابق، ص 45

³ عبد الغفور شريف، مرجع سابق، ص 52، نقلا عن محمد الطيب العلوي، مظاهر المقاومة الجزائرية 1830-1954، ص 110

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

بعملها إلى المستوى المطلوب من التنظيم والتدقيق والإحكام ، "وحتى يسهل الإشراف على متابعة العمل الإصلاحي، وتنشيط العمل التربوي، الذي يقدم في المدارس الحرة، التي بدأت تنشر في أرجاء القطر، كلف الإمام عبد الحميد بن باديس باقتراح من الجمعية الشيخ الطيب العقبي بأن يتولى الإشراف على العمل الذي يجري في العاصمة وما جاورها، وكلف الشيخ البشير الإبراهيمي بأن يتولى العمل الذي يجري بالجهة الغربية من البلاد انطلاقاً من تلمسان، وأبقى العاصمة وما جاورها تحت إشرافه شخصياً. " ¹ وهكذا تقاسم الثلاثة العمل في القطر كله استكمالاً لما يقتضيه العمل المنظم والمحكم داخل الجمعية.

3- أهداف الجمعية ومبادئها :

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية إسلامية في سيرها وأعمالها، جزائرية في مدارها وأوضاعها وطبيعة أهلها ويستلزمه تاريخهم الممتد في القدم إلى قرون وأجيال، وهذا الغرض هو تعليم الدين ولغة العرب التي هي لسانه المعبر عن حقائقه للكبار في المساجد التي هي بيوت الله، وللصغار في المدارس على وفق أنظمة لا تصادم قانوناً جارياً ولا تزاحم نظاماً رسمياً ، ولا تضر مصلحة أخ ولا تسيء إلى سمعته، فجميع أعمالها دائرة على الدين، والدين عقيدة اتفقت جميع أمم الحضارة على حمايتها، وعلى التعليم والتعليم مهنة، اتفقت جميع قوانين الحضارة على احترامها وإكبار أهلها . ² فهذا المقطع قد أفصح عن الأسس الفكرية لأهداف الجمعية ومبادئها ، وهي الدين والحفاظ على اللغة العربية اللسان المعبر عن الهوية العربية المسلمة دون الإساءة لأي طرف من الأطراف ، وقد لخص ابن باديس مبادئ الجمعية

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص83

² جريدة البصائر العدد 160، 16 صفر 1358، 7 أبريل 1939، ص51

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

وأهدافها في قول موجز وهو أن "القرآن إمامنا، والسنة سبيلنا، والسلف الصالح قدوتنا وخدمة الإسلام والمسلمين وإيصال الخير لجميع سكان الجزائر غايتنا" وكذلك حددت الشهاب مجلة العلماء غير الرسمية في عددها الصادر في شهر ماي من عام 1934 عن هدفها، فقالت أنه يتمثل في "إصلاح الشعب الجزائري العربي من الوجهة الدينية، والوطنية والأدبية والعلمية".¹ من خلال ما سبق يمكننا تحديد الهدف الأول والأساس للجمعية وهو إنشاء جيل عربي جزائري مسلم متمسك بدينه ووطنيته وعروبته، على وعي تام بالأحداث التي تدور حوله من مكائد ومخططات الاستعمار، وقد كتب الكثير عن أهداف جمعية العلماء، فبعضهم قصرها على التعليم العربي ومحاربة الخرافات وتصفية الإسلام مما علق به من الشوائب خلال القرون المتأخرة، وبعضهم قرنها بالنشاط السياسي ومعاداة الاستعمار وبفكرة تكوين الدولة الجزائرية، بينما يرى آخرون أن العلماء هم مجموعة من أنصاف المثقفين وردوا على الجزائر من الخارج يحملون معهم مذاهب هدامة وأفكارا أجنبية عن المجتمع الجزائري، وقد لخص أحد أعضاء الجمعية سنة 1935 أهدافها فيما يلي: "إحياء الإسلام بإحياء القرآن والسنة، إحياء اللغة العربية وآدابها، وإحياء التاريخ الإسلامي وآثار قاداته".² إن الجمعية منذ بدايتها الأولى كشفت عن أهدافها الأساسية وهي العودة إلى مبادئ الإسلام الصحيح عن طريق محاربة البدع والخرافات والأوهام، والاهتمام بالتعليم واللغة العربية والتاريخ الإسلامي من أجل تنشئة جيل متعلم واع بضرورة القيام بالأمة، وتحقيق النهضة المنشودة غير أنها لم تفصح عن مسارها السياسي لأن القانون الأساسي لم يرد فيه ما يدعو الجمعية إلى الخوض في

¹ أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج2، ص397

² المرجع نفسه، ج3، ص86

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

المسائل السياسية، والحق أنه لا يمكن أن نحصر أهداف الجمعية في جانب واحد ، وإنما غطت على جميع الجوانب بما فيها السياسية وإنلم تفصح عن ذلك ولكنها في جوهرها سياسية ، وقد ظهر ذلك في أكثر من موقف، ولعل خير دليل على خوضها في المجال السياسي هو تعرضها لسلسلة من الاضطهادات والاعتقالات من قبل الإدارة الفرنسية، "والحقيقة أن العلماء كانوا مصلحين بالمعنى الشامل للإصلاح، والإصلاح بالمعنى الشامل قد يبدأ بالثقافة أو الدين أو المجتمع، لكنه يغطي كل مظاهر الحياة في مجتمع ما بما في ذلك السياسة."¹ ولهذا السبب تم اعتبار الحركة الإصلاحية في الجزائر مختلفة تماما عما كانت عليه في المشرق العربي، لأنها شملت جميع جوانب الحياة، ومرد ذلك يعود إلى الظروف العمة التي ولدت فيها الحركة الإصلاحية.

انطلاقا مما سبق يمكن أن نلخص أهداف الجمعية وغايتها ، بما جاء في قانونها الأساسي في هدفين رئيسيين، الأول مرحلي آني "يهدف إلى نشر الدين الإسلامي على وجهه الصحيح البعيد عن كل بدعة، ومحاربة كل ما يجرمه صريح الشرع كالخمر، والميسر، والآفات الاجتماعية الأخرى، ومحاربة الجهل، والبطالة، والإسراف، وكل منهي عنه بطبيعته من طرف الدين والأخلاق الفاضلة".² أما الهدف الثاني فهو حقيقي بعيد المدى ، يتمثل في استرجاع استقلال الجزائر وطرده العدو الغاشم من أرض الوطن، وتكوين دولة عربية إسلامية.³ فهذا الأخير هو الذي يثبت أن الجمعية مارست العمل السياسي

¹ المرجع السابق، ج3، ص88

² شفري شهرة، مرجع سابق، ص57.

³ عبد الكريم بو الصفصاف، مصدر سابق، ص108

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

سواء تعمدت ذلك أم لا ، وفي ذلك يقول د.جوان جيلبسي : "كان مذهب العلماء أصلا مذهبا دينيا، ولكن نداءاتها السياسية أفادت في إيقاظ المشاعر القومية في الجماهير الجزائرية، وفي سنة 1938م أكد ابن باديس أن الإسلام دين الله، ويجب بالأولى أن يكون دين الإنسانية ، إنه يشرف العقل ويمجده، ويدعو إلى أن تكون تصرفات الحياة قائمة على العقل، إنه يستنكر استعباد الإنسان للإنسان، كما يستنكر الاستبداد في كل صورته...، وهو في جوهره ديمقراطي ولا يسمح بالحكم المطلق على الإطلاق حتى لأكثر الناس عدلا...". وفي سنة 1936م أعلن ابن باديس أن الشعب الجزائري ليس هو فرنسا، ولا يرغب أن يكون فرنسا بلغته وعاداته وأصله ودينه، وفي سنة 1937 كتب يقول: "الإسلام نظام اجتماعي يستجيب لكل احتياجات الحياة في كل البلاد وفي كل الأوقات، ومبادئه هي وحدها التي تمكن الإنسانية أن تبني سعادتها ، وفي سنة 1938م، هاجم بشدة إعطاء الجنسية الفرنسية بحكم قانون المسلمين".¹ إن الإسلام يشمل جميع جوانب الحياة الدينية والاجتماعية وحتى السياسية وإذا كان تعريف السياسة أنها "الإدارة العامة لشؤون الناس إما تفضي إلى عدل أو إلى ظلم، والقرار السياسي - في محصلته النهائية- هو الذي يحدد طبيعة السكن الذي نسكنه، وطبيعة الطريق الذي نعبه، وطبيعة الجريدة التي نقرأها، وطبيعة المذيع الذي نسمعه، وطبيعة التلفاز الذي نشاهده، وكمية الدراهم التي نحملها في الحافظة".² إذا كانت هذه هي السياسة فلماذا نقصرها على أناس معينين أو من يدعون أنفسهم أهل الاختصاص بينما يجرم بقية الشعب من ممارستها ، وهذا ما فقهه علماء الجمعية وقادتها الذين أدركوا أن

¹ عمارة حياة، مرجع سابق، ص66

² حامد مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرياني والزعيم السياسي، ص85-86

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الإسلام لا يفصل بين السياسة والدين ، وبالتالي مارسوا السياسة ونجحوا فيها ،ومما يؤكد ممارستهم لها هو قول ابن باديس الذي كتب في مناسبات مختلفة موضحا هذا الرأي يقول : "ثم ما العيب الذي عاب به العلماء المسلمون إذا شاركوا في السياسة؟ فهل خلت المجالس النيابية الكبرى والصغرى من رجال الديانات الأخرى؟ وهل كانت الأكاديمية الفرنسية خالية من آثار الوزير القسيس رثليو؟ أ فيجوز الشيء ويحسن إذا كان هناك ويحرم ويقبح إذا كان من هنا؟ كلا لا عيب ولا ملامة وإنما لكل امرئ ما اختار ، ويمدح ويذم على حسب سلوكه في اختياره ."¹ إذا فلا عيب وملامة إذا مارس العلماء السياسة بل هي من صميم العمل الإصلاحي الذي نادى به الجمعية والإسلام لا يحجر على العلماء التدخل في السياسة بل هم أولى من غيرهم ، وواقع الأمة وما يجري فيها من أحداث يستدعي ذلك ، بل إن البقاء بعيدا من التدخل في السياسة يعد "هروبا من الواجب الوطني، وليس ذلك من شيمتها ."² وكان أول ما جسده العلماء توجههم السياسي، هو المشاركة في المؤتمر الإسلامي الجزائري، والذي كانت فكرة الدعوة إليه تعود إلى الإمام ابن باديس "ففي حديث له إلى صحيفة الدفاع التي كان يديرها السيد الأمين العمودي بالفرنسية والتي كانت لسان الحركة الإصلاحية، دعا ابن باديس إلى اجتماع جميع الأحزاب الجزائرية في مؤتمر إسلامي (أو جبهة وطنية) لوضع قائمة من المطالب التي يطلبها الجزائريون من فرنسا ."³ وقد ضم هذا المؤتمر مختلف الأحزاب الفكرية الجزائرية بما فيها الجمعية ، والذي "انعقد في 7 جوان 1936 بسينما الماجستيك-الأطلس حاليا- والواقعة بحي باب الواد الجزائر العاصمة، وتبنى المشاركون ميثاق المؤتمر والذي

¹ المرجع السابق، ص 86

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص 146

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 3، ص 152

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

شمل مجموعة من المطالب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.¹ فمشاركة الجمعية في هذا المؤتمر "أحدث تحولا كبيرا في العقلية السياسية للعلماء الذين أصبحوا يستعملون عبارة -الحقوق السياسية- بدل -الحقوق - بصورة عامة، التي كانوا يستعملونها قبل المؤتمر".² ومن ثمة أصبح هذا المؤتمر "عنوانا لاتحاد الأمة الجزائرية وقوتها ورمزا لأمانيتها القومية ومطالبها الحيوية، وشغلا للألسنة المتحدثة عنها قبولاً ورفضاً، ومعجماً جامعاً لكل الحقوق التي تصبو إليها الأمة الجزائرية".³ وقبل الخروج من هذه النقطة، لا بد من الحديث عن أهمية هذا المؤتمر الذي كان بإيعاز من الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان للعلماء دور فعالاً وفاعلاً فيه، وتكمن أهمية المؤتمر في الاتفاق الذي وقعه ممثلو النواب والعلماء والشيوعيون، وهو عبارة عن مجموعة من القرارات تمثل مطالب الأمة أثناء الاجتماع وهي حسب ما جاء في مجلة الشهاب⁴:

❖ ثقة المؤتمر بالحكومة الشعبية الجديدة وشكرها على عواطفها نحو الأمة الجزائرية.

❖ إلغاء جميع القوانين والقرارات الاستثنائية الخاصة بالمسلمين.

❖ تخويل المسلمين الجزائريين جميع القوانين التي يتمتع بها الفرنسيون مع المحافظة التامة على المميزات

الإسلامية التي يتمتع بها المسلم الجزائري في أحواله الذاتية الشخصية مع إدخال الجزائريين إصلاحات

عليها.

❖ تخويل المسلمين الجزائريين حق التمثيل في البرلمان الفرنسي .

¹ عمورة عمار، مرجع سابق، ص 173

² أحمد الخطيب، جمعية العلماء الجزائريين وأثرها الإصلاحي، ص 244

³ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 1، ص 292

⁴ الشهاب، مج 12، ج 4، ربيع الثاني 1355، جويلية 1936، ص 203-204

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

❖ تأسيس لجنة تنفيذية للمؤتمر .

أما الجمعية فكان لها مطالب أخرى إضافة إلى ما ذكرنا سابقا و"قد تقدم بها العلماء لمكتب المؤتمر وهي تصب في محورين هما: اللغة والدين، فقد طالبت الجمعية باعتبار اللغة العربية لغة رسمية مثل اللغة الفرنسية، وتعطالحرية في تعليمها في المدارس الحرة، أما في مجال الدين فقد طالبت الجمعية بتسليم المساجد للمسلمين مع تعيين مقدار من الميزانية بما يتناسب مع أوقافها، أيضا تأسيس كلية لعلوم الدين، وتنظيم القضاء مع إصلاح المحاكم الشرعية وفق مبادئ الشريعة الإسلامية." ¹ كل هذه المواقف أثبتت أن الجمعية لم تكن بعيدة عن السياسة بل كانت في صميمها على أنها ظهرت أكثر خلال الحرب العالمية الثانية وبعدها، وخلاصة القول في أن الجمعية هي صاحبة الفضل الأكبر في كتابة تاريخ جديد للجزائر بإحياء كل المقومات العربية، وتخليص الهوية الجزائرية من رياح التغريب والفرنسة والإدماج ، وقد لخص لنا الإبراهيمي في أسطر قليلة غاية الجمعية ومبدأها ارتأينا أن نختتم بها الحديث في هذا السياق وهي قوله: "مبدأ جمعية العلماء يرمي إلى غاية جلية، فالمبدأ هو العلم والغاية ، هي تحرير الشعب الجزائري، و التحرير في نظرها قسمان: تحرير العقول والأرواح وتحرير الأبدان والأوطان، والأول أصل للثاني، فإذا لم تتحرر العقول والأرواح من الأوهام في الدين وفي الدنيا، كان تحرير الأبدان من العبودية والأوطان من الاحتلال متعذرا أو متعسرا، حتى إذا تم منه شيء اليوم، ضاع غدا، لأنه علة غير أساس، والمتوهم ليس له أمل، فلا يرحى منه عمل، لذلك بدأت جمعية العلماء - من أول يوم نشأتها - بتحرير العقول والأرواح، تمهيدا

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص 236-237

للتحرير النهائي¹. والحديث عن غايات الجمعية وأهدافها لا يكتمل إلا إذا تحدثنا عن الوسائل والنشاطات التي اتخذتها الجمعية لتحقيق هذه الأهداف والغايات.

4- وسائل تحقيق الغايات والأهداف :

لقد خاضت جمعية العلماء المسلمين كفاحا مريرا على جبهات متعددة من أجل تحقيق أهدافها النبيلة، ومن أجل ذلك حشدت مجموعة من الوسائل والأساليب، والتي كانت في جوهرها واحدة وهي المسجد والمدرسة والنادي والصحافة، فكان المسجد للوعظ والإرشاد بطريقة جديدة في فهم الدين وكيفية تطبيقه في الحياة، والمدرسة كانت لتربية وتعليم النشء الجديد وتخريج إطارات الثقافة العربية الإسلامية، والنادي الذي كان للتوعية والتوجيه الوطني بالخطب والمحاضرات والمسامرات والمسرحيات والأشعار والأناشيد، أما الصحافة فكانت تنشر المبادئ والأهداف والدعوة إلى اليقظة، والدفاع عن الجمعية ضد أعدائها سواء من الإدارة الفرنسية أو الطرق الصوفية ودعاة التغريب والفرنسة وكل معاد لتيار الإصلاح.² وقد فصلنا الذكر والحديث عن هذه الوسائل عندما تحدثنا عن الحركة الإصلاحية في الجزائر قبل ظهور جمعية العلماء وهي نفسها التي انتهجتها الجمعية لأن أغلب قادتها هم الذين قادوا الحركة الإصلاحية من قبل، على غرار الشيخ عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي، والعربي التبسي، والطيب العقبي، وغيرهم، لكن الجمعية لم تكتف بهذه الوسائل الأربعة المهمة بل زادت عليها حسب ما رآته مناسبا، وفي صميم الإصلاح، وفي الحقيقة كانت هذه الوسائل بنت المناسبات منها "الاحتجاجات، والمقابلات، وإرسال

¹ المصدر السابق، ج4، ص343-344

² أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ج3، ص90

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الوفود، والرحلات، والمشاركة في التجمعات العامة ونحوها، فمنشور ميشال وقرار رينيه مثلاً أثارا موجة من

الاحتجاجات لدى الجمعية قابلتها بالسخط في صحافتها واجتماعاتها وبالبرقيات والرسائل إلى

المسجونين، وكان أعضاء الجمعية يقابلون المسجونين الفرنسيين على الشؤون الأهلية، ويبدون لهم تدمر

الجمعية من الإجراءات التي تتخذ ضد حرية التعليم والصحافة والوعظ في المساجد¹ أما في ما يخص

التجمعات العامة فيظهر ذلك في المؤتمر الإسلامي الذي شاركت فيه مختلف الأحزاب والجمعيات

الوطنية، وقد أدلى العلماء بدلوهم فيه وعملوا بجهد وجدّ كبيرين "وذهب منهم وفد فيه رئيس الجمعية

والطبيب العقبي والإبراهيمي إلى باريس واجتمعوا هناك برجال دولة فرنسا وبالصحافة الفرنسية وبرجال نجم

أفريقيا الشمالية، وكانت فرصة لهم لإطلاع السياسة الفرنسيين والرأي العام على ما يجري في الجزائر، وعلى

ما يهدفون إليه من حركتهم وعلى ما تعانیه دعوتهم من اضطهاد ومضايقات². "لقد أحدث الجمعية

بسبب أهدافها وغاياتها النبيلة والوسائل التي اتخذتها انقلاباً فكرياً حيث حركت الجمود الفكري الذي

سيطر على الشعب الجزائري، وركن من خلاله إلى ضعف واستكانة لم يستطع معها أن يحرك ساكناً، أو

يغير الوضع السائد في المجتمع فحققت بذلك نتائج عظيمة لطالما كانت حلماً بالنسبة للشعب

الجزائري، وهما هو أحد أبناء الجمعية يتحدث عن إنجازاتها الجليلة التي شهدتها إذ يقول "إن جمعية العلماء

قد أحييت الجزائر وبعثت فيها عربيتها التي كادت أن تغيب وإسلامها الذي كاد يقضى عليه"³.

¹ المرجع السابق، ص 90

² المرجع نفسه، ص 90-91

³ بوبكر صديقي، البعد المقاصدي في فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إشراف الدكتور مسعود فلوسي، رسالة ماجستير

في العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص 2010-2011م، ص 18

5- ميادين العمل الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين :

إن جمعية العلماء بكل أعمالها "كانت تصحح الأساس في البناء، وتدعم الدعوة بالإعداد والاستعداد، وتقف في مواجهة الباطل بالحق في شقية، الجمود والجحود.. مع التزام مبدأ الحكمة والرصانة، والتعقل والتصبر، ومع مساهمة سنن التطور والتكيف مع ظروف العمل وظروف الحياة".¹

فكانت بمثابة شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء ، أعطت ثمارها الوفيرة في كافة الميادين والمجالات التي طرقتها وحاولت الإصلاح فيها بجد وجهد كبيرين ، ولعل أهم المجالات التي كان فيها الإصلاح، هي المجال الديني والاجتماعي والثقافي والسياسي ، وسنعطي كل مجال حقه ما استطعنا إلى ذلك سبيلا والله الموفق إلى سبيل الرشاد.

5-1: العمل في المجال الديني :

"كان الانحراف الديني إبان ظهور جمعية العلماء قد بلغ أقصى ما يمكن أن يطمح إليه، من تواطؤ و سافر مع المستعمر، وإلقاء بالمقاليد إليه، بينما كان في فترات سابقة أشبه بالاستكانة المشلولة والاستخذاء القعيد، وربما كان انصرافا هروبيا إلى حلقات العلم، وموقفا سلبيا أمام البدع والضلالات التي يتردى فيها الدين، وسكوتا عن المنكر لا يغير حتى بأضعف الإيمان".² وعندما جاءت الجمعية بمشروعها الإصلاحي والتغييري، لم يكن هناك مجال لمهادنة هذا الانحراف والتحاور معه ، وإنما أخذه على غرة أخذ عزيز

¹ معبد الطاهر فضلاء، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المقاومة الوطنية، مجلة الثقافة، العدد 86 مارس-أفريل

198، ص 250

² صالح خريفي، مرجع سابق، ص 34

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

مقتدر، والوقوف في وجه هذا التيار الجارف والتي هي أحزم ، وهنا يستوقفنا قول البشير الإبراهيمي وهو يتحدث عن الحركة الإصلاحية "كانت الأوساط الإصلاحية في ذلك العهد يتجاذبها رأيان يلتقيان في المقصد، ويختلفان في المظهر العملي للإصلاح وكيف يكون ، أحدهما صرف القوة كلها وتوجيه الجهود متضافرة إلى التعليم المثمر وتكوين طائفة جديدة منسجمة التعليم مطبوعة بالطابع الإصلاحي علما وعملا، مسلحة بالأدلة، مدربة على أساليب الدعوة الإسلامية والخطابة العربية، حتى إذا كثرت سواد هذه الطائفة وكان منها الخطيب ، وكان منها الكاتب ، ومنها الشاعر ، ومنها الواعظ ، ومنها الداعي المتجول ، استخدمت في الحملة على الباطل والبدع على ثقة بالفوز . والرأي الثاني ، أخذ المبطلين مغافصة* والهجوم عليهم وهم غارون ، وإسماع العامة المغرورة صوت الحق فصيحاً غير مجموم ، وقد استقر الرأي على الابتدار للوجهة الثانية والمرابطة فيها والتي هي أحزم، مع عدم إغفال الواجهة التثقيفية واستمالة الشعب إليها، والدعوة لها والتي هي أحسن." ¹

إن قول الإبراهيمي يكشف عن الخطة التي انتهجتها الجمعية للإصلاح الديني ، وهي القضاء على المرابطة التي أحاطت نفسها بحجب القداسة والإجلال، وعانت في الأرض إفساداً بالبدع والمنكرات التي طال عليها الأمد وشب عليها الوالد والولد ، حتى تمكنت في نفوس الضعفاء وظنوها فرضاً لازماً عليهم، وألفها الرؤساء حتى اعتقدوها حقاً لهم واجب التنفيذ ، فكان لا بد من صيحة عنيفة تزلزل

سجل جمعية العلماء، مصدر سابق، ص 39-40

¹*مغافصة: أخذه على غرة

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

أركانها، ورجة عنيفة تصدع بناياتها، وإعصار شديد يكشف الستر عن هذا الشيء الملفف، والسر الذي يأبى أن يتكشف، ليراه الناس على حقيقته.¹

وقد كتبت جريدة البصائر لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تصف هؤلاء الطرقيين ، بقولها : "المربطون هم حيوانات الاستعمار الداجنة، فهم اليد التي تنفذ الأوامر المشؤومة ، والجسر الذي يفتح له الطريق، وما انفكوا يناقضون الله في ظهورهم بمظهر الأنفة أمام الشعب والعبودية إزاء المستعمرين والرؤساء الإداريين الطغاة." ² لقد أفسد هؤلاء المربطون على الجزائريين عقولهم بيث الخرافات والأباطيل في العقيدة الإسلامية، حتى أفرغوها من حقيقتها وفرقوا بذلك وحدة الأمة وتربطها الاجتماعي ، حتى أصبحت الأمة جاهلة تعتقد أن هؤلاء الطرقيين هم من يملكون زمام الأمور ، ومفاتيح الجنة فأحاطوا أنفسهم بحجب القداسة والهيبة والإجلال ، "قداسة تتراجع عنها كل يد فاحصة، وتنحسر دونها كل نظرة نافذة ، ويتعثر في طغيانها كل تطلع للفهم، فقد أصبح الدين في عرف أذعيائه تعبديا لا يقبل الجدل ولا النقاش ، ولا يقبل إلا التسليم، وأصبحت الحكمة السارية المجسدة لهذا الوضع المنحرف (اعتقد ولا تنتقد)" ³ ومما زادها انحرافا وتطرفا أنها كانت تسير في ركاب الاستعمار ت أتمر بأمره، وتحرس مصالحه "حتى صار الكولون يعتبرون رجالها الممثلين الحقيقيين للإسلام الصحيح المتسامح بالمقارنة مع طائفة العلماء ."⁴ فقد رأت السلطات الفرنسية أن هذه الطرق الصوفية هي من أفضل الوسائل لإحكام سيطرتها على الشعب الجزائري

¹ ينظر، المصدر السابق، ص 40

² عبد الكريم بوالصفصاف، مرجع سابق، ص 190

³ صالح خرفي، مرجع سابق، ص 36

⁴ عبد الكريم بوالصفصاف، مرجع سابق، ص 189

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

"فأخذت تستميل شيوخهم بالمال والجاه والمناصب ، وقد أصبح هذا واضحا فيما بعد حين سيطر الطرقيون على تسعة أعشار مقاعد المجالس المحلية على كل المستويات، وأربعة أخماس المناصب القيادية، وثلاثي الوضائف في الإدارة الفرنسية ."¹ فهذا التقرب من الطرق الصوفية من قبل الاستعمار جعلها تنطلق في سبيل الإفساد لا يهمها شيء من المسائل الدينية والقضايا الاجتماعية ، وبذلك عم الفساد وكثرت السرقة وانتشرت جرائم الضرب والقتل والاعتداء على الشرف، وتنادى الناس بالعصبية الجاهلية المذهبية والجنسية والجهوية والطبقية ، "فأصبحت هذه الطرق الصوفية من أعظم المصائب التي ابتلي بها الشعب الجزائري إلى جانب الاستعمار اللعين، فقد كتب الشيخ مبارك المليي أحد علماء الجزائر كتابا بعنوان رسالة الشرك ومظاهره ذكر فيها مصائب الطرقيين نذكر منها :

❖ التوسط بين الله وعباده في قبول التوبة.

❖ الترفع عن التكاليف الشرعية، والترخيص لأتباعهم في اتباع الشهوات وأهوائهم.

❖ بث الجمود في الناس وتلقيح غفلتهم ثم حثهم على زيارتهم والرحلة إليهم لاستدرار أموالهم.

❖ الاعتماد في دينهم على الخرافات والمقامات.²

وقد كانت هذه الطرق في السابق تعمد إلى العلماء ألسنة الإسلام المنافحة عنه ، فأذلتهم واستعبدتهم

وأسكتتهم بل أغرت العامة بتحقيروهم وإذلالهم، فما كان منهم إلا أن ركنوا إلى الخمول والجمود وعدم

إعمال الفكر .. فما كان يضيرها ويقض مضجعها إلا أن ترتفع كلمة حق ، تكشف مخازيهم وحيلهم

¹ مازن صلاح مطبقاني، مرجع سابق، ص110

² المرجع السابق، ص109 نقلا عن محمد مبارك المليي، رسالة الشرك ومظاهره، ص273-781

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الشيطنانية وتنفر الناس منهم وتحذر من إفكهم وباطلهم، فهناك تقوم قيامتهم وينادون بالويل والثبور ، ويقاومون بما لا يخرج عن طريقهم في التضليل ودس الدسائس¹، لكن الحال لم يدم على ما هو عليه، فقد ظهر العلماء المصلحون وشنوا حربا لا هوادة فيها ولا رحمة على هؤلاء المبطلين ، وأوسعوهم فضحا وتعرية ومطاردة وتمزيقا لحجب القداسة التي كانوا يكتنفون بعطفها، فكانت حربا أشد تطرفا وعنفا ليس لأن الطريقين مبتدعون في الدين فقط، بل لأنهم متهمون بالإخلاص في تعاونهم مع فرنسا وهذا يخالف العقيدة الإسلامية ويخالف أيضا أفكار الجامعة الإسلامية.² لقد أدركت الجمعية خطورة هذه الطرق الضالة التي عاثت في الأرض فسادا بالانحرافات الكثيرة والمتوالية ، والتي وقفت سدا منيعا في سبيل التقدم والإصلاح الاجتماعي والثقافي، فكان لزاما على الجمعية ورجالها أن يقفوا في وجه هذا الإعصار الهادر الذي لم يبق أثرا للدين الصحيح في نفوس الشعب الجزائري ، "فقامت أعمالها الإصلاحية من تفسير القرآن ، وإقامة حلقات الوعظ، والإرشاد ودعوة الناس إلى التمسك بأهداب الدين القويم ، ورفض الخرافات والبدع التي نسبت إليه، وقد تمكنت بفضل ثباتها في الدعوة من توعية الناس الذين أخذوا يتخللون في بعض المناطق الجزائرية عن عادات كانوا يعتقدون أنها من صلب الدين كزيارة الأضرحة والتوسل بأصحابها والذبح عندها، وغيرها من البدع التي تمكن رجال الإصلاح من فرزها وتضييق نطاقها ."³ إضافة لذلك فقد استعانت في مواجهتها لهذا الانحراف بالصحافة الإصلاحية، يقول ابن باديس: "قمنا بالدعوة إلى ما كان عليه السلف الصالح من التمسك بالقرآن الشريف والصحيح من السنة الشريفة، وقد عرف القائمون

¹ ينظر، سجل جمعية العلماء، مصدر سابق، ص 27

² مازن مطبقاني، مرجع سابق، ص 111

³ زيلوخة بوقرة، مرجع سابق، ص 138

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

بتلك الدعوة ما يلاقونه من مصاعب في طريقهم من وضع الذين شبوا على ما وجدوا عليه آباءهم من خلق التساهل في الزيادات والذبول التي ألصقتها بالدين المغرضون، أو أعداء الإسلام الألداء والغافلون من أبناء الإسلام.¹ والإصلاح الديني الذي كانت تدعو إليه الجمعية هو تطهير العقيدة الإسلامية من الشوائب والدنس، الذي ألصق بها وإعادة تفعيلها في المجتمع، يقول مالك بن نبي "أن المشكلة لا تكمن في تعليم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملأه نفسه باعتباره مصدرا للطاقة."² وقد كفانا الشيخ البشير الإبراهيمي البحث عن الأسباب والدوافع التي جعلت الجمعية تعلن حربها على الطرقية الضالة في قوله: "ولقد تفرسنا فيهم فصحت الفراسة، وبلوناهم فصدق الابتلاء، وجربناهم فكشفت التجربة على أنهم لا يعرفون الأمة إلا في مواقف الاستعباد وابتزاز الأموال، فإذا مسها الضر وتنكر لها الدهر، تنكروا لها وتجاهلوا، وإن علاقتهم بالأمة علاقة السيد بعبده والمالك لمملوكه لا علاقة المسلم بأخيه المسلم، يجب له ما يجب لنفسه، وأنهم مطايا الاستعمار الدليل وأيديه الباطشة، بل القنطرة التي هونت عليه العبور، وإنهم كانوا ولا زالوا على خلاف ما وصف الله به عباده المؤمنين، أعزة على الأمة أذلة على المستعمرين والحكام المستبدين، وأن ليس في صحائفهم السوداء موقف يعز الإسلام أو يرفع المسلمين... وهذا تاريخهما لماضي الملحد، وتاريخهم الحاضر المشهود يسجلان عليهم أنهم أعوان على هذه الأمة للدهر وحلفاء عليها للفقر، وإلب على دينها

¹ عبد الغفور الشريف، مرجع سابق، ص 115

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، دار الفكر، دمشق - سوريا، 1406-1986م، ص 54

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

مع التبشير بالكفر، وأنهم هم الذين أماتوا رهبة الإسلام ونخوة الإسلام بخضوعهم واستسلامهم، كما أماتوا حقائقه بأساطيرهم وأوهامهم، وأنهم مردوا على الملق والمداهنة المزرية بشرف الإسلام في المواقف التي تسمو عن المجاملة، وتقتضي نهاية الصدق في المعاملة.¹ لأجل تلك الصفات وغيرها من رجال الصوفية لم يكن هناك مجال للمهادنة أو المسالمة، وكيف يكون ذلك وهم يعتقدون على العقيدة الإسلامية بمخالفاتهم وأباطيلهم اعتداء سافرا، ويضعون أيديهم في أيدي الاستعمار الذي عمد منذ البداية إلى القضاء على الإسلام وأهله، وقد كانت الجمعية في أول تكوينها تضم بعض الأعضاء من رجال الصوفية الذين لم يرقهم توجه الجمعية الإصلاحية، وإنما دخلوا ليكونوا عينا خبيثة للعدو لا ترى إلا مصالحه على حساب جمود الشعب وموته، لذلك انقلبوا على الجمعية بإحداث اضطرابات وفوضى، ذلك أثناء انتخابات اللجنة المديرية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين سنة 1932، بغرض الحصول على السلطة وتسيير الجمعية بما يتناسب مع مصالحها، ولكن الجمعية حصدت أغلبية الأصوات في هذه الانتخابات مما أدى إلى انشطارها وخروج الطرفين منها وتأسيسهم جمعية أخرى تحت مسمى جمعية علماء السنة "وزحفوا لمحاربة الجمعية الأولى بصحفهم "البلاغ"، و "الإخلاص"، و "المعيار"، وجعلوا شعارهم القرآن والحديث.² كان هدف الطرفين من هذه الفوضى هو إبعاد الناس عن الجمعية، وعدم الالتفات إليها حتى تبقى لهم السلطة على الشعب يعثون بأفكاره كيفما يشاءون، ويتسنى لهم زرع خرافاتهم وأباطيلهم التي فندتها الجمعية وعلمائها، لكن بنيانهم أسس على شفا جرف هار، فانهار بهم.

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص297

² انظر الشهاب، المجلد الثامن، الجزء الثاني، شوال 1350، فيفري 1932م، ص80

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

وقد استمر النزاع بين الجمعيتين واتخذت كل منها من الصحافة وسيلة للرد على الانتقادات والالتقانات، "وفي سنة 1938 كتبت جريدة طرقية مقالا تبين فيه استمرار الصراع بين الجمعيتين فجاءها الرد من أحد أعمدة الإصلاح في جريدة البصائر يقول فيه: "لتفتخر الجزائر بمثل هذا الكاتب، وليفخر "الأميار" رؤساء البلديات وسائر المعاكسين الجزائريين...أريد هذا الكاتب عدم الإصلاح في العلوم والفنون والمعرف والدين؛ إن مدينة الجزائر التي كان بها ستون مسجدا حين كان السكان المسلمون لا يتجاوزون بضعة الآلاف، أصبحت الآن فيها أربعة مساجد، والسكان يناهزون مائة ألف...أبغذه المخازي يريد هذا الكاتب مقاومة الإصلاح لتزداد الخرافات انتشارا، وبناء القبب وزيارة النساء للقبور، وتخصيصها وتزليجها والجلوس عليها والتمسح بها والتضرع إلى الأموات من الأولياء في قبورهم، لهذا الغرض يقاوم الإصلاح."¹ كان ذلك جانب من الصراع القائم بين الجمعية والطرقية المنحرفة أردنا أن نبينه ونبين معه الجهود التي بذلها رجال الإصلاح في سبيل العودة بالإسلام إلى معقله الحصين، سلاحها في ذلك العلم والدين تستمد منهما "وضوح المبدأ وسلامة الفكر، وصلابة الموقف."²

وكان مما قاومته الجمعية في إطار الإصلاح الديني التبشير المسيحي، "الذي وضع أساسه في الجزائر الكاردينال لافيغري وأسس مراكزه المهمة، ثم أتمت الجمعيات التبشيرية ما بدأه، وهي جمعيات قوية يمددها الأغنياء من المسيحيين "المتسامحين" بالملايين من المال، ويمدها رجال الكهنوت ونساؤه بالعمال،

¹ جريدة البصائر عدد 1، 120، 1 جمادى الأولى 1357، جويلية 1938، ص6-7

² صالح خرفي، مرجع سابق، ص49

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

وتتمدها الحكومات "اللا دينية" بالمعونة والتأييد.¹ وكان الغرض من هذه الجمعيات التبشيرية هو إخراج المسلمين من دينهم إلى المسيحية المنحرفة ومسح هويتهم العربية الأصيلة، وهدم قيمهم ومقوماتهم حتى يسهل القضاء عليهم.

"وقد راعت هذه الجمعيات في اختيار المراكز نفسية السكان وحالة المعيشة، ومن أهم المراكز مركز "ورقلة" في الجنوب الجزائري، حيث يكثر طروق الجماعات، ومركز "بني اسماعيل" قرب بجاية، ومركز "إبغيل علي" ومركز زاوة"² وفي هذا المقام ذكر الزاهري حادثة عن الجنرال "آزا" في كتابه (المسألة الجزائرية) "فضيحة استغلال الكاردينال لافيغري لمجاعات (1867-1868) باختطافه للأطفال الجزائريين قصد تنصيرهم إذ قال: إن المسلمين لا يمكن أن يتركوا الإسلام ويتنصروا، لقد وقعت مجاعات عديدة في القرن الماضي في الجزائر، انتهز الكاردينال لافيغري (مؤسس إرساليات الآباء البيض) الفرصة لتنصير أطفال المسلمين حيث التقط من مخالب المجاعات أربعة آلاف طفل صغير دون العاشرة، وماهي إلا أن كبروا وعرفوا أن آباءهم مسلمين، حتى هربوا ورجعوا إلى الإسلام، ولم يبق منهم على النصرانية إلا أربعين شخصا ما أحسبهم مخلصين للمسيح في بقائهم على النصرانية..."³ وقد آتت هذه الحملات التنصيرية أكلها لعدة اعتبارات نذكرها تباعا كما وردت في السجل: "أولا تقادم عهده أي (التبشير)، وثانيا صولة

الاستعمار الذي يحميه، ثالثا فشو الجهل والامية في الأمة التي هي فريسة التبشير، رابعا انتشار الطريقة التي

¹ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 56

² المصدر نفسه، ص 55

أحمد بلعجال، الخطاب الإصلاحي عند الزاهري، إشراف الدكتور الجمعي حمري، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006م، ص 78-79

الفصل الثاني: التبشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

هي ظئر التبشير، خامساقعود علماء الدين عن المقاومة وسكوتهم عن المعارضة قبل جمعية العلماء¹.
لكن ورغم كل الجهود المبذولة في سبيل التنصير، ظل الجزائري المسلم متمسكا بدينه، بقوة وصلابة أمام رياح الهدم والتغريباته، رغم الفقر والجهل والامية، ولقد بذلت الجمعية كل ما في استطاعتها للقضاء على التبشير الذي كان مسنود الظهر "بجيوش وفيرة من الرهبان والراهبات والأطباء والمرضات، يوحد الجميع أخلاق ممتازة من الصبر والثبات والإيمان الحازم بحسن عاقبة ما وقفوا أنفسهم له".² لكن قوة إيمان هؤلاء المصلحين من أبناء الجمعية وثباتهم، وقف سدا منيعا أمام هذا السيل الجارف الذي أراد أن يجرف معه عقيدة الشعب الجزائري وإيمانه، فكان أن وضعت الجمعية برنامجا محكما سدت عليه المنافذ، "وتجلى ذلك في النهضة العلمية والثقافية والدينية التي بثها عبد الحميد بن باديس هو ورجاله في نفوس الجزائريين عن طريق النوادي الكثيرة والجمعيات العديدة والمساجد الحرة، والمدارس الحرة.. وكذلك المقالات الدينية والأخلاقية والوطنية التي كان ينشرها في جريدة المنتقد والشهاب والسنة والشريعة والصراط السوي والبصائر، فكل هذا النشاط الإسلامي والعربي قد تظافر جميعه على إحباط نشاط رجال التنصير المسيحي".³

لم تكد الجمعية تفرغ من حربها ضد الطرقية ورجال التبشير، حتى تفاجأت بحلول ضيف ثقيل بالقطر الجزائري وهو الإلحاد، الذي انتشر بين أبناء الأمة بفعل الاحتكاك بالثقافة الغربية، والتأثر بها والتقليد

¹ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 55-56

² المصدر نفسه، ص 56

³ تركي رابح عمامرة، مرجع سابق، ص 99-100

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الأعمى لكل ما هو أ ورياوي أجنبي ، وقد غذته غفلة الآباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم.¹ وقد جاء في السجل ما يفسر انتشار هذا الوهم في أوساط الشباب ذلك "أن الناشئ في هذه المدارس اللائكية يحس بمنافرة ما يتعلمه في المدارس من حقائق الكون ، بما يسمعه من أهليه ، ثم يزداد ما يسمعه في تلك المدارس رسوخا في نفسه بما يقام عليه من الدلائل، فيزداد على قدر ذلك نفورا واحتقارا من كل ما يسمعه من أهله الذين لا يعرفون من الدين إلا قشورا ممزوجة بالخرافات ، ثم يتمادى في ذلك حتى يمتلك عليه الإلحاد إلا من رحم الله ."² والسبب في غلبة هذا الوهم على هؤلاء الشباب أن "كثيرا من الآباء يطلقون لأبنائهم الحبل على الغارب ، ولا يحوظونهم بالرعاية اللازمة لحماية دينهم وأخلاقهم وقوميتهم، بل يكلونهم إلى عادات فاسدة ومؤثرات قوية جذابة مسلحة بالدليل ."³ لم تكن الجمعية لتقف مكتوفة الأيدي أمام هذا الانحراف الذي يعصف بالشعب الجزائري ودينه من كل جانب بدءا بالطرقية المنحرفة، ومرورا بعمليات التنصير والإلحاد وما صاحبهما من انحلال أخلاقي، بل وقفت موقفا يجسم قامته الجمعية وتطلعاتها في واجهة البناء.

2-5: العمل في المجال الثقافي :

في مشروعها الإصلاحية لم تقتصر الجمعية فقط على العمل في الجانب الديني، وإنما سعت لتغطية جميع الجوانب التي كانت تقتضي الإصلاح، وفي هذا المقام يقول البشير الإبراهيمي : "والحقيقة أن هذه الجمعية

¹ ينظر، البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص131

² سجل الجمعية، مصدر سابق، ص53

³ المصدر نفسه، ص53

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني ، والإصلاح الاجتماعي ، وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها... وإن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي ولهذا الارتباط بين القسمين، فإن جمعية العلماء عملت منذ تكوينها في الإصلاحين المتلازمين وهي تعلم أن المسلم لا يكون مسلما حقيقيا مستقيما في دينه على الطريقة، حتى تستقيم اجتماعيته".¹ فإلى جانب الإصلاح الديني هناك هدف كبير بالغ الأهمية سعت الجمعية لتحقيقه ، ويتمثل في بعث الثقافة العربية التي واجهها الطمس الفرنسي بكل أساليبه ، وتولت المدرسة الفرنسية مهمة التعليم ، حتى لا يتسنى لهذه الثقافة الظهور..

5-2-1: التعليم :

من الأعمال الأساسية التي سعت الجمعية إلى نشرها وتفعيلها في المجتمع الجزائري ، مشروع التربية والتعليم، فهو من أهم الأعمال التي أنشئت من أجلها الجمعية بدليل أن الشيخ ابن باديس عندما التقى بالشيخ البشير الإبراهيمي في المدينة المنورة ، اتفقا على تأسيس جمعية علمية يكون التركيز فيها على الكيف لا على الكم²، وقد ذكرنا ذلك في الفصل الأول، فالتربية والتعليم هما من أهم القضايا التي أثيرت في العالم ككل ، وعلى أساسهما تتقدم الأمم وتتطور الحضارات وتصنع الأجيال، "وقد عدته الجمعية الأداة الأضمن للمحافظة على الروح الجزائرية التي كانوا يعتقدون بأنها مهددة بالابتلاع من قبل الثقافة

¹ البشير الإبراهيمي مصدر سابق، ج1، ص283

² ينظر، مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس العالم الرباني، ص51

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

والفكر الفرنسي.¹ وقد صوّر لنا البشير الإبراهيمي أهمية التعليم والمرتبة التي يحتلها قائلا: "إن المدرسة هي جنة الدنيا، والسجن هو نارها.. والأمة التي لا تبنى لها المدارس، تبنى لها السجون... والحياة بلا علم متاع مستعار، والوطن بلا علم عورة مكشوفة، ونهب مقسم،.. وإن المدرسة هي طريق الحياة، وطريق النجاة، وطريق السعادة، وأن الوطن أمانة الإسلام في أعناقنا، ووديعه في ذمتنا، فمن بعض حقه علينا أن نحفظ دينه من الضياع، وأن نحفظ لسانه من الانحراف، وأن لا سبيل إلا المدرسة التي تبنينا بها، وتحوطها برعايتها، وتجعلها حصونا تقي أبناءها الانحلال الديني، والانهيار الخلقي، وتحفظهم من ترف الغنى وذل الفقر، وتربهم على الرجولة والقوة، وتوحيد النزعات، وتصحيح الفطرة، وتقويم الألسنة، وتمتين الإرادات والعزائم، وتغرس الفضيلة في نفوسهم وتصلح فيهم ما أفسده المنزل، والشارع، وتروضهم على حب الوطن، وبنائه طبقا عن طبق² لقد بين الإبراهيمي في هذا القول الموجز البليغ دور المدرسة التي كانت الجمعية تطمح لتحقيقها، ونوعية الجيل الذي تريد أن تصنعه ليقود الأمة إلى ما هو أرقى وأحسن، من أجل ذلك باشرت منذ البدء في إنشاء المدارس لتكون على نوعين، مدارس للتعليم العربي الحر، وأخرى للتعليم المسجدي، ولكلا المدرستين بالغ الأهمية في ما تطمح إليه الجمعية سنجمل الحديث عنهما في ما يلي:

أ- التعليم المدرسي (التعليم العربي الحر):

¹ شفري شهرة، الخطاب الدعوي، ص225، نقلا عن علي مراد، الحركة الإصلاحية الإسلامية في الجزائر، ص425

² جريدة البصائر، عدد 172، السنة الرابعة، 1، محرم 1371هـ - أكتوبر 1951، ص3

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

لقي هذا الحدث الثقافي العظيم (التعليم العربي الحر) صدى نفسيا واجتماعيا من طرف التلاميذ الذين ينحدر جلهم من الأوساط الشعبية، وكانت المدرسة تشكل لجزء كبير منهما لأفق الفكري الوحيد الذي ينهلون منه العلم والمعرفة¹. فقد كانوا قبل ذلك يعانون التشرذم والضياع ، حيث أن "عدد الأطفال الجزائريين في المدارس الفرنسية الابتدائية في الجزائر إلى ما قبل الحرب العالمية الثانية ، لم يتجاوز مائة وعشرة آلاف طفل، بينما بلغ عدد الأطفال من السادسة إلى الرابعة عشر، مليوناً ومائة وخمسون ألفاً"² وقد كان التعليم العربي الحر يدور في حلقة ضيقة، يغلب عليه الطابع الديني مع شيء قليل من العلوم العصرية ، ففي مقال بعنوان "لا يبني مستقبل الأمة إلا الأمة " نشره الإبراهيمي يصف فيه العلم في بواكير تلك المرحلة بأنه "قضايا ملفوظة ومسائل محفوظة، مقطوعة العلائق مع أدلتها، مجفوة الأرحام من أصولها ، تسليخ عليها الأعمار، وتقطع عليها الأنفاس، لم يعمل فيها فكر، ولم يرضها تمحيص، ولكنها مع ذلك تسمى علما"³ وقد شرح ابن باديس هذا الأمر في قوله: "العلوم في الجزائر كما أظنها في غيرها، منها علوم تؤخذ باللسان العربي وهي علوم الدين واللسان، ومنها علوم تؤخذ باللسان الأجنبي وهي علوم الأكواد والعمران، وقد كان الذين يزاولون العلوم الأولى على جمود تام ، كما كان الذين يزاولون العلوم الثانية على تيه وضلال، فهؤلاء يعتبرون الآخريين أحجاراً... وأولئك يعتبرون هؤلاء كفاراً.."⁴ لذلك سعت الجمعية بكل ما تملكه من جهد إلى تحسين وتطوير طرق التدريس ، حيث أضافت إلى جانب التعليم

¹ شفري شهرة، مرجع سابق، ص225

² مازن صلاح مطبقي، مرجع سابق، ص87

³ الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص240

⁴ عبد الحميد ابن باديس، كتاب آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الجزء الثاني من المجلد الثاني، الشركة الجزائرية

الجزائري، ط1، 1388هـ/1968م، ص332

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الديني، بعض العلوم العصرية واللغات الأجنبية ، التي رأت بأنها مكملة لها، وكل ذلك من أجل إحداث نفضة فكرية شاملة، كما أنها "قضت على الأساليب العتيقة العقيمة التي كان يباشر بها التعليم، والتي لا زالت مثارا للشكوى والتذمر في مكاتب التعليم ومعاهد العلم بغير الجزائر ، ولم تستطع تلك المكاتب والمعاهد التخلص منها مع ظهور فسادها ."¹ وقد نتج عن ذلك أن توسعت دائرة التعليم فعمّت كافة أنحاء الوطن وأخذت المدارس الحرة في التزايد والانتشار وكذلك عدد التلاميذ والمعلمين ، "حتى بلغ عدد المدارس سنة 1935م، 70 مدرسة ، وعدد التلاميذ 30000 تلميذ بين صبي وفتاة ."² وشهد عام 1943 بناء 73 مدرسة حتى قال عنه الإبراهيمي إنه "موسم حمى فائرة أعرضها تأسيس المدارس، وهذيانها الحديث عن المدارس."³ وكان نشاط الجمعية متمثلا في "اختيار المعلمين والإشراف على سلوكهم ونشاطهم، والإشراف الفني على المدارس كاختيار البرامج التعليمية ، وتأمين الكتب اللازمة للتلاميذ وغيرها من الأعمال الإدارية التي كانت هي المسير الرئيسي لها ."⁴ وفي سنة 1948 بلغ عدد المدارس الحرة "مائة وثلاثون مدرسة عربية ابتدائية مجهزة بكل الأسباب المادية العصرية اللازمة للمدارس، وبجهاز آخر من المعنويات أعظم منها شأنًا وأجل خطرا، ويجند من المعلمين الأكفاء قوامه مائتان وخمسون معلما، من بينهم عشرات من النوابغ في التعليم والإدارة، ومشحونة بزهاء ثلاثين ألف تلميذ من أبناء الأمة بنين وبنات، يتلقون مبادئ الدين الصحيح عقيدة وأعمالا، ومبادئ العربية الفصيحة

¹ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 49

² أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص 199-200

³ الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 1، ص 281

⁴ أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص 201

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

نطقا وكتابة وإنشاء، ويتربون على الوطنية الحقيقية وعلى الهداية الإسلامية والآداب العربية، ويتكون منهم جيل مسلح بالعلم، ثابت العقيدة في دينه ووطنه، قوي العزيمة في العمل لهما... ويزيد في قيمة هذه الحصون العلمية أن الأمة تملك أعيان نحو الخمسين منها، وتملك الانتفاع بالباقي على وجه الكراء¹. ويذكر الإبراهيمي أنه قبل أن يسافر إلى الشرق في رحلته الثانية سنة 1952م "بلغ عدد المدارس العربية الابتدائية أربعمائة وزيادة، ومئات الآلاف من بنين وبنات، وبلغ عدد معلميها ألفا وبضع مئات وبلغت ميزانيتها الخاصة مائة مليون فرنك وزيادة². فهذه النهضة العلمية التي أحدثتها الجمعية تجاوزت حدود الوطن إلى فرنسا ذاتها"، وأنشئت 35 مركزا، منها 17 في باريس مزودين بالمعلمين للحفاظ على الشخصية الوطنية للعمال الجزائريين وأبنائهم هناك³. فقد عرف التعليم العربي الحر قفزة نوعية بفضل الجهود والمسعاي المبذولة من رجال الجمعية المصلحين، كما عرفت المدارس الحرة التفاف الناشئة حولها لاعتنائها برفع الأمية وتصحيح العقيدة، وقد اهتمت الجمعية أيضا في إطار برامجها التعليمية في باب التعليم المكتبي بقراءة القرآن الكريم لأنه "سلاحها الذي به تناضل، وسيفها الذي به تصول، وعدتها في الشدة، وعلى الدعوة إليه بنت مبدأها الإصلاحية، وفي الدعوة إليه لقيت الأذى ورميت بالعظام⁴. هذا بالنسبة للمدارس الابتدائية، أما في ما يخص المعاهد الثانوية فقد عمد البشير الإبراهيمي إلى تأسيس ثلاث معاهد في الجزائر وقسنطينة وتلمسان، وذلك لاهتمامه بمصير الطلاب الذين أنخوا تعليمهم

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج2، ص234

² المصدر نفسه، ج5، ص286

³ المصدر نفسه، ص255

⁴ سجل مؤتمر جمعية العلماء، مصدر سابق، ص50

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الابتدائي وفي أنفسهم الرغبة الجارحة لإتمام تعليمهم، ولكن الظروف المالية لم تتوفر لدى الجمعية مما أدى إلى عدم موافقة رجال الجمعية على هذا المشروع، ولكن رغبة الإبراهيمي كانت أقوى وأحزم، وتحقق له في النهاية ما كان يصبو إليه، فأسس معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس وكان ذلك سنة 1947 فكان هذا المعهد فخرا للجمعية "تاجا لمدارسها، وغرة لأعمالها، بل أعظم أعمالها خطرا، وأعلاها قدرا، وأكثرها نفعا، لأنه يعمل على تهيئة أبناء الأمة لأن يصبحوا قادة لحركاتها، ومسيرين لنهضاتها في جميع الميادين".¹ وقد سعى الإبراهيمي لربط هذا المعهد بجامع الزيتونة سعيا حثيثا وكان ذلك لهذين هما :

❖ إيجاد علاقة ثقافية علمية بين المؤسسات العلمية العربية، وهي فكرة نحسب أن الإمام الإبراهيمي حائز

فيها بالسبق تفضيلا، فأنشأ الأزهر فرعاً له في لبنان، وأنشأت جامعة القاهرة فرعاً لها في السودان.

❖ تمكين حاملي شهادة المعهد من الالتحاق بالمؤسسات التعليمية العليا في المشرق العربي، لأنه ينوي

توجيه النوابغ إلى استكمال معلوماتهم في جهة أخرى غير الزيتونة.²

فقد كانت رغبة الإبراهيمي من هذا الربط بين المعاهد العربية الإسلامية هو توحيد التعليم والفكر اللذين

يعملان على تحقيق النهضة الشاملة في الوطن العربي والإسلامي.

إن هذا الانتشار الواسع لنشاط الجمعية جعل السلطات الاستعمارية تتوجس منها خيفة، مما جعلها

تنتهج سياسة جديدة للتضييق على هذا النشاط وعرقلته، فأصدرت مجموعة من القرارات المتوالية بدءاً

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج2، ص446

² المصدر نفسه، ص19-20

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

بقرار "ميشال" الصادر في 16 فيفري 1933م، والذي فرض مراقبة مشددة على نشاطات رجال الإصلاح المختلفة، ومنها النشاط التعليمي، ومما جاء في القرار "وعليه فإني أعهد إليكم أن تراقبوا بكل الاهتمام ما يروج في الاجتماعات والمسامرات التي تعقد باسم جمعية العلماء التي يتزأسها السيد ابن باديس ولسانها الرسمي في الجزائر الشيخ الطيب العقبي، كما يجب أن تشمل مراقبتكم المدارس القرآنية".¹ كما ظهرت هذه المضايقات في قرار "ريني" الصادر في 30 مارس 1935م الذي جاء ردا على المظاهرات الشعبية التي قامت في الجزائر وخاصة في عمالة قسنطينة احتجاجا على الإجراءات الإدارية ضد التعليم العربي والوعظ في المساجد، ثم كان قرار 8 مارس 1938² ثلاثة الأثافي حيث بلغت درجة التعسف والاضطهاد تجاه نشاط الجمعية ذروتها، وينص هذا القرار على "إغلاق كل المدارس العربية الحرة التي لا تتمتع برخصة عمل، ومنع كل معلم من مزاولة التعليم في المدارس المرخصة إلا بعد الحصول على رخصة تعليم من السلطات المسؤولة، وأخطر ما جاء به القرار هو اعتبار اللغة العربية لغة أجنبية في الجزائر"³ كان هذا القرار ضربة قاسية للجمعية في مسارها الإصلاحي ليس لها بها طاقة، وأمام هذا القرار كان الرد صريحا نشره ابن باديس في مقال بعنوان "يا لله! للإسلام والعربية في الجزائر (كل من يعلم بلا رخصة يغرم ثم يغرم ويسجن) يقول فيه: " فهتمت الأمة كل هذا، وفهمت أن هذا القانون سلاح جديد أشهر لمحاربتنا (الأمة الجزائرية) في أعز عزيز عليها، وأقدس مقدس لديها، وهو قرآنها ودينها ولغة قرآنها ودينها... وفهمته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الممثلة للأمة في دينها وقرآنها والناطقة في الدفاع عنها

¹ أحمد مريوش، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج1، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، 2013، ص154

² أحمد الخطيب، مرجع سابق، ص204

³ المرجع السابق، ص205

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

في هذه الناحية بلسانها، والمعاهدة لله والأمة على ذلك الدفاع إلى آخر رمق من حياتها. ¹ والحقيقة أن هذا المرسوم الأخير قد أدى إلى اضطراب حركة التعليم العربي الحر فترة استمرت حتى الحرب العالمية الثانية، وكان من نتائج هذا القرار أن أغلقت الإدارة الفرنسية بعض مدارس الجمعية، وحاولت إيقاف المعلمين عن ممارسة مهنتهم بالتهديد والملاحقات القانونية. ² لقد كان البلاء شديداً على الجمعية التي عقدت العزم منذ البداية على المقاومة المشروعة والمضي قدماً نحو النصر والتمكين..

ب - التعليم المسجدي:

جاء في سجل جمعية العلماء المسلمين: "المسجد والتعليم صنوان في الإسلام من يوم ظهر الإسلام، فما بنى النبي -صلى الله عليه وسلم- يوم استقر في دار السلام بيتته حتى بنى المسجد، ولما بنى المسجد كان يقيم الصلاة فيه، ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فلا مسجد بلا صلاة، كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون صلاة، ولا مسجد بدون تعليم، ولهذا الحاجة مضى النبي -صلى الله عليه وسلم- على عمارة المسجد بهما، فما انقطع عمره كله عن الصلاة وعن التعليم في مسجده، حتى في مرضه الذي توفي فيه.

¹ المرجع السابق، ص 206

² رابع دبي، السياسة التعليمية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962، دراسة تحليلية، إشراف الدكتور الطيب بلعربي، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 2، 2010-2011، ص 193

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الإسلام يقفون الأوقات على المساجد للصلاة والتعليم ، ومن أظهر ذلك وأشهره اليوم، الجامع الأزهر، وجامع الزيتونة، وجامع القرويين. ¹ انطلاقاً من هذا القول الذي جاء في سجلات مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على لسان العلامة ابن باديس، ندرك أهمية المسجد في مشروع الجمعية ومدى العناية التي وجهت لخدمة المساجد على اعتباره منارة للعلم والعلماء، فقد مارست الجمعية التعليم المسجدي بجوار التعليم المكتبي رغبة منها في نشر الدين الصحيح واللغة العربية، وبعث الثقافة العربية الإسلامية، وكان الفضل في سن التعليم المسجدي يعود للعلامة المجاهد عبد الحميد بن باديس -رحمه الله- وهذا التعليم "يلتزم فيه بكتب معينة في العلوم الدينية من تفسير وحديث وفقه وأصول وأخلاق ، والعلوم اللسانية من قواعد اللغة العربية وآدابها، والعلوم الخادمة للدين من تاريخ وحساب وغيرهما، يقوم بها مشايخ مقتدرون في تلك العلوم ، محسنون لتعليمها، ونسبته مسجدياً لأنه كان من فجر الإسلام إلى الآن مازال يلقي في المساجد ."² بذلت الجمعية جهوداً وفيرة في سبيل إحياء هذا النوع من التعليم الذي أعراه الاحتلال من مهامه "فاجتهدت في إصلاحه وتكميل النقائص وسد الخلل، وتوسيع الدائرة ومجارة الزمن، حتى الوصول إلى الغاية إن شاء الله وهي إخراج فرساننا يهدون هذه الجماهير المتثابرة، وأعلام أدب يحركون هذه المشاعر المخدرة، وعلماء استنباط يحلون هذه المشكلات الحيوية التي عاقت الأمم الإسلامية عن مجارة السابقين في الحياة."³

¹ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 80

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 2، ص 170

³ المصدر السابق، ص 170-171

ج - موقف الجمعية من تعليم المرأة :

أولت الجمعية عناية بالغة بتعليم المرأة المسلمة، لأنها أدركت الخطر الذي يحدق بالأمة من وراء تجهيلها، فالمرأة هي عماد الأسرة، والأسرة هي اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم الصحيح .. لقد كان الأهالي في زمن الاستعمار يمتنعون البنات من ارتياد المدارس الحكومية انطلاقاً من العادات والتقاليد البالية، التي تمنع ذلك بل وتجرم فاعله وعندما أعلنت الحركة الإصلاحية عن وجودها لم يرقها حال المرأة من التهميش والتعتيم الذين يحفانها، فأخذت على عاتقها مسؤولية النهوض بالمرأة الجزائرية المسلمة، والخروج بها من بوتقة الجهل والتخلف إلى سعة النور والعلم وفي هذا المقام راح مصطفى حلوش يصف حال المرأة الجزائرية في خطبته يقول: "...ومن المؤسف المحزن أن تكون الأم هي المدرسة الأولى جاهلة لا تعلم وناقصة لا تكمل، وآسف من ذلك، وأحزن أن يضاف إلى جهلها ونقائصها جهل الرجل ونقائصه، فتبقى مدرسة الأسرة عاطلة، لا من ناحية الرجل، ولا من ناحية المرأة.. لهذا إن أردنا حياة هنيئة، وسعادة رضية، لأن يكون الدين أساساً للتعليم، وأن يشمل الرجل والمرأة على السواء، وأن يكون التطبيق فيه أكثر من النظر".¹ وقد طرح الشيخ ابن باديس مشروعاً يرمي من وراءه إلى نهضة الأسرة الجزائرية المسلمة، وهو تعليم المرأة فيقول: "إذا أردنا أن نكون رجالاً، فعلياً أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل لذلك إلا بتعليم البنات تعليماً دينياً، وتربيتهم تربية إسلامية، وإذا تركهن على ما هن عليه من الجهل بالدين، فمحال أن نرجو منهن أن يكون لنا عظماء الرجال".² غير أن التعليم الذي يهدف إليه ابن

¹ سجل الجمعية، مصدر سابق، ص 150-151

² مجلة الشهاب، ج 8، م 11، شعبان 1354 هـ - نوفمبر 1935 م، ص 449

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

باديس ورفقاء الجمعية ، هو التعليم الهادف الذي يبني الأسرة الجزائرية على أساس متين من الدين والأخلاق، ليس الذي يسلخها من مقوماتها الشخصية الإسلامية ، كما دعا إلى ذلك دعاة التغريب والفرنسة الذين دعوا إلى تحرير المرأة عن طريق سفورها وتبرجها ، إلى هؤلاء توجه ابن باديس قائلاً: "وإذا أردتم إصلاحها الحقيقي، فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها، قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أحرها... وتعليم البنات تعليماً يناسب خلقهن، ودينهن، وقوميتهن، فالجاهلة التي تلد أبناء لامة يعرفونها مثل أمهاتنا -عليهن الرحمة - خير من العاملة التي تلد للجزائر أبناء لا يعرفونها.. ويوم نسلك هذه الطريق في تعليم المرأة، والطريق السابق في تعليم الرجل سلوكاً جدياً نكون قد نهضنا بما نهضة صحيحة".¹ وبهذا تكون الجمعية قد استوفت جميع الجوانب في حراكها الثقافي، وأعمالها في هذا المجال شاهدة على ما قدمته لتحقيق النهضة العربية الإسلامية ...

5-2-2: الصحافة :

إضافة إلى التعليم العربي الحر ودوره في بناء النهضة ، استعانت الجمعية بالصحافة المكتوبة التي تأتي في مرتبة موازية للتعليم في بسط أركان الإصلاح في الجزائر، فقد حظيت بمكانة مرموقة في فكر علماء الجمعية الذين اشتغل جلهم في هذا الميدان حتى قبل تأسيس الجمعية، ويشير الشيخ مبارك الميلي إلى أهمية الصحافة في المشروع الإصلاحي لدى الجمعية بقوله: "وإن من أهم الخطط وأعم الوسائل لتحقيق الغايات ونشر الدعوات، إنشاء الصحف السيارة، التي تحفظ جيد الأقوال، وسديد النظريات وتدخل بها

¹ محمد ناصر، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1931، م1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، 1398هـ-1978م، ص242-243

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

على الطالب في مسكنه، وعلى التاجر في متجره، وعلى الصانع في مصنعه، وعلى المأ في ناديهم، وعلى المسافرين في مراكزهم، بل لا يحجبها على الفتيات خدر ولا حرس... وما وجدت فكرة الإصلاح الديني بأرض الجزائر حتى وجدت لها صحف تعبر عنها، وتبشر بها، وتدافع عنها.¹

وأول ما ظهر من صحافة العلماء المصلحين كان في سنة 1925م من خلال جريدة "المنتقد" التي

أسسها عبد الحميد بن باديس وكان شعارها "الحق فوق كل أحد، والوطن قبل كل شيء" وذلك بعد

إغلاق صحيفة "الصديق" سنة 1922م لعمر قدور الجزائري ومحمد باك ر، وكذلك توقف جريدة

"الإقدام" في أبريل من سنة 1923م، وأمام هذه السياسة التعسفية في إغلاق الجرائد الإصلاحية عمد

ابن باديس إلى تأسيس جريدة إصلاحية يملأ بها الفراغ الإعلامي القائم، والسياسي²

"فالمنتقد تعد تحولا مهما في الحركة الفكرية والأدبية في الجزائر، لأنها تتميز عن الصحف التي سبقتها ،

أسلوبا، ولغة، وأفكارا، إذ استطاع ابن باديس أن يضم إليها خيرة الأقلام آنذاك، مثل مبارك الميلي ،

والطيب العقبي، وأبي اليقظان، ومن الشعراء محمد العيد آل خليفة ، ومحمد الهادي السنوسي، الذي يعتبر

شاعر المنتقد.³ استطاعت جريدة المنتقد أن تضم إليها أفلاما إصلاحية عديدة من خيرة الشباب الذين

تلقوا تكوينهم في جامع الزيتونة، ومعاهد الشام والحجاز، والحاملين راية الإصلاح والدفاع عن الإسلام

الذي استضعف وانتهكت حرماته في عقر داره، فكانت هذه الجريدة شديدة اللهجة في مواقفها تجاه

¹ شهرة شفري، مرجع سابق، ص214، نقلا عن محمد زمران، الأسس النظرية لمنهج التغيير عند محمد البشير الإبراهيمي، ص288

² عبد الغفور شريف، مرجع سابق، ص74

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، ص253

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

أعداء الإصلاح من طرفيين ودعاة التغريب والإدماج ، وكذلك تجاه الإدارة الفرنسية ، ونظرا لهذا الخطاب الشديد عمدت السلطات الفرنسية إلى إغلاق الجريدة وذلك بعد صدورها بأربعة أشهر أي بعد صدور ثمانية عشر عددا.¹ ثم أصدر ابن باديس بعدها وفي قسنطينة أيضا جريدة " الشهاب "، ثم حولها إلى مجلة واستمرت الشهاب في الصدور إلى عشية الحرب العالمية الثانية، ثم توقفت من تلقاء نفسها حتى تنجلي الحرب وحتى لا تضطر إلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب.² وهي مجلة وطنية إصلاحية تعبر عن نهج الجمعية ومسايرها الإصلاحي ، فقد عملت على نشر اللغة العربية ودافعت عنها وعن القيم الإنسانية والعدالة والحرية وكذلك دعت الشعوب العربية إلى الوحدة والتلاحم حتى يتم النصر والتمكين والنهضة المنشودة.

ومنذ 1933م أصدرت جمعية العلماء المسلمين صحفها الخاصة ، وهي السنة والشريعة والصراف والبصائر، وكلها تعبر عن توجه الجمعية في دفاعها عن الإسلام والعروبة والقومية وسنحاول في عجلة أن نعطي صورة موجزة عن كل صحيفة من هذه الصحف..

¹ ينظر، المرجع السابق، ص253

² المرجع نفسه، ص253

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

❖ السنة النبوية المحمدية: صدر العدد الأول من هذه الصحيفة في يوم الإثنين 08 ذي الحجة

1351هـ دون ذكر للتاريخ الميلادي، واتخذت من قوله تعال

﴿كثيراً الله وذكر الأخر واليوم الله يرجو أن كان لمن حسنة أسوة الله رسول في لكم كان لقد﴾¹

وحديث نبوي شريف في قوله -صلى الله عليه وسلم- "من رغب عن سنتي فليس مني" ، والحقيقة أن

اختيار هذا الاسم للصحيفة ماهو إلا تعريض واضح على من سمو أنفسهم علماء السنة من الطرفين

المفسدين، فجاء الرد واضحاً في افتتاحية الصحيفة: "وأسميناها السنة النبوية المحمدية لتنتشر على الناس ما

كان عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- في سيرته العظمى وهدية العظيم... ويصيرنا -حقاً- خير أمة

أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهي عن المنكر وتؤمن بالله"² وبالرغم من أن الصحيفة سلكت سبيل

المهادنة مع الإدارة الفرنسية حيث كان خطابها مرناً سلساً لا يثير الشكوك أو المخاوف كما ورد في

العدد الثاني وبالبنء العريض (لسنا أعداء لفرنسا ولا نحن نعمل ضد مصلحتها ، بل نعينها على تمدين

الشعب وتهذيب الأمة ونساعدها)³ إلا أنها تعرضت للتعطيل وقد علق ابن باديس على ذلك قائلاً

: "وروعت الأمة بنباء تعطيل جريدة السنة بقرار من وزير الداخلية، وتساقطت على إدارتها رسائل الاستياء

¹ سورة الأحزاب، الآية 21

² جريدة السنة النبوية المحمدية، السنة لأولى، العدد الأول، ذي الحجة 1351هـ، 1933م، دار الغرب الإسلامي، ص1

³ المصدر نفسه، العدد الثاني، 22 ذي الحجة 1351هـ/ 17 أبريل 1933م، ص1

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

والتعجب، ولم يكن تعجب الناس من تعطيل جريدة دينية بعيدة كل البعد عن السياسة، دون استيائهم من عرقلة جمعية العلماء عن عملها الديني التهديبي الذي ذقت الأمة حلاوته، وشاهدت جميل أثره..¹

❖ الشريعة النبوية المحمدية :

هذه الجريدة هي امتداد لجريدة السنة التي عطلت من قبل السلطات الفرنسية، وهي لسان حال الجمعية الداعي إلى الإصلاح دائما، فقد جاء في تصدير الجريدة في عددها الأول على لسان الشيخ ابن باديس قوله: "وبعد فما ينقم علينا الناقمون؟ أينقمون علينا تأسيس جمعية دينية إسلامية تهديبية ، تعين فرنسا على تهذيب الشعب وترقيته، ورفع مستواه إلى الدرجة اللائقة بسمعة فرنسا ومدنيتها وتربيتها للشعوب وتثقيفها، فإذا كان هذا ما ينقمون علينا فقد أساءوا إلى فرنسا قبل أن يسيئوا إلينا، وقد دلّوا على رجعية فيهم وجهود لا يتناسبان مع المبادئ الجمهورية ولا مع حالة هذا العصر"² أراد ابن باديس أن يبين للسلطات الفرنسية أن الجمعية ماضية في سبيلها إلى الإصلاح غير مبالية بظلم المحتل، وأن كل الجرائد التي تعرضت للتعطيل إنما هي جرائد إصلاحية تحمل نفس المبادئ والثوابت التي نادى بها الجمعية منذ تأسيسها، وهي محرّضة على النهضة التي تدعي فرنسا أنها جاءت لنشرها في الجزائر، فكيف بها تعطل جرائد هي تسيير على نفس منوالها في الإصلاح والتجديد إلى ما هو أرقى وأحسن، وما لبثت هذه الجريدة تصدر عددها السابع حتى لاقت نفس مصير سابقتها.

¹ جريدة الشريعة، السنة الأولى، العدد الأول، 24 ربيع الأول 1352 هـ / 17 جويلية 1933 م، دار الغرب الإسلامي، ص1

² المصدر السابق، ص1

❖ الصراط السوي :

بعد تعطيل السنة والشريعة، لم تكثف الجمعية بهذا القدر بل عمدت إلى إصدار جريدة أخرى تحت

مسمى "الصراط السوي" " جاعلة من الآية الكريمة شعارا لها :

﴿أَهْتَدَى وَمَنِ اتَّبَعَ لِيُحِبِّهِ اللَّهُ ذَلِيلًا وَيَرْضَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ خَلْقًا حَسَنًا وَمِمَّا كَسَبَ اللَّهُ جُنُودًا أَلَمْ يَجْعَلْ لِكُلِّ قَوْمٍ سَبِيلًا﴾¹ مواصلة بذلك عملها

الصحفي، في تحد وإصرار، وبقيت تسير على نهج أختيها السنة والشريعة ، ويظهر في العدد الأول من

هذه الجريدة تصريحات للوالي العام الفرنسي ، "الذي نفى مسؤولية العراقيين الإدارية ضد نشاطات

الجمعية، بعد بقرات الاحتجاج الموجهة إلى السلطات الحاكمة في كل من الجزائر وفرنسا من القرارات

التعسفية اتجاه جمعية دينية إصلاحية ."² وبعد مضي أربعة أشهر من صدورها توقفت "الصراط السوي"

أيضا من طرف إدارة الاحتلال، لتنبئ عن حقدتها وضعيتها بتحريض أيضا من بعض الطرفين المعادين

لمنهج الجمعية، الذين رأوا في هذه الصحف تهديدا لسياستهم الاستطانية.

❖ البصائر :

هي من أهم الصحف التي أصدرتها الجمعية والتي لاقت شهرة كبيرة تجاوزت حدود ما كانت تطمح إليه

الجمعية وقد صدرت - بعد الاضطهاد الذي لاقته السنة والشريعة والصراط - على مرتين، السلسلة الأولى

¹ سورة طه، الآية 135

² جريدة الصراط السوي، العدد الأول، السنة الأولى، جمادى الأولى 1353هـ- سبتمبر 1933، دار الغرب الإسلامي، ص1

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

صدرت ما بين (1935-1939)، والسلسلة الثانية بعد الحرب العالمية الثانية ما بين (1947-1956).

وقد كان تأسيس هذه الجريدة بعد سنتين من إغلاق الصراط، ورحيل "جان ميرانت" عن الولاية العامة الذي عرف بمعاداته للجمعية، فاتصلت الجمعية بالمدير الجديد "ميو"، الذي رخص لهم بإصدار الجريدة بعد أن أكدوا له بأن هدف الجمعية هو الإصلاح وليس السياسة كما ترى الحكومة الفرنسية¹. وكما هو معروف عن الجمعية في جرائدها السابقة التي كانت تجدلها شعار من هدي القرآن والسنة النبوية المطهرة، فقد كان الشعار الجديد لجريدة البصائر هو قوله تعالى :

﴿حَفِظْ عَلَيْكُمْ أَنْتَ أَوْ مَا فَعَلِيهَا عَمِي وَمَنْ فَلَنتَفْسِهِ أَبْصَرَ فَمَنْ رَبِّكُمْ مِنْ بَصَائِرُ جَاءَكُمْ قَدْ﴾² وقد اتخذت من الليونة

سبيلا حتى لا تلفت انتباه سلطات الاحتلال إليها، وفي رسالة وجهها الشيخ عبد الحميد بن باديس - الذي كان مشرفا على جميع هذه الجرائد ابتداء من "السنة" ووصولاً إلى "البصائر" لسان حال الجمعية - إلى جميع الحاقدين على ماتفعله الجمعية في سبيل الإصلاح يقول فيها: "كونوا كما تشاءون أيها السادة - فلكم وأنتم تمثلون ما تمثلون - كل احترامنا، وظنونا بنا ما تشاءون، فإننا على بصيرة من أمرنا، ويقين من استقامة خطتنا، ونبل غايتنا، ومهما تبدلت اعتقاداتنا في أناس بتبديل معاملاتهم لنا، فلن تبدل ثقتنا بفرنسا وقانونها وخطتنا المستقبلية، وهي نشر العلم والفضيلة، ومقاومة الجهل والرذيلة.."³

¹ صادق بلحاج، مرجع سابق، ص 41

² سورة الأنعام، الآية 104

³ جريدة البصائر، السنة الأولى، العدد الأول، 1 شوال 1354هـ - 27 ديسمبر 1935م، ص 1

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

عملت هذه الجريدة على نفس منوال الجرائد المعطلة على نشر الدين الصحيح ، ومحاربة الطرق المنحرفة، ونشر العلم، وإحياء الشخصية الجزائرية، كما ناقشت جميع القضايا الجزائرية على غرار المؤتمر الإسلامي، عام 1355هـ/1936م، وقضية مقتل كحول* وقضية التجنيس .. كما أنها فتحت صفحات جريدتها للأقلام المغاربية من أمثال عبد الكريم الزمراني ، والحسن الرامي ، لمعالجة القضايا والانشغالات الإصلاحية في العالم الإسلامي ككل¹.

وبعد قيام الحرب العالمية الثانية اضطرت الجريدة للتوقف من تلقاء نفسها، حتى لا تضطر إلى تأييد فرنسا في حربها مع الألمان، فاتخذت الحياد بتوقيف الجريدة مؤقتاً إلى ما بعد انحسار الحرب ، لتعود للظهور في سلسلتها الثانية في سنة 1947م²، عملت الجمعية من خلال الصحافة الإصلاحية على نشر الوعي الديني والثقافي والحفاظ على الشخصية الجزائرية المسلمة، ومقاومة دعاة التغريب والإدماج وكان ذلك في ظروف يحوطها القمع الفرنسي من جهة ، وأعداء الإصلاح من جهة أخرى... وبين القمعيين اضطرت الجمعية إلى ركوب الوعر لتحقيق الهدف الأسمى، وقد أظهرت هذه الصحف قوة كبيرة في التأثير على الجماهير الشعبية داخل وخارج الوطن رغم القمع والتعتيم، فقد ذكرت جريدة "كونكورد" الفرنسية هذا الدور العظيم الذي لعبته الصحافة الإصلاحية للجمعية قائلة: "إن سياستهم الحاضرة تنحصر في

* محمد بن الحاج كحول بن دالي، من علماء الجزائر عمل مدرسا في المدرسة الحكومية بقسنطينة، ثم انتقل إلى العاصمة ليعمل محررا في قسم الترجمة في مكتب الحاكم العام، ثم عين إماما في الجامع الكبير ونائبا للمفتي المالكي في العاصمة (عن محمد دبو زنهضة الجزائر الحديثة وثورتها المباركة، ط1، الجزائر، المطبعة العربية 1391هـ/1971م، ص117)

¹ حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين ودورها في الحركة الوطنية، ص116-119

² محمد ناصر، مرجع سابق، ص220

الاعتصام بالثقافة والدين، وهذا يتيح لهم أن يتدخلوا في كل شيء منتظرين أن يتقدم في المستقبل الموعود رجال آخرون لاستعمال السلاح الذي يسألونه لهم اليوم ويشحذونه بأيديهم"¹.

3-5: العمل في المجال السياسي :

لم تكن الجمعية بعيدة عن العمل السياسي وإن بدا أنها تهتم بالنشاط الديني والتعليمي بصفة خاصة، إلا أن جميع تحركاتها تشي بأنها مارست السياسة في كافة مراحلها باعتبارها جزءا من الحركة الوطنية ، ولأنها كانت تدرك أن الإصلاح لن يتم إلا إذا استوفى جميع جوانبه حتى تكتمل صورته وتتضح ، يقول الإبراهيمي في هذا الصدد : "نحن سياسيون لأن ديننا يعد السياسة جزءا من العقيدة، ولأن زمننا يعتبر السياسة هي الحياة، ولأنها آية البطولة ولأن وضعها يصير السياسة ألزم للحياة من الماء والهواء، ولأن السياسة نوع من الجهاد، ونحن مجاهدون بالطبيعة فنحن سياسيون بالطبيعة، ولأن الاستعمار الفرنسي بظلمه وعسفه لم يغرس في الجزائر إلا ثمرتين: بغض كل جزائري لفرنسا حتى الأطفال، وصيرورة كل جزائري سياسيا حتى الأئمة"² وقد ذكرنا في جزئية من البحث موقف الجمعية من السياسة لا نريد تكراره، بينما نبغي في هذه السطور تجلية الأعمال السياسية للجمعية كما يلي :

1- في السياسة الوطنية :

¹ أمين بلعيفة، التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956م، إشراف الدكتور عامر مصباح، رسالة ماجستير في التنظيم السياسي والإداري، جامعة يوسف بن خدة، 2007-2008، ص157

² محمد البشير الإبراهيمي، مرجع سابق، ج4، ص261

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

ولدت جمعية العلماء من رحم المجتمع الجزائري، من معاناته وآلامه وأحزانه، وفي ظل سياسة استعمارية حولت لنفسها إدارة هذا الشعب بقوانينها الجائرة، كالتجنيس والإدماج والأهالي، فلم يكن أمام الجمعية إلا أن تسلك سبيل المرونة السياسية حتى تمر رسالتها الإصلاحية، مع الحرص على إظهار تعلق الأمة بثوابتها ومقوماتها العربية والإسلامية، وقد ظهرت هذه المرونة في أكثر من موقف على غرار ما جاء على لسان ابن باديس: "نحن قوم مسلمون جزائريون، في نطاق مستعمرات الجمهورية الفرنسية، نعمل على المحافظة على تعاليم ديننا التي تدعو إلى كل كمال إنساني، ونحرص على الأخوة والسلام بين شعوب البشر، ونعتبر الدين منبعاً شرعياً لسلوكنا، ونظاماً محكماً نعمل عليه في حياتنا، وقوة معنوية في تهذيب أخلاقنا.."¹ فالجمعية أرادت في بداية الطريق أن تسلك سبيل المهادنة مع الحكومة الفرنسية دون الصدام مباشرة معها -رغم سياستها الجائرة- عليها تحقق مطالبها الشرعية، لكنها ما لبثت أن أظهرت مواقفها المعنفة تجاه السياسة الفرنسية بخصوص التجنس والاندماج والمؤتمر الإسلامي ..

1-1 موقف الجمعية من التجنيس والاندماج :

لقد فتحت الحكومة الفرنسية أبواب التجنيس أمام الجزائريين وذلك بموجب النص القانوني "السيناتوسكونسولت" الصادر في 14 جويلية 1865م، وهو قانون يمكن المسلم الجزائري بالتمتع بجميع حقوق المواطن الفرنسي مع تخليه عن أحواله الشخصية² غير أن هذا القانون لم يثر المخاوف في بدايته

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ج5، عاصمة الثقافة العربية 2007، ص173

² زيلوخة بوقرة، سوسولوجيا الإصلاح، ص168، نقلاً عن علي مراد، مرجع سابق، ص491

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

لأن الذين قدموا طلبات التجنيس كانوا يعدون على الأصابع، إضافة إلى أنهم كانوا يعيشون على الهامش طمعا في تحسين ظروفهم، لكن ما لبث أن تحول الاطمئنان إلى مخاوف وهواجس من هذا القانون ، وذلك عقب الحرب العالمية الأولى وبعد ظهور قانون 14 فيفري 1919م الذي حث عددا كبيرا من المسلمين على التماس المواطنة الفرنسية، مما أدى إلى ارتفاع وتيرة التجنيس انطلاقا من 1930م إلى غاية 1939م لتصل ثلاثة أضعاف السنوات الماضية.¹ وأمام هذا الموجة التصاعدية في إقبال الجزائريين على التجنيس حتى من الطبقة المثقفة ، كان لزاما على الجمعية أن تأخذ موقفا جادا وحقيقيا، فتصدرت جرائدها ونشرياتهما للتصدي لهذا القانون ومعارضته، وأخذت "الشهاب"، و"الإصلاح"، و"المغرب"، تحذر المواطنين من الخطر الذي أصبح يحيط بهم من وراء هذا القانون ، فنجد توفيق المدني يحذر الشبيبة الجزائرية من الدخول في هذا النفق المظلم الذي يؤدي حتما إلى التخلي عن الوطنية واللغة والتاريخ والشريعة الإسلامية.² وأكدت الجمعية أن الجزائري مهما بلغت به الفاقة والحرمان والقهر والعسف ، ومهما تراقصت من حوله المغريات فلن يتخلى عن وطنيته ودينه ، حتى الكتاب المصلحون تصدوا لهذا القانون بأقلامهم فهذا عمر بن قذور المصلح الكبير الذي سخر قلمه لإدانة هذا القانون كما جاء في قوله: "إن اندماج المسلمين بالعائلة الفرنسية خطر محض، ووبار لقومية عنصر شريف ينتمي إلى أمة عظمت، ويتمسك بأهداب ملة تأتي عليه المروق منها، فلو أنصف هؤلاء نفر لأحلوا أمتهم وقوميتهم

¹ المرجع السابق، ص168

² ينظر، عمارة حياة، مرجع سابق، ص120-121

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الحل اللائق بهما، ثم تشبثوا بكل ما يصح لهم التشبث به في طلب سعادة أبناء جلدتهم ورفاهيتهم.¹ كما كتب الطيب العقبي في افتتاحية بجريدة البصائر محذرا: "مكمن الشرعية في التحنيس بمعناه المعروف في شمال إفريقيا حرام، والإقدام عليه غير جائز بأي وجه من الوجوه، ومن استحل استبدال حكم واحد من أوضاع البشر وقوانينهم بحكم من أحكام الشرع الإسلامي فهو كافر مرتد عن دينه بإجماع المسلمين، لا يرجع إلى دائرة الإسلام وحظيرة الشرع الشريف حتى يرفض رفضا باتا كل حكم وكل شريعة تخالف حكم الله وشرعه المستبين."² وقد بلغت الحملة على سياسة التحنيس ذروتها بعد أن أصدر الشيخ عبد الحميد بن باديس فتوى رسمية باسم جمعية العلماء المسلمين حيث تم اعتبار المتحنسين بالجنسية الفرنسية "أناسا مرتدين عن الدين الإسلامي فلا يجوز الصلاة عليهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين بعد موتهم، ولا الزواج منهم أو إليهم."³ فكانت هذه الفتوى قاصمة لسياسة التحنيس بصفة نهائية، وداعية المواطن الجزائري للتمسك بأهداب دينه ولغته وشخصيته العربية الإسلامية.

1-2 المؤتمر الإسلامي الجزائري:

في حديثنا عن أهداف الجمعية ومبادئها أشرنا في جزئية من الموضوع إلى المؤتمر الإسلامي الجزائري وعن كيفية انعقاده ومطالبه لا نبغي تكرارها هنا، وإنما سنذكر أهم النتائج التي أسفر عنها المؤتمر ودور الجمعية فيه "فرغم جهود المنظمين للمؤتمر الإسلامي فإن وحدته سرعان ما تضعضعت بفعل عوامل

¹ المرجع نفسه، ص 121

² زيلوخة بوقرة، مرجع سابق، ص 170، نقلا عن تركي عمامرة، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التاريخية ورؤساؤها الثلاثة، ص 96

³ المرجع السابق، ص 171

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

خارجية وأخرى داخلية، فأما الخارجية تجسدت في سعي الإدارة الفرنسية إلى إحداث ثغرة داخل صفوفه وذلك بتدبير اغتيال المفتي كحول، ومن ثم تشويه سمعة العلماء الذين كانوا عنصراً أساسياً في حركة المؤتمر، وأما الداخلية تتمثل في تدهور سمعة المؤتمر ورجاله وذلك يعود إلى تمسك النخبة والنواب بمشروع فيوليت، وتحفظ العلماء منه، وغموض وذبذبة شخصية ابن جلول الذي لم ينف دور العلماء في حادثة اغتيال كحول، وحل نجم أفريقية الشمالية.¹ "إن المتأمل في أبعاد المؤتمر الإسلامي "لا يحتكم إلى مظهره المتداعي المهالك، وإنما ينظر في هذا الميلاد الجديد للتلاحم القومي الذي شهدته الجزائر ذات يوم في ميلاد جمعية العلماء."² وقبل مرور سنة على المؤتمر ظهرت الحقيقة الزائفة للوعود الفرنسية وأدرك قادة الجمعية أن المسار يجب أن يتحول "من القول إلى العمل، ومن السياسة إلى الثورة، ومن الإصلاحات إلى الحقوق، ومن المساواة إلى الشخصية المستقلة، ومن المنابر إلى السواعد، ومن التفاوض إلى التضحية، ومن التشدد بالسياسة إلى اقتحام المهالك والحروب"³

2- في القضايا العربية :

تابعت جمعية العلماء المسلمين ما يجري حولها في العالم الإسلامي والعربي بعين المهتم بقضايا أمته ، يبغى من وراء ذلك تحقيق الوحدة الجامعة بين العرب ، ولعل أهم القضايا التي اهتمت بها الجمعية وأسهمت في الدفاع عنها من خلال جرائدها ومجالاتها هي قضية فلسطين والوحدة العربية.

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج3، ص168

² صالح خرفي، مرجع سابق، ص202

³ المرجع نفسه، ص205

1-2: قضية فلسطين :

من القضايا المحورية التي لاقت اهتمام الجمعية وقادتها، القضية الفلسطينية التي خصتها الجمعية بمزيد من الاهتمام، وقد أشهر أدباء الجمعية أقلامهم في الدفاع عنها، وتحريض العرب والمسلمين للدفاع عنها، والذود عن حياضها ولعل أهم الأقلام التي تصدرت لهذا الموضوع هو سيد المقالة السياسية الشيخ البشير الإبراهيمي، ولعل الدافع إلى الاهتمام بالقضية الفلسطينية هما أمران اثنان :

- أنها قضية دينية، وفلسطين هي أرض النبوات التي لا إيمان لمن لا يؤمن بها، وهي موطن كثير من الرسل ، أمر المسلمون أن يؤمنوا بهم جميعا، وأن لا يفرقوا بين أحد منهم، وهي تضم ثالث أقداس المسلمين، وهي قبلتهم الأولى والمستهدف فيها - بدءا وختاما - هو الإسلام.¹

- أنها تشبه القضية الجزائرية، فاليهود يريدون استئصال الفلسطينيين من فلسطين، كما يريد الفرنسيون استئصال الجزائريين من الجزائر..² وإذا تصفحنا آثار الإبراهيمي نجد في الكثير من المقالات يعالج هذه القضية بقلب نابض حي، ففي إحدى مقالاته يصرح أنكبة فلسطين زادت من جراحه وآلامه وأوسعت دائرة همه، فافتتح مقاله بأبيات شعرية جاء في مطلعها :

لناس عيد ولي همّان في العيد فلا يغرنك تصويبي وتصعيدي

همُّ التي لبثت في القيد راسفةً قرنا وعشرين في عسفٍ وتعبيد

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص30

² المصدر نفسه، ص31

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

وهُمُّ أختٍ لها بالأمس قد فنيتْ
حماتها بين تقتيل وتشريد¹

"جاءت نكبة فلسطين فكانت في قلبي جرحا على جرح ، كانت الطامة والصاخة معا ، وكانت مشغلة فكري بأسبابها ومآسيها وعواقبها القريبة والبعيدة ...أنا الآن أشد تأثرا بنكبة فلسطين مني في الماضي، فقد لمست يدي الجرح وهو بالدم يشعب، ورأت عيناى العربي وهو على البركان يلعب ، .. ثم سمعت أنين اللاجي، وعذر المداجي، وتفسير الأحاجي ...أيها العرب ألستم أنتم الذين أضعتم فلسطين بجهلكم وتجاهلكم مرة، وخذلكم وتحاذلكم ثانية، وباغتراركم وتغافلکم ثلاثة ، ...وفي أثناء ذلك كتب الحفيظان عليكم من الموبقات ما يملأ السجلات ."² ولم يكن الإبراهيمي القلم الوحيد في التعبير عن القضية الفلسطينية، بل إن الكثير من الأعلام الإصلاحية انبرت للحد يث عنها وتبيين أهميتها في قلب الوطن العربي، من أمثال ابن باديس ومحمد السعيد الزاهري وعمر راسم ومحمد العيد آل خليفة وغيرهم ممن "كان إحساسهم مبكرا بالقضية، وسجلوا هذا الإحساس بعمق تاريخي يبرهن على دلالة الروابط بين الشعبين الشقيقين."³

2 2 قضايا المغرب العربي :

أيضا من القضايا الهامة التي لقيت صدى لدى الجمعية قضية المغرب العربي، "فالجمعية تعاطت هذه القضية بشكل مستمر واهتمام يطبعه التعاطف في العروبة والدين ، والاشترك في الكفاح ضد الاستعمار

¹ المصدر السابق، ج4، ص215

² المصدر نفسه، ص215-218

³ محمد عباس، مرجع سابق، ص108

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الواحد.¹ هذا الاستعمار الذي أدرك منذ البداية أن الوحدة التي تربط بين الإسلام والعروبة لها أثر كبير في التماسك والترابط بين أطراف المغرب العربي ، لذلك عمد إلى سياسة عنصرية من شأنها أن تفكك هذه الروابط وتمزق هذا النسيج الوطني والعربي ، وهي سياسة بربرية تهدف إلى القضاء على المقومات المغربية العربية، "ومن الأحداث الكبيرة التي مرت بالمغرب العربي خلال 1931-1956: استشهاد عمر المختار، وصدور الظهير البربري، والجدل حول التجنس، وانعقاد المؤتمر الأفخارستي، ونفي السلطان محمد الخامس، وتحقيق استقلال ليبيا، واندلاع أحداث تونس".² كل هذه الأحداث وجدت محلها في كتابات جمعية العلماء التي خاضت في جميع القضايا التي تخص المغرب العربي فقد كانت "على معرفة ببعض الشخصيات البارزة في الساحة من قبل مثل محمد الخضر حسين، وعبد العزيز الثعالبي، وعلال الفاسي، ومحمد ابراهيم الكتاني، ونحوهم"³

ساندت جمعية العلماء المسلمين الحركات الاستقلالية والإصلاحية والطلابية في الأقطار المغاربية ، فكان حماسها لما ينفع وحدة المغرب العربي على أساس العروبة والإسلام والشخصية الحضارية المتميزة عن الحضارة الأوروبية المعجونة بالاستعمار والمسيحية، مما جعلها في مقدمة الهيئات التي لم تتفوق في

حميدي أبو بكر الصديق، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي، 1947-1956م، دار المتعلم للنشر والتوزيع طبعة

¹ خاصة، 2015م، ص77

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ص149

³ المرجع نفسه، ص151

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

واجهتها واحدة، وإنما عاشت كل أحداث المغرب العربي بنفس الحماس الذي تعمل به في الجزائر، لعلمها أن نجاحها بنجاح مثيلاتها في المغرب العربي، وكذلك فشلها.¹

4 5 : العمل في المجال الاجتماعي :

يقول البشير الإبراهيمي: "الأمة كالفرد تصاب بالأمراض كما يصاب، وتعالج كما يعالج، كما أن الفرد إذا مرض يجب أن يختار له طبيباً حسناً ماهراً ليكون لنصحه أثر في نفس المريض، ولعلاجه فعلاً في دائه فكذلك الأمة إذا مرضت، فالواجب أن ينتدب لها أمهر الأطباء وأحسنهم لعلاجها." ² اقتنعت الجمعية بضرورة النهوض بالأمة الجزائرية وتخليصها من أزماتها على كافة الأصعدة بما فيها

الصعيد الاجتماعي، فعمدت على تقصي أمراض المجتمع وبحثت عن علة تلك الأسقام لتنتهي في آخر المطاف إلى نتيجة واحدة وهي أن أصل هذه العلل والأسقام هو الفقر والجهل والامية والابتعاد عن كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وقد لخصت مجلة الشهاب الحياة الاجتماعية في الجزائر فوصفتها بأنها "بترء ناقصة مشوهة لا تبعث في النفوس إلا حسرات وآلام، ولم تعدل شرقية ولا غربية، وأن الشبان والكهول والشيوخ هم الأمة في كل زمان ومكان، ولكنهم في أمتنا هذه لا تجد في طبقاتهم الثلاث معاني الأمة من الارتباط الحسي والمعنوي الذي تجده في طبقات كل أمة." ³ ويعود السبب في هذا التردّي في الحياة الاجتماعية، إلى الجهل بالإسلام الذي ركن إليه الجزائريون إلا القليل منهم وهؤلاء معقود الأمل عليهم

¹ المرجع السابق، ص 155

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 21

³ الشهاب، ج 3، م 11، 1354 هـ - 1935 م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1421، 1/هـ 2001 م، ص 186

لإصلاح ما فسد، ولعل أهم القضايا الاجتماعية التي استرعت اهتمام الجمعية قضيتان أساسيتان يقوم عليهما المجتمع وهما المرأة والشباب.

1- المرأة ودورها في صناعة النهضة :

وفي إطار نشاطها الإصلاحية الاجتماعي، عمدت الجمعية إلى دعوة ترمي إلى النهوض بالمرأة الجزائرية والخروج بها من واجهة الهدم إلى استشراق المستقبل ، وصناعة النهضة إلى جانب الرجل ، وذلك إيماناً منهم بمكانتها وأهميتها في المجتمع، وخطورة إهمالها وأثر ذلك على الفرد والمجتمع، ورداً على مكائد الاستعمار الذي أعمل كل الوسائل في سبيل إبعاد المرأة عن شخصيتها العربية الإسلامية ، وكشف غطاء الحياء عن كيانها قائلاً: "إذا أردنا أن نضرب المجتمع الجزائري في صميم بنيته، وفي قدراته على المقاومة، فيجب علينا قبل كل شيء كسب النساء، ويجب علينا السعي للبحث عنهن خلف الحجاب حيث يتوارين، وفي المنازل حيث يخفيهن الرجل." ¹ والحقيقة أن المرأة في المجتمع الجزائري كانت تتأرجح بين فريقين لم ينصفها حقاً، بل زادا من تخلفها وضياعها، بين دعاة السفور والفرنسة المتأثرين بالثقافة الغربية الذين دعوا إلى تحرير المرأة، ومساواتها بالرجل في أمور قضى فيها الشرع الحنيف كحقها في الميراث والطلاق، بدعوى أن الإسلام لم ينصفها، وفريق من الفقهاء المتعصبين الذين لم يفقهوا سماحة الإسلام وحرصه على المرأة وإنصافها ² وقد استندوا في جهلهم على أدلة واهية لا أساس لها من مثل أن "الإسلام لا يشجع على تعليم

¹ فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الفارابي، بيروت - لبنان، ط1، 2004، ص26

² شهرة شفري، مرجع سابق، ص136-137

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

المرأة، وأنه يفضل بقائها جاهلة أو أقرب إلى الجهل.¹ " وقد تناسوا في أثناء ذلك أن بقاءها جاهلة قاعدة إنما يعطل عجلة السير والنهوض ، فكان أحسن رد من الجمعية على هذا المكر الفرنسي وعلى هذين الفريقين المحضين في حقها ، هو القضاء بتعليمها تعليماً لا يخرج بها عن دائرة الدين والأخلاق ويليق بوظيفتها الأسرية التي لا تؤدي على أكمل وجه إلا بالعلم.² وقد اعتبر الإبراهيمي حرمان المرأة من التعليم "علة العلل في الحالة التي أفضت بالمرأة المسلمة إلى هذه الدرجة، التي مازالت عقابيلها سارية في المجتمع الإسلامي، ومازالت لطخة عار فيه، وإن المرأة إذا تعطلت عطلت الرجل، وإذا تأخرت أخرته، ولا سبب لانحطاط المرأة عندنا إلا هذا الضلال الذي شوه الدين ، وقضى على المرأة بالحمول، فقضت على الرجل بالفشل، وكانت نكبة على المسلمين ."³ فالتعليم من حقها الذي لا ينكره إلا جاحد، مثلها مثل الرجل، لأن الفساد والانحطاط الذي ألم بالأمة شمل المرأة والرجل على السواء ، وفي ذلك يقول الشيخ مبارك الميلي : "إن المرأة شقيقة الرجل في الإنسانية، فلتكن شريكته في التربية والتهذيب، فلا ينبغي أن تحرم من ينابيع العلم والتربية وإنها الأم والمدرسة الأولى التي فيها يتلقى الأبناء معلوماتهم الأولية، ثم إن الأنثى مكلفة في حكم الإسلام بمثل ما يكلف به الرجل ، لا يفترقان إلا فيما يعود للقوة والسيادة ، كالإمامة وولاية مناصب الحكم، وإلا فيما يعود للضعف والحنان فيختص بالأنثى، كما أن المرأة شريكة الرجل في منزلته، وقرينته في حياته لا غنى لأحدهما عن الآخر، فلا بد من تشاركهما في التهذيب وتقاربهما في

¹ المرجع السابق، ص 137

² المرجع نفسه، ص 138

³ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 4، ص 264

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

التثقيف.¹ لقد أخذ رجال الجمعية المصلحين، قضية تعليم المرأة على محمل الجد، ونادوا بضرورة التعليم وحملوا أوليائهم هذه المسؤولية، وقد نص مكتب الجمعية صراحة على أن تعليم الفتيات مجاني، وإن كن قدرات أو غير قدرات على دفع المصاريف وذلك تشجيعاً لهن على الإقبال على الدراسة والمواظبة عليها، كي تتكون منهن المرأة المتعلمة.² إن الحرص على تعليم المرأة وبذل الجهد الكبير في سبيل ذلك، كانت ضربة قاصمة للاحتلال الفرنسي الذي أراد أن يلعب دور الحريص على مصلحة المرأة والمدافع عنها بأبهة، "واصفا إمكاناتها الهائلة والتي حولها بكل أسف الرجل الجزائري إلى شيء عديم الحركة، عديم القيمة، بل فاقد للإنسانية، وتتعالى بحزم شديد الشكوى من مسلك الجزائري ويشبهه بقايا العصور الوسطى البربرية... ثم تبني مرافعة نموذجية وتنفذ أحسن تنفيذ لإتمام الجزائري بأنه سادي يقف من المرأة موقف مصاصي الدماء.³ لتكتمل فصول المسرحية بنهوض جمعيات للتعاون والتضامن مع النساء الجزائريات، و"تنظم حملة النواح المراد بها إشعار الرجل الجزائري بالخطر الذي يخصص المرأة."⁴ لكن الجمعية لم تترك لهذا العدو المجال لتمثيل المزيد من المسرحيات الزائفة الكاذبة، وإنما باهتته على غرة بإعلانها عن ضرورة تعليم المرأة باعتباره شريكاً للرجل في جميع الحقوق بما فيها التعليم، فهنا كانت الخسارة فادحة ومما زادها فداحة، تلك الحادثة التي أوردها عبد الله الناصح في كتابه تربية الأبناء في الإسلام والتي بينت كيف أن الحكومة الفرنسية عملت جاهدة على طمس القرآن الكريم من نفوس

¹ مجلة الشهاب، ج6، م12، ص254-255

² المصدر السابق، ج8، م7، ص531-532

³ فرانز فانون، مرجع سابق، ص26-27

⁴ المرجع نفسه، ص27

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

الشعب الجزائري، وتجريد نسائه من لباس العفة، وتلقينهن الثقافة الفرنسية حتى يصبحن نسخة ثانية من المرأة الأجنبية.¹

"وبعد أحد عشر عاما من الجهود هيأت حفلة تخريج رائعة،دعي إليها الوزراء والمفكرون والصحفيون...ولما ابتدأت الحفلة فوجئ الجميع بالفتيات الجزائريات يدخلن بلباسهن الإسلامي الجزائري،فثارت الصحف الفرنسية وتساءلت :ماذا فعلت فرنسا في الجزائر إذأ ، بعد مرور مائة وثمانية وعشرون عاما؟ فأجاب لأكوست :وماذا أفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا !"² هذا هو الدور الذي لعبته الجمعية للنهوض بالمرأة وإقحامها في مجال العلم والعمل بما يوافق طبيعتها ووظيفتها الأسرية ، ولا يخرج بها عن المسار الصحيح في الدين والأخلاق ،فتكملت جهودها بالنجاح في صناعة المرأة المثقفة التي شاركت جنبا إلى جنب مع الرجل في مقاومة الاحتلال الفرنسي ،والتصدي لضربات المتوالية الهادفة لتحطيم الشعب ومقوماته،فكانت المرأة الجزائرية المسلمة أحسن مثال في هذه المقاومة.

2-الشباب ودوره في صناعة النهضة :

"الشباب في كل أمة هم الدم الجديد الضامن لحياتها واستمرار وجودها،وهم الامتداد الصحيح لتاريخها،وهم الورثة الحافظون لمآثرها،وهم المصححون لأغلاطها وأوضاعها المنحرفة،وهم الحاملون

¹ محمد ديدان،الخطاب النقدي الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إشراف خالد عيقون،بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير

جامعة مولود معمري -تيزي وز، 2015م،ص105

²المرجع نفسه، ص105

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

لخصائصها إلى من بعدهم من الأجيال.¹ فالشباب في كل أمة هم عماد نهضتها، وأساس بنائها ،
والعنصر الأكثر فاعلية في مسار حياتها، لذلك أولت جمعية العلماء المسلمين عناية بالغة بهذه الفئة
الحيوية، يقول ابن باديس في قصيدته المشهورة "شعب الجزائر مسلم":

يا نشء أنت رجأؤنا وبك الصباح قد اقترب

خذ للحياة سلاحها وخض الخطوب ولا تهب²

انطلاقاً من قول الإبراهيمي وابن باديس عَلمِي الإصلاح في الجمعية ، نفهم أن هذه الأخيرة كانت على
وعي تام بضرورة الأخذ بأيدي الشباب الجزائري من فتور الهمة ، وسفاسف الأمور إلى معليات الأمور
والفضائل والعزائم، لأنهم الجيل المنتظر منه صناعة النهضة والرقى، ولا يتأتى ذلك إلا بتكوينه تكويناً يليق
بالمهمات الجسام التي تقع على عاتقه ، ويبعده عن طرق الضياع والجهل الذي أصبح واقعا عند الكثير
من الشباب الجزائري الذي أغرته الثقافة الفرنسية وبهرجتها، فنسي أو تناسى دوره في المجتمع وقد صور ابن
باديس الشباب يومئذ كما هو "الإشباب أنساه التعليم الفرنسي لغته، وتاريخه ، ومجده، وقبح له دينه
وقومه، وقطع له من كل شيء -إلا منه -أمله، وحقره في نفسه تحقيراً ، وإلا شباب أكلته
الحانات، والمقاهي، والشوارع، ومن وجد العمل منه لا يرى نفسه إلا آلة متحركة في ذلك العمل ، لا هم له
من وراءه في نفسه، فضلاً عن شعوره بأمر عام، وإلا شباب حفظه الله للإسلام والعروبة، فأقبل على

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ص120

² محمد ديدان، مرجع سابق، ص102، نقلاً عن عبد الرحمن شيبان، حقائق وأباطيل، ص72

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

تعلمها، لكنه تعلم سطحي خال من الروح، وإلا شباب لا يعتز بماض، ولا يألم لحاضر، ولا يطمح لمستقبله اللهم إلا أفرادا قلائل جدا هنا وهناك.¹ إذن هذه الصورة التي أراها ابن باديس ماهي إلا جانب من واقع الشباب إذ ذاك، فالمهمة المنوطة بالجمعية ثقيلة جدا ولكن عزائم رجالها أثقل، فلم تأل جهدها في دعوة هؤلاء الشباب للعودة إلى المسار الصحيح ، والالتزام بمبادئ الإسلام السمحة، وأن يكونوا إيجابيين وفاعلين في أمتهم "ليحرص الشباب على أن يكونوا كمالاتهم لا نقصا، وأن يكونوا زينا لها لا شيئا، وأن يضيفوا إلى تليد مكارمها طريفا ، وإلى قديم محاسنها جديدا، وأن يمحو كل سيئة لسلفهم بحسنة."² وكانت الخطة التي رسمتها الجمعية من أجل الوصول بهذا الشباب إلى مبتغاه ، هو الإعداد والتكوين الجيدين وهما عمليتان يديرهما طرفان أساسيان، الأساتذة والطلبة ، فقد جاء في المادة 65 من القانون الأساسي للجمعية أن "أول مقاصد الجمعية طائفة العلماء والطلبة ، باستعمال كل الوسائل لحملهم على التخلق بالأخلاق الإسلامية ، وتذكيرهم بما غفلوا عنه، وأهملوه من الأخوة الدينية والأخوة العلمية، وما تقتضيانه من واجبات وحقوق، وحملهم على الاتحاد والتعاقد ونبد الشقاق والتقاطع حتى يكونوا مظهرا للفضائل الإسلامية ، عاملين بالحق هداة به، فهم من الأمة بمنزلة القلب من الجسد تصلح إذا صلحوا، وتفسد إذا فسدوا."³ فالمعلم والتلميذ هما الركنان الأساسيان في عملية التكوين وإعداد نشء المستقبل، إذ ينبغي على المعلم أن يمتلك كل المقومات والوسائل التي تمكنه من القيام بواجبه على أكمل وجه، وأحسن صورة، من علم وتربية وأخلاق ، وبعد نظر وحسن بصير في الواقع، وأما الطلبة فعليهم

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، ج2، م2، ص364-365

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص120

³ عبد الرحمن شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع وإعداد: قسم إحياء تراث الجمعية، دار المعرفة، 2008 ص60

الفصل الثاني: البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي

التحلي بالصبر والإرادة والعزيمة والاستعداد لاستقبال هذه الرسالة السامية، ففي خطاب توجه به الإبراهيمي إلى الشباب منبها إياهم بالالتفات إلى العلم دون سواه ، وعدم الوقوع في حبال السياسة ومشاكلها، فالسبيل الوحيد للخروج من جحر الاحتلال وظلمته بالعلم والعمل ،

"العلم... العلم... أيها الشباب لا يلهيكم عنه سمسار أحزاب ينفخ في ميزاب، ولا داعية انتخاب في الجامع الصخاب، ولا يلفتكم عنه معلل بسراب ولا حاو بجراب، ولا عاو في خراب ، يَأْتُمُّ بغراب،... فكل واحد من هؤلاء مشعوذ خلاب وساحر كذاب، إنكم إن أطعتم هؤلاء الغواة وانصعتم إلى هؤلاء العواة، خسرتم أنفسكم وخسرتم وطنكم، وستندمون يوم يجني الزارعون ما حصدوا، ولات ساعة ندم." ¹ كما توجه إلى طائفة المعلمين وخصهم بالثناء والشكر الجزيل على الجهد المبذول في هذه الحركة العلمية المباركة، "هذه الطائفة الصابرة على مكاره الحياة كلها، المحرومة من الراحة والاطمئنان في جميع أوقاتها، فهي في الشتاء تشقى وتتعب، وفي الصيف تضحي وتنصب ، وفيما بين ذلك تكابد وتعاني، على ضيق من العيش، وتنكر من الدهر، وتجهم من الولاية، وفقدان للحافز من الرغبة والتنشيط، فلا مسكن مريح، ولا شمل مجموع، ولا مرتب كافٍ يسد الضرورة، ويقوي الضعيف، ويخفف الهم، ويصون الهمة عن التبذل." ²

بناء على ما ذكرنا نخلص إلى أن الجمعية سعت جاهدة إلى احتضان هذه الفئة الحيوية في المجتمع راسمة لها طريق الخلاص من ظلام الاحتلال، والجهل والركود والتخلف وكل الآفات الاجتماعية، محملة إياها بعد استكمال حقوقها، تأديتها واجباتها تجاه الأمة والدين والتاريخ والمستقبل...

¹ الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص350-351

² المصدر السابق، ج3، ص277

الفصل الثالث :

ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند الشيخ

البشير الإبراهيمي

أولاً :التجديد عند البشير الإبراهيمي مفهومه وركائزه

1-مفهومه.

2-ركائزه.

ثانيا :بواعث التجديد وأهدافه عند الإبراهيمي

1-بواعثه.

2-أهدافه.

ثالثا :جوانب التجديد في المنهج الإصلاحى عند الإبراهيمي

1-التجديد فى الجانب الدينى.

2-التجديد فى الجانب العلمى والثقافى.

3-التجديد فى الجانب الاجتماعى.

4-التجديد فى الجانب الأدبى.

5-التجديد فى الجانب السياسى.

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي.

يقول حمزة بوكوشة أنه "عسير على من يكتب في حياة رجل كالإبراهيمي أن يفهم حقه، لأنه حياة متعددة النواحي متعددة الأطراف، وقد جمع الله له من الصفات ما تفرق في غيره من معاصريه، فهو عالم وكاتب وشاعر ورجاز وراوي ومفسر ومحدث... وأصدق كلمة تطلق عليه أنه دائرة معارف إسلامية.."¹ هذا هو العلامة محمد البشير الإبراهيمي رجل المهمات الصعاب، العالم المجدد، الذي ما فتئ يحارب في جميع الجبهات، ويواجه جميع التحديات، وهو في ذلك يرسم معالم الطريق الصحيح.

أولاً: التجديد عند البشير الإبراهيمي (مفهومه وركائزه):

1- مفهومه : تطرقنا في المدخل إلى مفهوم التجديد عند البشير الإبراهيمي بإيجاز غير أننا سنسبغ له الحديث في هذا الفصل مبرزين منهج التجديد عنده بقواعده وأساسه وأهدافه وأساليبه ومجالاته، ذلك أن قراءة آثار الإبراهيمي في هذا المجال (التجديد)، وانطلاقاً من التعريف اللغوي والاصطلاحي للتجديد، نجد أن الإبراهيمي يرمي به إلى معانٍ متعددة، وهي والإحياء والاجتهاد والإصلاح والتغيير والنهضة²، وقد كان النموذج المحتذى في المشروع التجديدي الإبراهيمي، هو "مدرسة الإحياء والتجديد في النهضة الإسلامية الحديثة"، تلك

¹ محمد العيد تاورته، نشر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة قسنطينة، معهد الآداب والثقافة العربية، ص 416

² محمد عمارة، الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1 1432هـ/2011م، ص 2

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

المدرسة التي تبلورت من حول جمال الدين الأفغاني (1254-1314هـ/1838-

1897م)، والتي كان الإمام محمد عبده (1225-1323هـ/1849-1905م)، العقل

الذي هندس معالم مشروعها التجديدي في العديد من الميادين .¹ ، والبشير الإبراهيمي هو

واحد من العلماء العاملين الذي فقه ضرورة التجديد في الأمة ، واضطلع بهذه المهمة إدراكا

منه بشرعية التجديد ، فهو أمر مقرر وثابت في الإسلام انطلاقا من قول النبي -صلى الله

عليه وسلم- : "إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها." فهو

سنة من سنن الله على مر العصور والأزمنة ، "فكما يصدأ السيف فيحول الصدأ بينه وبين

الفعل الخلاق، كذلك تصيب السنون المنظومات الفكرية ..ومنها الأديان بالبدع والخرافات

التي تحجب جوهر الدين فتعطل فيه الطاقات والفعاليات ، وبسبب كون الإسلام هو خاتم

الرسالات، وحتى يكون صالحا لكل زمان ومكان كان التجديد قانونا دائما.²

وعلى هذا فقد جاء التجديد عند البشير الإبراهيمي بمعنى الإحياء ، أي إحياء الإسلام

بأصوله وثوابته التي زالت بفعل البدع والخرافات التي عمد الاحتلال بشقيه على إزالة معالمها ،

وفي ذلك يقول "إن الجمعيات لا تبقى ولا يضمن لها الدوام إلا إذا كان في المعنى الذي

أسست لأجله عنصر من عناصر التجديد لطائفة أو لأمة، و تكون قواعد العمران وأصول

الأديان مقتضية له في حياة تلك الأمة الروحية أو المادية، وما من جديد في حياة الأمة إلا

¹ محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1،

1423هـ/2003م ص19

² محمد عمارة، الإسلام والمستقبل، مرجع سابق، ص11-12

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وله أصل اندثر ، وذهبت منه العين أو الأثر ، فتقوم الجماعات أو الجمعيات بإحيائه أو تجديده.¹

فالمقصود بالتجديد هنا هو إعادة إحياء لأصول الإسلام وثوابته بالعودة إلى المصدر النقي لهذا الدين "والنظر فيه بعقل معاصر يفقه أحكامه كما يفقه الواقع الذي يعيشه عاقدا القرن بين فقه الواقع وفقه الأحكام."² وهنا ينبغي التفريق بين التجديد "كسبيل إسلامي أصيل في التطور بعالم الأفكار، وبين الحداثة بمعناها الغربي تلك التي تعني القطيعة المعرفية مع ثوابت الدين وأصوله."³ وأكد أن الإبراهيمي كان يهدف من وراء التجديد التطور بعالم الأفكار والخروج بها من دائرة التقليد والركون والجمود ، وذلك بالاجتهاد للوصول إلى حلول فاعلة لتحقيق النهضة وصنع المستقبل ، وضرورة التعامل مع المستجدات وفق رؤية جديدة لا تتصادم مع الأحكام الشرعية ، بل تسايرها أي أنه كان يدعو لمسايرة العصر دون تغيير للأسس أو تصرف في الأحكام ، وبيان ذلك ما قاله الإبراهيمي : "وقد استحدث العمران أنواعا جديدة من المعاملات الدنيوية لا عهد للإسلام الفطري بها ، وصورتها من المعايير ووجوه الكسب لم تكن معروفة ، فمن سماحة التشريع الإسلامي ومرونته أن تتناول هذه المستجدات الجديدة بأنظار جديدة ، وتستنبط من أصوله أحكاما لفروعها ، وكل هذا لا

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص129

² محمد عمارة، مستقبلنا بين التجديد الإسلامي والحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط1، 1423هـ-2003م، ص6

³ محمد عمارة، المرجع نفسه، ص7

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

حرج فيه وليس داخلا في ما نشكوه، بل نحن أول من يقدر قدر تلك الأنظار الصائبة والمدارك الراقية وقيمتها دليلا على اتساع التشريع الإسلامي لمصالح الناس، وصلاحيته لجميع الأزمنة، وينكر على من سد هذا الباب على الأمة فزهدها في استجماع وسائله، ونحن أول من يقدر قدر أولئك الأئمة العظام الذين هم مفاخر الإسلام.¹

وحسب رؤية الإبراهيمي لمفهوم التجديد يمكن أن نستنتج أنه بدون التجديد "لا يمكن للفكر الإسلامي أن يبي معاصرتة، ويمارسها كفعل وتأثير وحضور، فالتجديد هو تأهيل وتطوير وانتقال من الجمود إلى الحركة، ومن الانغلاق إلى الانفتاح، ومن الانقطاع إلى التواصل ومن الانشغال بالقضايا الجزئية إلى الانشغال بالقضايا الكلية، وبحث هموم الأمة وقضاياها حاضرا ومستقبلا."²

ومن المعاني التي ألبسها الإبراهيمي للتجديد، معنى التغيير والذي يجب أن يكون من الداخل من داخل الأمة انطلاقا من قوله تعالى "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" فهو القائل: "لك الله أيها الشعب المعذب، لقد هنت عليهم حين هنت على نفسك، إنهم ما ضربوك إلا بعد أن جربوك، وما جرفوك إلا بعد أن عرفوك، وما جنوا عليك واتهموك إلا بعد أن قرأوك وفهموك، فلا تلمهم ونفسك فلم، وغير ما بنفسك وهلم...أعتتهم في إفساد دينك وأخلاقك، فارتفعوا وانحدرت وأعتتهم على إفساد دينك فاستغنوا وافتقرت... فإذا كان

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص165

² الحسن حمدوشي، التجديد الفكري، قراءة في المفهوم، مجلة الكلمة، العدد 50، السنة الثالثة عشر شتاء

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

القوم قد أمنوا بوادرك فلأنك عودتكم ذلك من نفسك، وإن كانوا قد أمنوا مكر الله فلا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون" ¹ و كما ذكرنا في فصل سابق أن جمعية العلماء المسلمين لم تكن جمعية دينية فحسب ، بل عنيت بجميع مجالات الحياة وأعطت لكل جانب حقه من الرعاية والاهتمام، ذلك أن البشير الإبراهيمي كان رئيسها بعد الرئيس الأول عبد الحميد بن باديس، فكان من الطبيعي أن تكون العملية التجديدية في مشروعه الإصلاحية متعددة الجوانب والنواحي، فالتجديد في نظر الإبراهيمي "لا ينحصر في الدائرة الفقهية مثل ما نزع إلى ذلك بعض علماء الأمة، بل مجاله عنده يتعدى تلك المفهومية الضيقة، فيشمل الإصلاح في جميع مجالات الحياة، إصلاح عام يشمل الدين والعلم والاجتماع..." ²

فالتجديد عند الإبراهيمي يشمل الجانب الديني والعلمي والثقافي والاجتماعي والسياسي ، وسنشرح كل جانب بالتفصيل وسيأتي ذلك في حينه ، فهذه النظرة الشمولية للتجديد تنفي تلك الادعاءات المترامية هنا وهناك ، والتي تدعي بأن جمعية العلماء المسلمين إنما هي جمعية دينية تنادي بالإصلاح الديني والعلمي ، وعلى هؤلاء رد الإبراهيمي: "من الغلط أن يقال أن جمعية العلماء دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني بمعناه الذي عرفه الناس، ومن فروع هذا الغلط ما رماها به بعض مرضى العقول ، وصرعى الجهل من أنها خرجت عن مدارها حين زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين، والحقيقة أن هذه

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص379

² المصدر نفسه، ج1، ص122

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني والإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها، فالإسلام دين واجتماع.¹

والنهضة أيضا اقترنت بالتجديد في فكر الإبراهيمي ، فهي "تجديد وإصلاح، ولا يكون التجديد إلا لشيء تقادم، ولا يكون الإصلاح إلا لشيء فسد، فالتجديد والإصلاح وصفان عارضان والشيء في ذاته هو هو." ² ومن هنا يمكننا القول أن التجديد عند البشير

الإبراهيمي مهما تعددت معانيه ، إلا أنه كان يهدف في النهاية إلى إعادة صياغة جديدة لواقع الشعب الجزائري ، يسد الثغرات ، ثم يعيد بناء الهدم من جديد على أساس متين من الدين والعلم والأخلاق والعدل ، "فالأمة الجزائرية إذا وجدت هذه القيادة الرشيدة في الدين التي لا يسفه في يدها زمام، ولا تضطرب مقادة، وجدت نفسها، ومن وجد نفسه وجد الحقيقة."³

2- ركائز التجديد عند البشير الإبراهيمي : إن ركائز التجديد الأساسية عند البشير

الإبراهيمي قد أجملها في قوله: "إذن نحن محتاجون إلى تكوين اجتماع خاص، تنتج عنه نهضة منظمة في جميع لوازم حياتنا القومية الخاصة، وألزم هذه اللوازم أربعة: الدين والأخلاق والعلم والمال."⁴

¹ المصدر السابق، ص 215

² المصدر نفسه، ج3، ص 501-502

³ المصدر نفسه، ج3، ص 56

⁴ المصدر نفسه، ج1، ص 50

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

2-1- الإسلام والعروبة أساسا ومنطلقا : كان البشير الإبراهيمي يؤكد دائما أن الإسلام

والعروبة هما أهم ركائز الذات الجزائرية، فهما مختلطان اختلاط اللحم بالدم، فالإسلام يشكل

المرجعية الأولى للأمة الجزائرية ، ولكنه ليس الإسلام الذي شابهته شوائب الأزمنة والأمكنة،

والأعراف المتباينة، فكدرت صفاءه، وغبشت ضيائه، إنه الإسلام الأول ، إسلام مصدريه

الباقيين أبد الدهر (القرآن والسنة).¹ انطلق البشير الإبراهيمي في حركته التجديدية من

المرجعية الأولى وهي الإسلام ، وكيف لا يكون ذلك وهو العالم المسلم الذي درس القرآن

والحديث وسائر علوم الإسلام منذ صباه ، ونبغ فيها وصار معلما لها ، ولكن مفهوم الإسلام

بالنسبة للشيخ هو إسلام القوة لا الضعف ، وإسلام التجديد لا الجمود ، وإسلام الحرية لا

القيود، وإسلام القوة والكرامة لا الذلة والمهانة..² وقد كان الإبراهيمي يحرص في جميع المحافل

على أن يبين رسوخ الإسلام في الأمة الجزائرية ، وبيان ذلك في قول البشير الإبراهيمي "إن

الإسلام في الجزائر ثابت ثبوت الرواسي، متين القواعد والأواسي، قد جلا الإصلاح حقائقه،

فكان له منه كفيل مؤتمن، واستنارت بصائر المصلحين بنوره ، فكان له منهم حارس يقظ،

وعاد كتابه القرآن إلى منزلته في الإمامة ، فكان منه الحمى الذي لا يطرق ، والسياج الذي لا

يخرق."³ وانطلق في عملياته التجديدية من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، فكان يدعو

دائما إلى التمسك بالقرآن الكريم وإحيائه في النفوس ، إذ لا حياة للإنسان إلا به ، يقول

¹ يوسف القرضاوي، مقومات الفكر الإسلامي عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، موقع العلامة الشيخ محمد

البشير الإبراهيمي رحمه الله.

² ينظر، المرجع السابق

³ البصائر ، العدد 13، السنة الأولى من السلسلة الثانية، ذي الحجة 1366هـ-10 نوفمبر، 1947م، ص2

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

"أحيوا قرآنكم تحيوا به، حققوه يتحقق وجودكم به، أفيضوا من أسرارهِ على سرائركم، ومن آدابه على نفوسكم، ومن حكمه على عقولكم تكونوا به أطباء ويكن بكم دواء." ¹ وحتى يتحقق الاهتمام الحقيقي بالقرآن لابد أن يتم الفهم الصحيح له ، وهذا الأخير يتوقف على فقه اللغة العربية وأسرارها، والاطلاع على السنة النبوية التي هي شرح وبيان للقرآن. وتكللت أعمال الإمام في هذا المجال بالنجاح، ولم تذهب جهوده -مع زملائه في درب الإصلاح والدفاع عن الإسلام والعروبة- سدى بل إن فرحته كانت كبيرة يوم رجع المسلمون إلى القرآن، فكان فاعلا ومفعولا به في حياتهم، يقول في ذلك: "وقد قوي أملنا في رجوعهم إليه وإقبالهم عليه، ما نراه من اصطباغ الحركة الإصلاحية الحديثة بالصبغة القرآنية، فهي سائرة إلى غايته، داعية إليه، مرشدة به، مستدلة بآياته، به تصول، وبه تحارب، وعليه تحامي، ودونه تنافح.. وإن هذا لموضع الرجاء في رجوع المسلمين إلى القرآن." ² فالقرآن الكريم هو الهدى لمن أراد الهدى، والسراج المنير الذي ينير درب السالكين، فيه يكمن سر وحدة المسلمين وتربطهم، وعلو شأنهم بين الأمم فواجب على المسلمين أن يرجعوا إليه كما "كان علماء السلف يرجعون في كل شأن من شؤون الدين إليه، بل كان خلقهم القرآن كما كان النبي -صلي الله عليه وسلم، وكما ثبت في حديث عائشة رضي الله عنها (كان خلقه القرآن يرضى

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، 365

² المصدر نفسه، ج1، ص92

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

لرضاه ويغضب لغضبه).¹ وكانوا يحكمون القرآن في كل شيء، حتى في الخطرات العارضة، والسرائر الخفية، حتى تمكن سلطانه من نفوسهم، وأصبحت لا تتحرك ولا تسكن إلا بأمره ونهيه، وأصبحوا يقودون حتى الخلفاء والأمراء بذلك السلطان، وذلك هو السر في علو كلمة الإسلام، وسرعة انتشاره في المشارق والمغرب.²

والإسلام في عملية التجديد لا بد من ربطه بالعروبة فهما ثنائية لا يكتمل أحدهما إلا بالآخر، "والعروبة التي يدعو إليها ليست عرقية ولا عنصرية، بل هي عروبة لغة وثقافة، وجوهرها اللسان العربي وهو الذي نزل به القرآن الكريم: (نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين)³ فاللغة العربية أخذت موقعا هاما في عملية التجديد ذلك أن الإبراهيمي عرف ببراعته في ميدانها فهي عنده "تتلاحم مع الإسلام والعروبة تلاحما مكينا، وتؤثر في اتجاهه الفكري تأثيرا بينا صريحا، لأنه يتخذها مبدأ جوهريا، ومكونا رئيسيا من مكونات هويته الأصيلة"⁵، وحقيقة الأمر أن اللغة العربية ظلت من الركائز الأساسية المسهمة في الحفاظ على تماسك المجتمع الجزائري وتربطه، لذلك شغلت حيزا كبيرا في كتابات الإبراهيمي، ومن ذلك قوله: "اللغة العربية هي لغة الإسلام الرسمية، ولهذا اللغة على الأمة

¹ أحمد بن محمد بن حنبل، المهند، شرح: حمزة أحمد الزين، المجلد7، دار الحديث، القاهرة، د ط، 1433هـ-

2012م، ص 200

² عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، رواية وتعليق: محمد الطالح رمضان، تقديم: محمد البشير الإبراهيمي، دار الفتح للطباعة والنشر - الشارقة، ط 1، 1416هـ/1995م، ص 17

³ سورة الشعراء، الآية 193-195

⁴ يوسف القرضاوي، مرجع سابق.

⁵ محمد عباس، مرجع سابق، ص 123

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الجزائرية حقان أكيدان، كل منهما يقتضي وجوب تعلمها فكيف إذا اجتمعا: حق من حيث

أنها لغة دين الأمة بحكم أن الأمة مسلمة، وحق أنها لغة جنسها بحكم أن الأمة عربية

الجنس، ففي المحافظة عليها محافظة على جنسية ودين معا، ومن هنا نشأ ما نراه من حرص

متأصل في هذه الأمة على تعلم العربية، وما نشهده من مطالبة اجتماعية بحرية تعليمها، وما

نشاهد من قلق واضطراب في أوساط الأمة لموقف الحكومة المخجل من اللغة العربية، وما نراه

من سخط عميق على القرارات والقوانين التي تعرقل تعليمها، وذلك كله لأنها مفتاح الدين،

أو جزء من الدين.¹

كما أنه لم يغفل عن تبيين فضلها على العلم والمدنية وأثرها في الحضارات الأخرى: "قامت

اللغة العربية في أقل من نصف قرن بترجمة علوم هذه الأمم ونظمها الاجتماعية وآدابها،

فوعت الفلسفة بجميع فروعها، والرياضيات بجميع أصنافها، والطب والهندسة والآداب

والاجتماع، وهذه هي العلوم التي تقوم عليها الحضارة العقلية في الأمم الغابرة والحاضرة، وهذا

هو التراث العقلي المشاع الذي لا يزال يأخذه الأخير عن الأول... إن كثيرا من العلوم التي

بنيت عليها الحضارة الغربية لم تصلها إلا على طريق اللغة العربية بإجماع الباحثين منا ومنهم،

وإن المنصفين منهم ليعترفون للغة العربية بهذا الفضل على العلم والمدنية، ويوفونها حقها من

التمجيد والاحترام..²

¹ جريدة البصائر، العدد 1 من السلسلة الثانية 8 رمضان 1366هـ/25 جويلية 1947م، ص3

² البشير الإبراهيمي، مصدر السابق، ج1، ص376-377

2-2- الأخلاق : عاش الإبراهيمي في بيئة غلب عليها الانحراف الأخلاقي على جميع

الأصعدة ، فكان الحاجة ماسة إلى بناء الأخلاق والفضيلة لأن "الواجب الذي ننشد تكوينه أن يبذل مجهودات قوية لرفع درجة الأخلاق عندنا، ومن فكري الخاص أن هذه الناحية من أمراضنا أيسر معالجة من جميع النواحي إذا أحسنا تسيير الجهود الفردية في التربية المنزلية، لأن لنا أساسا نبني عليه ، ولا يعسر جد العسر إحيائه وهو الأخلاق الإسلامية المتوارثة في الجملة، والتي نجد معظمها في القرآن في أوضح عبارة وأوضح بيان، ثم الأخلاق العربية المأخوذة من آدابهم، التي هي أنفس ما خلفوه لنا من التراث، فإذا تمكنا بالتدريج من قمع هذه الجرائم الأخلاقية التي أفسدت مجتمعنا، وتكوين أفق أخلاقي صالح، نكون قد جنينا من اجتماعنا شيئا هو ثمرة الثمرات وفائدة الفوائد." ¹ إذن لا بد من إصلاح شامل للأخلاق الفاسدة، وتغلغل إلى مكامن الضعف فيها لتطهيرها من الجرائم التي أفسدتها ففسد بذلك المجتمع الجزائري "فلتكن هي أول ما نصلح إن كنا جادين في تثبيت الوعي واليقظة والنهضة، لأن الأخلاق إذا استقامت تفتحت البصائر للوعي وتهيأت الشواعر لليقظة، وانبعثت القوى للنهضة، فكان الوعي بصيرا، وكانت اليقظة عامة، وكانت النهضة شاملة، وكانت الحياة لذلك كله كاملة." ² وقد نجح الإبراهيمي في تكوين جيل متشبع بالأخلاق كما كان ينبغي ويطمح في مشروعه الإصلاحية ، وهاهو يعبر عن هذا النجاح في قوله: "وإذا رجعنا إلى الأخلاق أيها الإخوان، وجدنا نجاح الجمعية ظاهرا في جمهرة من الأخلاق الفاضلة ، غرستها

¹ المصدر السابق، ص 52-53

² محمد البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص 220

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

في نفوس الأمة الجزائرية، فجمعية العلماء هي التي علمت الأمة خلق التضحية في الصالح العام، وخلق الصبر عليه ومطاولته، وخلق القصد في الاعتقاد والتفكير، وخلق الاعتماد على النفس، وخلق الصراحة في القول والجرأة في الرأي والكلام إلى ما يتصل بهذه الأخلاق من فروع ولوازم.¹ فلا نهضة لأمة تشهد غيابا أخلاقيا، لأنها ستصبح غابة يأكل فيها القوي الضعيف وعندها ستفقد الحياة الإنسانية مفهومها الواقعي ويحل الشر والبوار..

2-3- العلم : يشهد العالم أن الأمة الإسلامية يوم فقحت قوله تعالى "اقرأ" أنها نهضت

بالعلم والمعرفة نهوضا بلغ أوجه وقمة ازدهاره عبر مختلف العصور السابقة ، وما نهضة العالم اليوم إلا على أساس ما خلفته الحضارة الإسلامية في شتى العلوم والمعارف ، غير أنها اليوم تشهد تأخرا فاضحا "فالحقيقة الواقعة أننا لا زلنا فيه في مؤخرة الأمم، وغاية ما نبني عليه الأساس في هذا الباب هو هذا الشعور الذي نشاهده في جميع طبقاتنا وأوساطنا بلزوم العلم، وهذه الرغبة المتأججة في صدور الناشئين منا للعلم." ² غير أن الوصول إلى هذا المطمح يتطلب المال وهو شحيح عند هؤلاء المصلحين "فالواجب على هيئاتنا المجتمعة محاربة الجهل بالعلم، ولا يتم ذلك إلا بالمال، وأين المال وما أقل ما يكفي منه ..ولا ننكر أن عند أغنيائنا ما لا يكفي لبعض الواجب، ولكن يحول دون إخراجهم في المشاريع النافعة أسباب :شح مطاع في البعض، وجهل بطرق النفع العام في البعض، وأخرى نشكو منها إلى الله وهي عدم

¹المصدر السابق، ج1، ص286

²المصدر نفسه، ص53

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

ثقة بعضنا ببعض، هذا الخلق المشؤوم الذي أصبح خلقا ذاتيا فينا ولا نبحت عن أسبابه في هذا الحديث.¹ ورغم قلة المال وأصحابه الذين يدركون أهمية العلم ووجوب نشره في المجتمع، فإنه لم يعدم بعض الغيورين من أبناء الأمة البررة الذين "حاولوا التعليم بأسلوب قريب وطريقة منظمة، كل في دائرة اختصاصه، وجعلوا أعمالهم وأوقاتهم تضحية وطنية متكلمين على التضحية الوطنية من جانب الأغنياء، وما جاوزوا مبادئ العمل حتى أعوزهم المال وأخطأ الاتكال، هنا وقعت المشادة الكبرى-قالوا للأغنياء: هاتوا المال، فقال بعضهم: هاتوا الثقة، وقال البعض: هاتوا الثبات، وقال بعضهم لا أدفع مالي في غير ما يخص أهلي وعيالي."² وقد أوجد الإبراهيمي العذر لهؤلاء الثلاثة غير أن النتيجة انتهت بتعطيل تلك المؤسسات العلمية التي ابتغت الجمعية من وراءها نشر العلم والحق بركب الأمم، في هذا المجال غير أنها لم تأس أو تعجز عن تحقيق هذا الاستحقاق بل سعت سعيا متواصلا "لتأسيس جمعيات علمية مكشوفة الجبين، عريانة المقاصد، تقوم للمعلمين بما عجزوا عنه من المال، وتقوم للأغنياء بما طلبوه من الثقة والثبات وتنوب عن الكل في إدارة المؤسسات إدارة رشيدة تضمن سلامة العقبي، والوصول إلى النتيجة."³ والنتيجة هي ما رأينا واضحا في مسار الجمعية في فصل سابق في هذا المجال فهي خير شاهد على إرادة وعزيمة هؤلاء الرجال المصلحين.

¹ المصدر السابق، ص53

² المصدر نفسه، ص53

³ المصدر نفسه، ص54

2-4-المال : يقول الإبراهيمي: " أما اللازم الرابع وهو المال فلا ننكر أنه أقرب نواحي

نحضتنا إلى التحقيق ولا ننكر أن صلتنا بالمال لم تنقطع، وفي القطر ثروات هي نتائج جهود فردية و ثروات هي بقية ما ترك الأولون . . ولكن رغما عن هذا فلا مطمع لنا في اللح اق بالأمم الغنية المعتزة بغناها ولم نبلغ أن تكون لنا قيمة مالية في أسواقها الكبرى، وهذه هي درجة الاعتزاز بالمال.¹ فالإبراهيمي يؤكد أن المال هو العنصر الأساسي في عملية النهضة بالمجتمع لأنها تتطلب تحقيق مشاريع تنموية كبناء المدارس والمعاهد والمؤسسات الاقتصادية لمجارة الدول المتطورة، وذلك لا يتأتى إلا بالمال والعلم فهما سلاحان لا يمكن الدخول إلى معترك الدول المتطورة إلا بهما " وليعلم كل من لا يريد أن يعلم أن سوق المال اليوم معترك أبطال وأن في جوانبه رماة ونحن الهدف، وأن مكان المال من الحياة مكان الورد من البدن، وأن الزمان قد دار دورته وقضى الله أن يصبح المال والعلم سلاحين لا يطمع طامع في الحياة بدونهما فلننظر مكاننا منهما ومكانهما منا.² غير أن ما يقعد النهوض في هذا المجال بقية من الخمول والكسل والركون إلى التقليد المميت وعدم الثقة المتبادلة بين دعاة النهضة والأغنياء وهو ما عبر عنه الإبراهيمي في قوله: "جربنا العمل الفردي في سوق المال فوجدناه ينتج نفعا فرديا فقلنا هو مفيد في الجملة . . ونظرنا إلى أعمال التعاون والاجتماع عند غيرنا فوجدناها تفيد فائدة اجتماعية فاستحسننا هذا الشعور الجديد فينا، فلماذا لا يكون استحسننا سلما لخوضنا غمارها؟ أنا اعتقد أنه سيكون ولكن لماذا لا ندخل هذا الباب

¹ المصدر السابق، ص54

² المصدر نفسه، ص55

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

بالتروي والأناة، وما المانع؟ المانع فيما أرى أنه لم تزل فينا بقية من التلفت لماضينا المالي، وما يصحبه من الراحة وبقية من الخمول المميت، وبقية من الجبن وبقية من الميل إلى العلم النظري، وبقية من التقليد في السطحيات، وبقية من العاطفة الجافة، عاطفة الالتذاذ بأحاديث ما قال الناس وما فعل الناس، هذه البواقي تظاهرها عقيدة القناعة والكفاف، هي التي جلبت لنا هذا الشلل، أضيفوا إلى الكل تلك الخلة المشؤومة التي مازلنا نشكو إلى الله منها وهي عدم ثقة بعضنا ببعض، أفلا يتكون من هذا المجموع آفة مهلكة هي السبب في كل ما نشكوه من موت عاطفة التعاون المالي فينا.¹ فالحكمة في هذه المرحلة تتطلب توحيد الجهود فيما بين هذين الطرفين وزرع الثقة بينهم ووضع خطة واضحة المعالم، والسير على إثرها "فأنا اعتقد أنه إن جرت هذه المساعي بالحكمة والثقة المتبادلة، وجرى معها مدد آخر من أقلام الكتاب وألسنة الخطباء والمعلمين ببث روح التعاون والتوفير، فإن اليوم الذي تلمس فيه النتيجة باليد ليس ببعيد."²

ثانيا: بواعثه وأهدافه:

1-بواعثه: مما لا شك فيه أن التجديد حاجة ضرورية للأمة بعدما أصبح نصيبها من الحياة ركود وركون وجمود وتقليد، "فقد نضبت في مواقفنا العقدية معاني التوكل والإقدام، وأصبح غاية أمرنا أن نحفظ بقية الدين لا نزيده ولا نجده، ومع حركة الانحطاط المضطرد التي لازمتنا

¹ المصدر السابق، ص55

² المصدر نفسه، ص55-56

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

دهرا طويلا، أصبحنا نرى أرض الإسلام تنقص من أطرافها ومظاهره تتلاشى، وخيره يتضاءل وتحيط به الشرور المقتحمة ، وكانت علة ذلك وعاقبته مواقف في العقيدة، قنوعة غير

طموحة..¹ ولهذا رصدنا مجموعة من البواعث والأسباب والتي لها أهمية بالغة في عملية

التجديد سنذكر أهمها تباعا:

أ- أن الشريعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان ، فهي شاملة لقول الله تعالى : {وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين }² وبفضل مرونتها وحركيتها ، مما يجعلها قابلة للتجديد لتلائم وتساير الواقع، يقول الإمام الشاطبي رحمه الله : "فلأن الوقائع في الوجود لا تنحصر ، فلا يصح دخولها تحت الأدلة المنحصرة، ولذلك احتيج إلى فتح باب الاجتهاد من القياس وغيره، فلا بد من حدوث وقائع لا تكون منصوصا على حكمها، ولا يوجد للأولين فيها اجتهاد، وعند ذلك فإما أن يترك الناس فيها مع أهوائهم، أو ينظر فيها بغير اجتهاد شرعي، وهو اتباع للهوى، وهو معنى تعطيل التكليف لزوما، وهو مؤد إلى تكليف ما لا يطاق، فإذن لا بد من الاجتهاد في كل زمان لأن الوقائع لا تختص بزمان دون زمان."³

ب- كذلك مما يستدعي التجديد، بُعِدُ النَّاسُ عَنِ الدِّينِ الصَّحِيحِ مَعَ تَقَادُمِ الزَّمَنِ وَالبَّوْنِ الشَّاسِعِ عَنِ مَصْدَرِ الوَحْيِ ، مما فسح المجال لتسرب البدع والضلالات التي تكدر صفاء الشريعة وتعكره ، واتساع رقعة الانحراف، عندها "تصبح الحاجة ملحة إلى بعثة المجددين،

¹ حسن الترابي، تجديد الفكر الإسلامي، دار القرائي للنشر والتوزيع -المغرب، ط1، 1993، ص108

² سورة الأنبياء، الآية 107

³ عدنان محمد أمامة، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط1، رجب 1424، ص22

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وبروز قيادات إسلامية متميزة تعمل على إظهار الإسلام وتقديمه كما أنزله الله، وتبعد عنه

كل العناصر والجزئيات الدخيلة عليه، والتي تحول دون تفاعل النفوس مع الوحي الإلهي،

وتحي ما اندرس من معلمه وأحكامه.¹

ج - تحقيق النهضة الشاملة للأمة الإسلامية التي تردت أحوالها وساءت، وتراجعت مكانتها

بين الأمم، فالتجديد لازم لاسترجاع ما كانت عليه الأمة الإسلامية من عز وفخار ومجد

وحضارة، ولا يتسنى ذلك إلا بالرجوع إلى الدين الصحيح، قال الله عز وجل: {أفمن أسس

بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في

نار جهنم} ² فعلى الأمة الإسلامية أن تحقق النهضة لتتدارك ما فاتها في هذا الصراع

الحضاري الطويل، وفق رؤية إسلامية تجديدية لتحقيق الوحدة والهداية والسعادة في ظل كتاب

الله وسنة رسوله عليه أفضل الصلاة والتسليم، يقول البشير الإبراهيمي في هذا السياق

: "كيف يشقى المسلمون وعندهم القرآن الذي أسعد سلفهم؟ أم كيف يتفرقون ويضلون

وعندهم الكتاب الذي جمع أولهم على التقوى، فلو أنهم اتبعوا القرآن وأقاموا القرآن لما سخر

منهم الزمان وأنزلهم منزلة الضعة والهوان، ولكن الأولين آمنوا واتبعوا فارتفعوا، ونحن... فقد

آمنا إيماننا معلولا، واتبعنا اتباعا مدخولا، وكل يجني عواقب ما زرع."³

¹ المرجع السابق، ص 23

² سورة التوبة، الآية 109

³ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 1، ص 158-159

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

د-ومما يستدعي التجديد أيضا هو كثرة الأحداث والمستجدات التي يصطدم بها الواقع فلا يجد لها نصا صريحا في الأحكام الشرعية ، فهذا الأمر يستلزم من العلماء أن يكونوا على فقه بهذا الواقع الجديد "كي لا يكون الدين بعيدا عن واقع حياة المسلمين مما يستلزم أيضا أن ينهضوا بالاجتهاد في علوم الدين على تنوعها واتساع آفاقها، كما نهض أسلافهم في مختلف العصور، وواجهوا مشكلاتهم وقضاياهم، واضعين نصب أعينهم أنهم دعاة حق، وأمناء رسالة الإسلام"¹ والتجديد الذي عناه البشير الإبراهيمي لا يقتصر على الجانب الديني كما أسلفنا الذكر سابقا، وإنما هو تجديد عام يشمل جميع مجالات الحياة أي أنه ذلك "التجديد الحقيقي الذي يعمل على إبراز البدائل، وتقديم الحلول والعلاجات للأمراض الأمة المزمنة، على أساس استيعاب القديم وتقويمه ودراسته وتحليله وإعادة قراءته وإدراك تحديات الحاضر ، من أجل استشراف متطلبات المستقبل المنشود."²

2-أهدافه : إن نجاح أي عمل إصلاحي ينبغي أن يكون محكم الصنع ، ينطلق من واقع

المجتمع ويستقرئ مشاكله بدقة في سبيل الوصول إلى حلول فاعلة يمكن تنفيذها على أرض الواقع، والبشير الإبراهيمي هو ذلك المصلح الذي ولد وعاش في فترة الاحتلال الفرنسي ، وعرف معاناة الشعب الجزائري بكل تفاصيلها، فكان لزاما عليه وهو العالم المصلح أن يقف

¹ دلال بنت كويران السلمي، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته، إشراف الدكتور أمين محمد عطية باشا، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى، 1435هـ-2014م، ص68

² الحسن حمدوشي، مرجع سابق.

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

موقفا يقاوم من خلاله هذا الاحتلال وأعوانه وفق خطة إصلاحية تجديدية تجلت أهدافها في ما يلي :

1-2- إحياء الدين الإسلامي : إذا رجعنا إلى القانون الأساسي للجمعية نجد أن من أهدافها الأساسية العودة بالدين إلى منابعه الأولى بتجديده وبث الروح فيه بعدما اندرست معالمه وزالت ، بفعل الاحتلال الفرنسي الذي سعى من الوهلة الأولى إلى تحطيم العقائد ، وتدمير المبادئ، وإبعاد الشعب عن دينه ما استطاع إلى ذلك سبيلا، فعمد إلى استخدام كثير من المخططات لبلوغ غايته ، ومن ذلك **مشروع التبشير والتنصير** ، وقد أدرك البشير الإبراهيمي ذلك وعبر عنه في قوله : "جاء الاستعمار الدنس يحمل السيف والصليب ، ذاك للتمكن، وهذا للتمكين، فملك الأرض واستبعد الرقاب .. كان استعمارا دينيا مسيحيا عاريا، وقف للإسلام بالمرصاد من أول يوم، وانتهك حرماته من أول يوم .. ووسع للمسيحية مجال الحرية لبث دعايتها المسيحية، تؤسس مراكز التبشير، وتعمرها بالدعاة والأطباء والمعلمين، وتجهزها بكل وسائل الإغراء والإغواء، وتغتتم المجاعات والأوبئة فرصا لاصطياد الجوع واليتامى والمرضى لتفتنهم عن دينهم بلقمة أو ثوب، أو جرعة دواء وما مهد لها تلك الأسباب إلا الاستعمار، فهو الذي أجاع وأعرى، وهو الذي أفقر وأمراض، وهو الذي مكن للجهل والجمود، كل ذلك عن عمد وقصد، وكل ذلك ليذل ويقل، ويهيئ للمبشرين وسائل التنصير.¹ وفي ظل هذه الحملة المسعورة على الإسلام وأهله ، وقف البشير الإبراهيمي ومن

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص80-81

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وراءه رفقاءه في الإصلاح لتصدي لها وإحباطها بعزيمة ملؤها الإيمان والإخلاص للإسلام وأهله، رغم قلة المال الذي يعتبر الوسيلة الأجدى للقضاء على هذا المخطط الإجرامي، يقول البشير الإبراهيمي: "وإنما السلاح الماضي والفتاك في هذا الميدان هو المال، ولعمري كيف تستطيع أن تقاوم جمعيات منظمة من ورائها أمم غنية تغدق عليها المال.. ولو أن عند أغنياء المسلمين بعض ما عند هؤلاء من سماحة اليد في سبيل الدين، لطووا هذا التبشير الزائغ، ولنشروا الإسلام في أقطار الأرض كلها، وإن دينهم ليأمرهم بهذا، ولكن أين هم من دينهم؟"¹ وما كادت الجمعية تفرغ من حربها ضد التبشير حتى فاجأها ضيف ثقيل أثقل من صاحبه، وهو الإلحاد الذي انتشر بين أبناء الشعب الجزائري، وذلك بفعل الاحتكاك بالثقافة الأوروبية والتأثر بها على حساب الثقافة العربية الإسلامية.²

ولعل أهم سبب أدى إلى ظهور هذا الخطر الإلحادي بين أوساط الشباب الجزائري هي "مجانبة علماء الدين الجامدين لهم ونفورهم منهم، وهي عادة ما يزال يتسم بها هذا الصنف من العلماء إلى الآن، وبهذه العادة السيئة كادوا يضيعون علو الأمة طائفة من أبنائها، هم ذخرها للمستقبل وعدتها للشدة، ولكن رجال جمعية العلماء يعلمون أن هذه الطائفة المعرضة للإلحاد هي زهرة الأمة، وإنها جديرة بكل عناية واهتمام.. وأنها أقرب إلى الإصلاح والرجوع إلى الحق بما معها من إدراك صحيح، وبما فيها من ملكات الاستدلال، لذلك مازجوا هذه الطائفة وخلطوها بأنفسهم وعرفوا كيف يجذبونها إلى المحاضرات والدروس الدينية، فكان لهذه

¹ المصدر السابق، ج1، ص197

² ينظر، المصدر نفسه، ص194

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الطريقة الرشيدة أثرها الصالح في تقويم زيغ الزائغين منها وإرجاعهم إلى حظيرة الدين بكل سهولة.¹ إضافة إلى هذا المشروع التدميري عمدت سلطات الاحتلال إلى مشروع آخر أكثر خطرا من سابقه، لأنها استخدمت فيه أبناء الإسلام للقضاء على الإسلام، فالطريقة المنحرفة كانت من مخططات الاحتلال، هي التي ترعاه وتحرسه وتوفر له السبل اللازمة للقيام بهدم الإسلام في النفوس، ولقد أدركت الجمعية مقدار الخطر الذي تحمله هذه الطرق وأنها "علة العلل في الإفساد ومنبع الشرور، وأن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الدين، وضلال في العقيدة، وجهل بكل شيء، وغفلة عن الحياة، وإلحاد في الناشئة، فمنشؤه من الطرق ومرجعه إليها."²

فتصدى لها الإبراهيمي وأعمالها وفق برنامج إصلاحى عملي حكيم، لأنها هي السبب في ما يعيشه المجتمع الجزائري من بعد عن دينه وتعاليمه، وانحراف وزيف في كافة مجالات حياته، فأخذ على عاتقه هو ورفاق الإصلاح أن يضعوا حدا لهذه الطريقة وأعاونها، حتى ترجع الأمة إلى دينها "فتشارف السلف في عقائده، وعاداته، وأخلاقه، وصلته بمحمد صلى الله عليه وسلم، وقربه من الله."³ وهكذا عمل البشير الإبراهيمي على إحياء الدين الإسلامي أولا بإزالة العوائق التي كانت تقف سدا في سبيل تفعيله في الحياة من طريقة ودعاة تبشير وإلحاد، والذين كانوا سببا في انحدار الأمة إلى مزالق الانحراف والزيف، ثم توجه إلى تصحيح العقيدة وتنقيتها

¹ المصدر السابق، ص 195

² المصدر نفسه، ص 189-190

³ المصدر نفسه، ج 4، ص 123

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

مما علق بها من البدع والضلالات الطرقية الهدف من كل ذلك هو تجديد الدين، يقول الإبراهيمي: "إحياء الإسلام بمعناه الكامل في النفوس، ومعناه الكامل هو عقائده النقية، وعباداته المأثورة، وفضائله المصلحة للبشر، وآدابه المقومة للنفس، وأحكامه الحافظة للحقوق."¹

2-2 إحياء اللغة العربية وآدابها: دائما ما قرن البشير الإبراهيمي بين الإسلام والعروبة في

منهجه الإصلاحية التجديدي، ذلك أن اللغة العربية هي "لسان هذا الدين الذي نزل به كتابه، وهو يعد ترجمانه الحاذق الذي نقل الإسلام وما فيه من عقائد سامية، وحكم غالية، وأخلاق عالية، وأسرار جلييلة، وآداب قيمة إلى أمم أجنبية عن لغة هذا الدين، وأخذهم أخذة السحر بكيفية تريهم أن الدين هو اللغة، وأن اللغة هي الدين."² وكان يؤمن بأن اللغة العربية هي حافظة الإسلام ووعائه، والحفاظ عليها هو حفاظ على الإسلام والعروبة في الجزائر، لذلك وجب تعلمها والتعمق في آدابها وتاريخها واستنفاد كل السبل المؤدية لبسط أركانها في الجزائر، وإفشال مخططات الاحتلال الذي يريد طمسها والقضاء عليها، مسخرا في سبيل ذلك كل جهده "وما نصرها الله في الجولات الأولى أضعف ما كانت، وأقوى ما كان خصومها، إلا لأنها نصرت دينه وأحيت لغة كتابه، وما اشتد الاستعمار في مقاومة هذه الجمعية إلى يومنا هذا إلا لعلمه بمقاصدها هذه، وأنها على النقيض من مقاصده."³ فالإدارة

¹ المصدر السابق، ص 123

² المصدر نفسه، ج 1، ص 109

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 206

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الفرنسية كانت تعتقد جازمة بنجاحها في القضاء على اللغة العربية ، مما يسهل عليها القضاء

على الإسلام، ثم ضم الجزائر فكان أهم وسيلة خطرة استعملتها للقضاء عليها هي محاولة

التشكيك في أصالتها فرد الإبراهيمي على هذه المزاعم مفندا إياها بقوله : "اللغة العربية في

القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة، بل هي في دارها، وبين حماها وأنصارها، وهي ممتدة

الجذور مع الماضي، مشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأفتان في المستقبل، ممتدة مع

الماضي لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على السنة الفاتحين ترحل برحيلهم وتقيم

بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الأفريقي إقامة الأبد وضرب بجرانه فيه أقامت معه

العربية لا تريم ولا تبرح، مادام الإسلام مقيما لا يتزحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في

النفوس، وتنساع في الألسنة واللهوات، وتنساب بين الشفاه والأفواه.¹

2-3 تحرير الوطن وبناءه : إن المعاناة التي عاشها الشعب الجزائري في ظل الاحتلال

الفرنسي تعد سابقة في تاريخ البشرية، إذ لم يعرف عن بلد من بلدان العالم العربي في العصر

الحديث، لقي ما لاقته الجزائر من كل صنوف العذاب والويل والتنكيل على كافة المستويات ،

فكان عدوا مجرما وفد إلى هذه البلاد لينفي أهلها من الوجود ويضمها إلى وطنه فرنسا، كل

ذلك كان له تأثيره على البشير الإبراهيمي الذي عقد العزم على إيجاد مخرج لما يعاينه الشعب

الجزائري من خلال إفشال مخططاته الإجرامية عن طريق تهيئة الشعب وبث الوعي بضرورة

العمل النضالي لاسترداد الحقوق المسلوقة، وأهم حق عمل عليه البشير الإبراهيمي هو استرداد

¹المصدر السابق، ج3، ص206

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الأمة لمقوماتها العربية والإسلامية، وقد عبر البشير الإبراهيمي عن ذلك في قوله: "إيجاد الأمة، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس، ولغة، ودين، وتقاليد صحيحة، وعادات صالحة وفضائل جنسية أصيلة، وتصحيح عقيدتها، وإيمانها بالحياة، وبتربيتها على الاعتداد بنفسها، والاعتزاز بقوتها المعنوية، والمغلاة بقيمتها وبميراثها، وبالإمعان في ذلك كله حتى يكون لها عقيدة راسخة تناضل عنها، وتستमित في سبيلها، وترى وجود تلك المقومات شرط لوجودها.. فمتى اجتمعت تلاقت، ومتى تلاقت ولدت وطنا." ¹ فالبشير

الإبراهيمي انطلق في هدفه التجديدي-المتعلق بتحرير الوطن واسترداد الأمة من الانحدار الذي وقعت فيه-من الإسلام الذي يدعو إلى التحرر من كل ما من شأنه أن يقعد المسلم عن أداء مهامه، فهو "تحرير عام شامل، يشمل تحرير الإنسان والأرض والفرد، والمجتمع.. تحرير الرجل والمرأة، تحرير العقل والبدن، التحرير من الاستعمار الخارجي الذي غايته استغلال الأمة، ووسيلته سد أبواب العلم في وجهها، حتى يتم له استغلالها، ومن الاستعمار الداخلي الذي يقوم به جماعة من إخواننا يصلون لقبلتنا، وغايتهم استغلال الأمة، وصددها أيضا عن العلم، ليستمر لهم استغلالها، وهؤلاء الذين شوهوا محاسن الإسلام، أولئك يضلونها، وهؤلاء يذلونها، وجميعهم يستغلونها." ² وحتى يتحقق التحرير الكامل دعا الإبراهيمي جميع الأحزاب في الجزائر إلى الاتحاد وإزالة أسباب التفرق، فكل مسلم عربي جزائري مخلص

¹ المصدر السابق، ج3، ص64

² ناصر أحمد سنة، ملامح الفكر التجديدي عند البشير الإبراهيمي، 2010م
<http://www.odabasham.net/show.php?sid=35082>

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

يؤيدنا في هذا الاتحاد، ويود منه ما نود، ويعتقد فيها ما نعتقده من أنه المعقل الوحيد للقضية الجزائرية، والوسيلة الوحيدة لنجاحها، ويرى ما نرى من آثار التفرق الشنيع الذي شتت شمل الأمة الضعيفة، فزادها ضعفا على ضعف، في وقت تطلعت فيه إلى المطالبة بحقها، فهي فيه أحوج ما تكون إلى جمع القوى، والتثام الشمل، واتحاد الكلمة.¹

وكان من الطبيعي أن تبدأ دعوة الإبراهيمي بالتحريض حتى تستطيع الأمة إيجاد نفسها ، وبناء مجدها وحضارتها، لقد كان لدعوة الإبراهيمي الرامية لتحرير الوطن ، أثر كبير في نفوس الجزائريين الذي خرجوا من عتمة الشك والتردد إلى نور اليقين بضرورة تحرير البلاد والعباد، فالحق لا بد أن ينتصر على الباطل مهما صالت صولته وطالت مدته.

¹ المرجع السابق

ثالثا: ميادين التجديد في المشروع الإصلاحي عند البشير الإبراهيمي

للبشير الإبراهيمي في منهجه الإصلاحي التجديدي خطة مكتملة الأركان والنواحي ، فلم يقدم جانبا على آخر بل كان يقول إنه لا بد من حركة تجديدية تشمل كل حياة الشعب الجزائري، تحي ما أماته فيه الجهل والحرمان والاحتلال ، فكان لا بد من تجديد في الدين والثقافة والسياسة والأدب والاجتماع حتى تكتمل نهضة هذا الشعب ، ويواكب مسيرة التقدم والنمو عند الأمم الأخرى ، فكانت هذه التجربة التي خاضها الإبراهيمي تستحق الذكر والتمجيد ...

1- التجديد في الجانب الديني

رأينا في فصل سابق كيف سعت الجمعية إلى الإصلاح في هذا المجال ، وما بذلته من جهود ومساع في سبيل إحياء الدين في نفوس الجزائريين، والبشير الإبراهيمي هو واحد من رواد جمعية العلماء يرى برأيها ويعمل تحت لوائها، فكان عمله في هذا الجانب تجديديا بامتياز وقد ركز على النواحي التالية:

1-1 تحرير العقول من الضلالات والأوهام : لا يستطيع أي أحد أن ينكر فضل البشير

الإبراهيمي في توجيه هذه الأمة إلى الخير والصلاح، وتربيتها وتقويمها وتصحيح نظرتها للحياة طيلة عمله الإصلاحي ، فكانت له يدا بيضاء في كل هذا وهو تحت لواء جمعية العلماء

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

المسلمين، وكانت أول أعماله في الجانب الديني هي "تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وإن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا، وهذا النوع من التحرير لا يقوم به ولا يقوى عليه إلا العلماء الربانيون المصلحون، فهو أثر طبيعي للإصلاح الديني الذي اضطلعت بحمله جمعية العلماء."¹ فكان لا بد من هذا التحري، لأن الأمة بلغت مبلغا خطيرا من الانحراف والجاهلية والبعد عن الدين الصحيح، والأسباب في كل ذلك معروفة عرفناها سابقا "فبذلك التحرير العقلي الذي أساسه توحيد الله تمكنت الجمعية من توحيد الميول المختلفة، والمشارب المتباينة، والنزعات المتضاربة.. وبذلك أيضا أيقظت في الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال، والصحيح من المبادئ، وبين الطالح والزائف منهما.. وأراحت الأمة من أصنام كانت تتعبد لها باسم الدين، أو باسم السياسة.. وزرعت البذرة الأولى لما يسمى الرأي العام في الجزائر، وتكون الرأي العام بمعناه الصحيح هو بلوغ الرشد بالنسبة للجماعات."² والأمة الإسلامية بلغت هذا المبلغ الخطير من الانحدار الأخلاقي والديني لأنها فقدت القيادة الرشيدة التي ينبغي أن يقودها العلماء الربانيون المصلحون، تلك القيادة التي "هي قبس من شعلة الوحي، وشعبة من قوة النبوة، والتي تنبثق عنها جماعات المسلمين، حينما يضرب الفساد والنخر في أصول مجتمعهم."³

¹ الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص56

² المصدر نفسه، ص56

³ المصدر نفسه، ص56

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

1-2 إصلاح علماء الدين: " لا توجد في الإسلام وظيفة أشرف قدرا، وأسمى منزلة،

وأرحب أفقا، وأثقل تبعة وأوثق عهدا، وأعظم أجرا عند الله من وظيفة العالم الديني .. فالعالم بمفهومه الديني في الإسلام، قائد ميدانه النفوس، وسلاحه الكتاب والسنة وتفسيرهما العملي من فعل النبي -صلى الله عليه وسلم- وفعل أصحابه، وعونه الأكبر على الانتصار في هذا الميدان أن ينسى نفسه ويدوب في المعاني السامية التي جاء بها الإسلام، وأن يطرح حظوظها وشهواتها من الاعتبار، وأن يكون حظه من ميراث النبوة أن يزكي ويعلم ، وأن يقول الحق بلسانه ويحققه بجوارحه، وأن ينصره إذا خذله الناس، وأن يجاهد في سبيله بكل ما آتاه الله من قوة.¹ فالعالم الديني بالمفهوم الذي طرحه الإبراهيمي هو الأقدر في هذا الميدان ، فهو من ورثة الأنبياء قولاً وعملاً، وواجهه تجاه الأمة أكثر أهمية من غيره، لأنه مكلف بالتربية والتعليم والتوجيه والنصح والدعوة، على أن النجاح في هذه المهمة العظيمة ينبغي أن يكون مقترنا بمجموعة من الصفات التي هي أساس العمل في هذا الميدان ، وهي نكران الذات وإهمال حقوقها وطرح شهواتها وانشغالها جانبا ، لأن الدور المنوط به أعظم وأجل ، والجرأة بالحق مهما كلفه ذلك ونصرته بكل ما أوتي من قوة وعزم ، حتى وإن تظاهر عليه الناس أو آذوه، وبعد استكمال هذه الصفات يبين الإبراهيمي أهم وسيلة يحقق بها العالم الديني هذه القيادة الجليلة، وهي "أن يبدأ بنفسه في نقطة الأمر والنهي ، فلا يأمر بشيء مما أمر به الله ورسوله حتى يكون أول فاعل له، ولا ينهى عن شيء مما نهى الله ورسوله عنه حتى يكون أول تارك

¹ المصدر السابق، ج4، ص109

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

له... كل ذلك ليأخذ عنه الناس بالقدوة والتأسي ، أكثر مما يأخذون عنه بوساطة الأقوال المجردة والنصوص اللفظية، لأن تلاوة الأقوال والنصوص لا تعدو أن تكون تبليغا... أما جر الناس إلى الهداية بكيفية تشبه الإلزام فهو في التفسيرات العملية التي كان المرشد الأول يأتي بها في تربيته لأصحابه، فيعلمهم بأعماله أكثر مما يعلمهم بأقواله لعلمه وهو سيد المرسلين بما للتربية من الأثر في النفوس. " ¹ فالعالم الديني ينبغي أن يطابق قوله عمله، فلا يحسن به أن يأمر الناس بما لم يفعله هو، حتى يتم به الاقتداء والاتباع، وأكثر ما يستلزم ذلك هو الأفعال التي يراها الناس مجسدة فيه لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان القدوة لصحابته بأفعاله أكثر من أقواله، ومثال على ذلك ما ذكره الإبراهيمي في حديثه عن صلح الحديبية حين أمر صحابته أن يعملوا، فترددوا رغم علمهم بأنه رسول الله الذي لا ينطق عن الهوى ، غير أنهم سارعوا إلى اتباعه عندما بدأ هو العمل، فالعمل هنا كان أكثر محفز لهم على الاتباع من القول، وهذا أنموذج بسيط على تعليمه -صلى الله عليه وسلم- لصحابته بالأفعال وهو ما ينبغي على العالم الديني فعله وتطبيقه في ميدانه والعلماء الأوائل كان لهم "سلطان على الأرواح، مستمد من روحانية الدين الإسلامي وسهولة مدخله إلى النفوس، تخضع له العامة عن طواعية ورغبة، خضوعا فطريا لا تكلف فيه، لشعورها بأنهم المرجع في بيان الدين، وبأنهم لسانه المعبر حقا عن حقائقه، والمبين لشرائعه، وبأنهم حراسه المؤتمنون على بقاءه، وبأنهم

¹ المصدر السابق، ص 109-110

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الورثة الحقيقيون لمقام النبوة.¹ فكانوا قوامين على الكتاب والسنة، يحكمون بما جاء فيهما في

الدين والدنيا، يمشون على صراطهما وكانت لديهم سلطة حتى على الحكام الذين كانوا

بدورهم يرجعون إليهم فيما ينفع الناس في دينهم ودنياهم ، و"بقي العلماء ظاهرين على

الحق، يتولون القيادة الحقيقية للأمة في غير ما يمس السلطان المادي الزائف، وكانوا أيقاظا

لكل حدث يحدث في الإسلام، وكانوا كلما رأوا شبح بدعة خفوا إلى إزالتها، وكلما أحسوا

بضلالة ومنكر في الدين بادروا إلى تغييره بالفعل والقول .² لكن مع تطاول الزمن لم تعد

للعلماء المكانة العظيمة تلك ولا القيادة الروحية للأمة ، لأنهم استبدلوا الذي هو أدنى بالذي

هو خير، وكل ذلك كان سببه الحكام الذين ما فتئوا يكيّدون لهؤلاء العلماء حتى يبعدهم

عن مكان القيادة للأمة ، كما جاء على لسان الإبراهيمي : "لم يزل أمراء السوء يكيّدون

للعلماء حتى زحزحوهم -مع تطاول الزمن- عن مكان القيادة الروحية للأمة، وصرّفوهم عنها،

واستبدلوا بهم في استمالة الدهماء والعامّة قادة لبسوا لبوس الدين ليغروا باسمه، وزهدوا في

العلم إذ ليسوا من أهله، واستمدوا قوتهم من قوة الأمراء... واستنامت الأمة على الهدهدة

باسم الدين، وعلى الاغترار بما يزينون لها من الجهل، وما يقبحون لها من العلم، وما يقربون

لها من طرق الجنة، وهم في ذلك كله لا يقربونها إلا بما يبعدها عنه من بدع ومحدثات ،

والعلماء في هذه المرحلة غافلون يغطون في نومة أربت في الطول عن نومة أصحاب الكهف

¹ المصدر نفسه، ج3، ص308

² المصدر السابق، ص309

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والرقيم.¹ هكذا استبدل هؤلاء العلماء مكانتهم القائدة بدور ذليل مهان ، ورضوا بذلك،

فبعد أن كانوا متبوعين أصبحوا تابعين لا هدف لهم إلا إرضاء حكامهم ، يتساقطون على

فتات موآئدهم لينالوا رضاهم "وشعر أولئك المبتدعة بتهور العلماء للمطامع الخسيسة

وسقوطهم على المطاعم الخبيثة ، فقآدوهم بزمامها، ثم شعروا بإقرارهم للمهانة والذل في

نفوسهم، فأمعنوا في تحقيرهم وإغراء العامة بهم، وأهان العلماء أنفسهم، فسهل الهوان عليهم،

فأصبحوا أذل من وتد بقآع، وصاروا عبيداً وخوآلاً لهؤلاء المبتدعة الضآلل، يعيشون عآلة

عليهم ويتساقطون على فتات موآئدهم، ويتطوعون لهم حتى بأخس شهواتهم، ويشهدون لهم

الزور على الله ودينه، ويحلّون لهم من اللذآئذ ما حرّم الله، وعلى هذه الحآلة أدركنا عصرنا

وأهل عصرنا، والشرب مشوبٌ من قديم، ولكن آخر الدن دردي *.² كل ذلك جعل

الإبراهيمي يثور هذه الثورة ضد هؤلاء العلماء الذين تخلوا عن دورهم في الإصلاح والدعوة

إلى الحق، "وألقوا بالمقآدة إلى من يضل ولا يهدي من المشعوذين الدجالين، فأضلوها عن

سواء السبيل ومكنوا فيها للدآء الوبيل"³ لكن الله تعالى لم يشأ لهذه الأمة أن تبقى رآكدة

بركود هؤلاء الذين ينتسبون للدين وهو منهم براء، تتقآذفها البدع والضآلات التي لآبست

الإسلام فأفسدته، وإنما أنبت لها من رحمها علماء أكفاء ، عآهدوا الله على تبيان الحق

والعودة إلى منابعه الصآفية "وإن ذلك في صميمه ما تقوم به جمعية العلماء المسلمين

¹ المصدر نفسه، ص309-310

² المصدر السابق، ص310

³ المصدر نفسه، ص310

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الجزائريين، في دعوتها وعملها الإصلاحيين، وإنها لا تفتأ جاهدة في الإصلاح الديني حتى تؤدي أمانة الله منه، وتبلغ الغاية من إقراره في النفوس، وتمكينه في الأفئدة، وقد بلغت دعوتها للمقصورات في خدورهن، وللرحل في قفارهم، وللبداة في بواديهم، وللحضر في نواديهم، حتى أصبحت آثارها بادية في العقول والأفكار والإرادات، وقد رجع للقرآن بعض نفوذه وسلطانه، وحثته وبرهانه، وللسنة النبوية مكانها علما وعملا، وللعلماء المصلحين قوتهم في التوجيه، ومكانتهم في التدبير، وقدرتهم على القيادة.¹ والحمد لله على ذلك كله.

1-3: إحياء الدين الإسلامي في النفوس: بعد تحرير العقول من الضلالات والأوهام ،

وإصلاح علماء الدين فإن المهمة العظمى التي استشعرها الإبراهيمي ووقف مشروعه الإصلاحية عليها ، هي إحياء الدين الإسلامي في نفوس المسلمين وتصحيح العقيدة الإسلامية في فكرهم لأنهما أساس متين لقوة المسلمين وعزتهم ، والسر في ذلك أن الدين الإسلامي " دين فطري روحي، يحمل في طياته نهاية الكمال الإنساني، وأن أصوله بنيت على حكمة من خالق الحكمة ، فتجد في عقائده غذاء العقل ، وفي عباداته تزكية النفس ، وفي أحكامه رعاية المصلحة، وفي آدابه خير المجتمع، وإن دينا يأخذ من شرطه التخلق بالأخلاق الشريفة، ويعمد إلى الأرواح مباشرة فيغرس فيها أصول الفضائل الإنسانية ، ويعمد إلى الحيوانية فيهدب في حواشيتها، ويكسر من حدتها، ويفل ما فيها من شره وشراسة، ويعمد إلى ما بين المستضعفين والمستكبرين من حاجز وفروق فيجعلها جذاذا، لحقيق بأن ينتظم تلك

¹ المصدر السابق، ص311

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الأمم ومثلها معها.¹ والاحتلال الفرنسي عندما دخل الجزائر كانت له مطامع تجاوزت الحدود، لأنه أراد جعلها امتدادا لفرنسا في الدين واللغة والهوية والحضارة .. ولذلك كانت حربه مركزة على الدين الإسلامي ، وحتى تبلغ مقاصدها في هذه الحرب "صنعت على عينها من الطريقة علماء يبشرون بلن هذا الذي صنعه وتصنعه فرنسا بالجزائر هو قضاء الله وقدره -لأنه لا يقع في ملكه إلا ما يريد- متجاهلين أن الإسلام يميز في قضاء الله بين القضاء التكويني الحتمي ، قال تعالى: { فقضاهن سبع سماوات في يومين وأوحى في كل سماء أمرها }² .. وبين القضاء الذي معه حرية وإرادة وتخيير {وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه }³ ومتجاهلين أن الاستعمار الظالم حتى لو تجسد في أرض الواقع فإنه لا يمكن أن يكون قضاء إلهيا حتميا نسلم به ونستسلم له ، وإنما هي سنن التدافع بين الحق والباطل التي لا بد من مجابقتها ومجاهدتها كي لا تفسد الأرض بما صنع الظالمون } ولو لا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكن الله ذو فضل على العالمين {⁴ 5 فكان الهدف من هذه الطريقة التي صنعتها فرنسا ورعتها وغدتها بالإفساد ، هو زعزعة الشخصية الإسلامية وبث الهزيمة في نفوس المسلمين حتى لا يقوموا بواجب الجهاد ضد الاستعمار ، لذلك كان إحياء الدين الإسلامي هو سبيل الإبراهيمي ورواد الجمعية لانتزاع هذه الطرق الفاسدة ، واشتدت

¹ المصدر نفسه، ج1، ص108

² سورة فصلت، الآية 12

³ سورة الإسراء، الآية 23

⁴ سورة البقرة، الآية 251

⁵ محمد عمارة، مرجع سابق، ص34-35

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

في محاربتها لشدة خطرهما وكبر أثرهما في العقول والنفوس "فكان من الحكمة أن تبتدئ الجمعية بتطهير النفوس من هذه الرذائل، وأن تجعل من صرخاتها عليها نذيرا للناشئة أن تتلطف نفوسهم بشيء من أضرارها، وأن تكون دروس رجالها مؤدية لغرضين: لغرض الإصلاح العلمي بأسلوبها ولغتها ومناهجها ونوع كتبها، ولغرض الإصلاح الديني بمعاييرها ومواضيعها، حتى إذا تهيأت لها الأسباب لدراسات منظمة في مدارس منظمة وجدت نفسها وقد فرغت من وسيلة هي من أعضل الوسائل وأعصاها على العلاج، وهي إعداد النفوس لانطباع الملكات العلمية الصحيحة فيها."¹

1-4: الثورة على الجمود في الفقه :

لقد كان للإبراهيمي يدا بيضاء في تصحيح مسار الجزائريين، والعودة بهم إلى تعاليم الدين الإسلامي، وتصحيح العقيدة في نفوسهم بعد أن تخطفها يد المبتدعة، وأبعدت هذه الطرق الضالة الشعب المغلوب على أمره عن معالم الإسلام الصحيح، فجاءت دعوة الإبراهيمي التي سعى من خلالها إلى الرجوع إلى منهج الرسول -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، أي إلى الحكم بكتاب الله وسنة نبيه الكريم ونبد الفرقة والشقاق، لأنها معاول هدم أعمالها أعداء الإسلام لتفريق المسلمين وتمزيقهم لكي لا يقوموا بدور الجهاد وإزالة آثار الاحتلال من هذا الوطن السليب، بعد ذلك التفت الإبراهيمي إلى معالجة الأسباب الكامنة وراء هذا الابتعاد والتفرق الذي عرفه المسلمون، فقاده بحثه إلى أن السبب من وراء ذلك " هو هذه العصبية

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص145

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

العمياء التي حدثت بعدهم للمذاهب، والتي نعتقد أنهم لو بعثوا من جديد إلى هذا العالم لأنكروها على أتباعهم ومقلّديهم، وتبرأوا إلى الله منهم ومنها، أنها ليست من الدين الذي أوتمنوا عليه، ولا من العلم الذي وسعوا دائرته." ¹ إن العصبية العمياء التي تحدث عنها الإبراهيمي هي التي نمت وترعرعت مع وجود المذاهب الفقهية على مر التاريخ الإسلامي "وقد طغت شرور العصبية للمذاهب الفقهية في جميع الأقطار الإسلامية، وكان لها أسوأ الأثر في تفريق كلمة المسلمين، وإن في وجه التاريخ الإسلامي منها لدوبا.. أما آثارها في العلوم الإسلامية فإنها لم تمدّها إلا بنوع سخيف من الجدل المكابر لا يسمن ولا يغني من جوع، ولا عاصم من شرور هذه العصبية إلا صرف الناشئة إلى تعليم فقهي يستند على الاستقلال في الاستدلال، وإعدادها لبلوغ مراتب الكمال، وعدم التحجير عليها في استخدام مواهبها إلى أقصى حد." ² وما حذر منه الإبراهيمي أيضا ودعا إلى الثورة عليه بقوة وعنق، الجمود والركود وعدم إعمال الفكر والعقل فيما يستجد من أمور سواء في الدين أو الدنيا ، فقال في ذلك : "وكان خمود وكان ركود، وضرب التقليد بجرانه ففضى على ذكاء الأذكياء وفهم الفهماء، إلى أن أذن الله للعقل الإسلامي أن ينفلت من عقال التقليد ويستقل في الفهم، وللنهضة العلمية الإسلامية أن يتبلج فجرها، ويعم نورها." ³ ومن أهم القضايا التي أخذت قسطا وافرا من فكره وجهده هي قضايا الفقه الذي تبني عليه الأمة حياتها ، والذي فقد

¹ المصدر السابق ، ص165

² المصدر نفسه، ص165-166

³ المصدر نفسه، ج2، ص251

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

فاعليته فأصبح مجرد نقل عن مذاهب فقهية جامدة دون إعمال للفكر ، وفهم للوقائع ، التي

يكون تنزيل الفقه على أساسها - أي على أساس المصلحة بما يطابق الواقع ولا يتنافى مع

الحكم الشرعي - وقد بين الإبراهيمي أن "في الفقه فقها لا تصل إليه المدارك القاصرة، وهو

لباب الدين، وروح القرآن، وعصارة سنة محمد - صلى الله عليه وسلم -، وهو تفسير أعماله

وأقواله وأحواله وما أخذه ومتاركه، وهو الذي ورثه عنه أصحابه وأتباعهم إلى يوم الدين، وهو

الذي يسعد المسلمون بفهمه وتطبيقه والعمل به، وهو الذي يجلب لهم عز الدنيا والآخرة،

وهو الذي نريد أن نحياه في هذه الأمة فتحيا به، ونصحح به عقائدها، ونقوم به فهمها،

فتصح عباداتها وأعمالها، فإن العبادات هي أثر العقائد، كما أن الأعمال هي أثر الإرادات،

وما بيني منها على الصحيح يكون صحيحا، وما بيني على الفاسد فهو فاسد." ¹ فلا بد من

فتح باب الاجتهاد في الفقه لأن النبي - صلى الله عليه وسلم - فتحه من قبل ولا أدل على

ذلك من حديث معاذ بن جبل لما أرسله النبي - صلى الله عليه وسلم - إلى اليمن ولفظه

: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما أراد أن يبعث معاذًا إلى اليمن، قال: كيف تقضي

إذا عرض لك قضاء؟ قال: أقضي بكتاب الله، قال: فإن لم تجد في كتاب الله؟ قال: فبسنة

رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: فإن لم تجد في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

؟ قال: أجتهد رأيي ولا آلو. فضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدره وقال: الحمد لله

¹ المصدر السابق، ج3، ص191

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الذي وفق رسول الله لما يرضي رسول الله.¹ فالظاهر من نص الحديث أن النبي -صلى

الله عليه وسلم - قد أقر على معاذ اجتهاده وذلك يدل على أن الاجتهاد ثابت بالقرآن

والسنة، إذ لا مجال للريب أو الشك في ذلك، وقد عاب الشيخ الإبراهيمي على أولئك

الذين حجروا على عقولهم، وركنوا إلى التقليد، وقصروا الاجتهاد على القدامى، وبذلك

"أوصدوا باب هذا الاجتهاد وأياسوا منه أهل زمانهم، مع أنه باب واسع لا يوصد، لقد

حرموه على المتأخرين زمانا، فحرموا الناس ظلما من لذة التفكير، ومتعة الانتقاد، وعدوثة

الاجتهاد، فحرموهم من خير وفير." ² ونتيجة لذلك تفوق العلماء في بوتقة من الخمود

والجمود مما سهل على العامة التعدي على حدود الله، والبشير الإبراهيمي إذ يدعو إلى

التجديد في هذا الباب -باب الفقه- فإن ذلك لا يدل على أنه يدعو إلى "نبد القديم

وطرحه، وإنما يبدأ من مدارس فقه السلف ونظرياته، وقواعده والآراء التي تصلح لتشريعات

عصرية، فينتفع به في حل المشكلات المعاصرة"³ لذلك فهو يعتبر أن الفقيه المجتهد هو الذي

يستطيع أن ينفذ إلى لب الفقه ويدرك الحكم المنطوية تحت أحكامه، وأساس ذلك هو العودة

إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة، والتراث الفقهي الكبير، والتمعن فيها بعمق

لاستخراج الأحكام التي تلامس الواقع اليوم وتوجد الحلول المناسبة له.

أبي عبد الرحمن شرق الحق العظيم آبادي، عون المعبود شرح سنن أبي داود، حققه: أبو عبد الرحمن عماد بن جابر بن

¹ علي، المجلد6، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م، ص39

² عبد الملك مرتاض، محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة،

1984، ص29

³ حسن السيد حامد خطاب، من ضوابط تجديد الفقه الإسلامي، مجلة كلية الآداب بالمنوفية، العدد61، أكتوبر

2007م، ص80

✓ فقه الواقع ومراعاة مصالح العباد :

إن الله سبحانه وتعالى شرع الشرائع والأحكام لتحقيق الخير والنفع للعباد ، قال الله تعالى : { ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين }¹ وحتى يتم هذا النفع ويتحقق لابد من إدراك عميق وفهم صحيح للواقع ومستجداته ، حتى يتمكن من تنزيل صحيح للأحكام وفق ذلك الواقع ذلك " أن من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب، وليدرسها كما يدرس الحقائق العلمية، فإذا استقام له ذلك استقام له العمل وأمن الخطأ فيه، وضمن النجاح والتمام له، فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لاتباعها ولا معرفة بدرجة استعدادها كان حظه الفشل." ² فالبشير الإبراهيمي عالج المجتمع الجزائري، وفحصه، وعرف علله وأمراضه ، وانطلق في مساره الإصلاحية من هذه المعالجة ، وهذا هو نشاط الفقيه المجدد الذي ينطلق في إصدار الأحكام من المعالجة الواقعية ، ولا ينحصر في نقطة ضيقة وذلك كله بما لا يخالف الأحكام الشرعية الثابتة إذ أن الإبراهيمي لم يكن بدعا بين العلماء المجددين الذين نزلوا إلى الواقع ، وعانوا بأنفسهم وقائعه وأحداثه لينبؤوا على أساسها أحكاما تيسر للناس مصالحهم ، بل يوجد في التراث الفقهي الإسلامي ما يستجلي ما ذكرناه حيث كان "الأئمة المجتهدين في العصر الذهبي الأول يقومون بمهمة صياغة الأحكام بما يعالج مجريات الوقائع في البيئات التي يعيشون فيها، وتبدى ذلك في بعض

¹ سورة النحل، الآية 9

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص224

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الأصول الواقعية، التي وضعوها قواعد للاجتهاد، مثل أصول المصالح المرسلّة، والاستحسان والعرف، وعمل أهل المدينة، وما شابهها.¹ وعليه فإن فهم الواقع والتغلغل في شؤون الحياة

من الرهانات التي يجب على المجدد أن يكسبها حتى يحقق مصالح الناس ولا يكون في نظر العالم "رجلا منعزلا عن العالم لا هم له إلا بما يتصل بمعيشته، وأكبر أمره بينهم أن يفتيهم في

المسائل الجزئية التي لا تتجاوز واحدا كمسائل الصلاة والصوم أو اثنين كأحكام النكاح والطلاق، أو حيا وميتا كموص ووصي، أو إنسانا وبهيمة كراع وشاة وفذاها."² والإبراهيمي

عرف عنه أنه كان له اطلاع على الفقه وأصوله بشهادة الكثيرين من معاصريه، تجلّى ذلك بوضوح في فتاويه ومناقشاته مع معاصريه في مسائل الفقه والاجتهاد، ومن هؤلاء الذين

شهدوا له بذلك، الشيخ محمد الغزالي الذي شهد له سداد الرأي وصواب الفكرة وبعد

النظر، وذلك بعد محاورة أجراها معه، يقول الشيخ محمد الغزالي: "ومن الخطأ تصور أن

الشيخ الكبير كان خطيبا ثائرا وحسب... لقد كان فقيها ذكي الفطرة، بعيد النظر، ووقع لي معه حوار في مسألتين طريفتين: وسألني مرة: ما تقول في هذه الذبائح التي تملأ ساحات من

يتحلل بها الحجاج والعامرون من مناسكهم؟ فلم أدر ما أقول، كل ما استطعت أن أجيب به أنها من شعائر الحج والعمرة، قربة إلى الله، وطعمة للفقراء، وفي الآية "ليشهدوا منافع لهم

ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا

¹ عبد المجيد النجار، في فقه التدين فهما وتنزيلا، ج1، منشورات كتاب الأمة، دط، دت، ص122

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص150

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

البائس الفقير"¹ قال ليت الحجاج يحققون هذه الغاية فيأكلون ويتصدقون ويفرح بصنيعهم البائسون الفقراء، إنهم يذبحون ويدعون ذبائحهم على الثرى لا يقرها إنس ولا وحش، فتضيع سدى وقد نهيينا عن إضاعة المال، حبذا لو وضعت خطة للإفادة من هذا الخير المبذول وتعميم النفع به.. وما تمناه الشيخ البشير الإبراهيمي نفذ بعد ثلث قرن، فقد عرفت الآن أن ما يذبح يكون بقدر حاجة الفقراء، والباقي يوجه لسد ثغرات الجوع والجفاف في أماكن أخرى.. وهذا هو الفقه الصحيح وحسن التصرف في تنفيذ أهداف الشرع الشريف." ² فعلا إن هذا الحديث يكشف بصورة واضحة ذكاء الإبراهيمي واجتهاده في استنباط الأحكام بما يتوافق مع مصالح الناس دون إخلال بالنص الشرعي..

2- التجديد في الجانب الثقافي والعلمي

بدأ الإبراهيمي نشاطه الإصلاحية في المجال العلمي التربوي والثقافي بعد أن فقدت الأمة كل مقومات الفكر الحضاري والتربوي، فدب الوهن والضعف في أوصال الأمة، واعتراها الفساد فانتشرت في المجتمع الجزائري مظاهر تدل على ذلك كالأمية، والانحلال الأخلاقي، وفساد المعتقدات، وانتشار الضلالات والخرافات والمنكرات التي كانت تروجها الطرق المنحرفة، وأهل البدع والضلال الذين تدعمهم فرنسا وترعاهم على عينها، فكانت الحاجة ضرورية لعملية إصلاحية تربوية وثقافية شاملة انطلاقا من هذه المظاهر.

¹ سورة الحج، الآية 28

² الشيخ محمد الغزالي، مع البشير الإبراهيمي في القاهرة، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص 97

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والمتتبع لمسار الإصلاح في هذا المجال عند الإبراهيمي "يجده قد تعرض إلى أهم خصائص

العملية التربوية ومقوماتها وأركانها ، وبذلك نستطيع أن نعتبره بحق رائد من رواد التربية والتعليم، وواحد من العلماء المستقلين، له نظرة تربوية سديدة، وفكر تعليمي متميز.¹ فهو لا يختلف في آرائه التربوية عن الأطروحات الحديثة في هذا المجال والتي تسعى إلى تطوير النظم التربوية والسياسات التعليمية من أجل مستقبل تعليمي أفضل وزاهر ، من أجل ذلك وضع الإبراهيمي خطة، أو منهجا متكاملا لمعالجة قضايا التربية والتعليم ، ضمنه آراءه وفلسفته في هذا المجال والتي استمدتها من التربية الإسلامية فجاءت متفقة الأهداف والغايات معها ، وهو أسمى ما كان ينشده الإبراهيمي ويسعى إليه.

1- منهج التربية والتعليم عند البشير الإبراهيمي.

اعتنى البشير الإبراهيمي عناية بالغة بقضايا التربية والتعليم إدراكا منه بحاجة الأمة إليهما لأنهما "سلم السعادة ورائد السيادة"² كما قال في إحدى خطبه ، ولأهميتهما في مواجهة الاستعمار الذي عمل على إحكام سيطرته على الشعب الجزائري بدءا من التربية والتعليم فحولهما "من عامل بناء إلى عامل هدم، ومن وسيلة إصلاح إلى وسيلة إفساد، ومن أداة تحرر إلى أداة تبعية"³ انطلاقا من هذه المعطيات ألقى الإبراهيمي كل ما في جعبته من آراء

¹ عزيز سلامي، أسس العملية التربوية ومقوماتها عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي، مجلة موافقات، مرجع سابق، ص694

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1 ص132

³ عزيز سلامي، مرجع سابق، ص697

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

ونظريات وفلسفات إصلاحية شملت المنظومة التربوية بأكملها ، فتحدث عن المعلم ومواصفاته التي تقوده إلى إنجاح رسالته التربوية، ثم تحدث عن المتعلم باعتباره محور العملية التربوية التعليمية، وعن دوره في التحصيل والاستفادة، وعن طرق التعليم وأنواعها وخصائصها التي تقود إلى الفهم الصحيح، فالعملية التربوية التعليمية في نظر الإبراهيمي ينبغي لها أن تسير في طريق التجديد وتتخلص من الطرق البدائية التي لا تبني عالماً ، ولا تكون أمةً، ولا تجدد حياةً، فكان يؤكد ويشدد في ذلك على أهمية التربية والتعليم ، ويزر أحقية الشعب الجزائري في ذلك، وقد وضع لنا الشيخ محمد الغسيري برنامج الإبراهيمي التعليمي بقوله:

"فوضع برنامجاً حافلاً للتعليم العربي بجميع أنواعه، وضمنه أصولاً عظيمة من علم التربية، وقد سألناه منذ عامين أن يجرّد لنا فصولاً عملية تتعلق بالسنوات الست الابتدائية، ففعل - حفظه الله - وسلمه لنا لنطبعه وننتفع به، وطالعناه فلم نجد كالب برامج المعتادة، وإنما هو "معلم مكتوب" فهو يأخذ بيد المعلم، ويسير به خطوة خطوة إلى الغاية، لا يضل عنها ولا يجوز، وكأنما هو "ملقن" من وراء المعلم يملي عليه الكلام، ويرشده إلى كيفية العمل لذلك أثر جماعة من قدماء المعلمين تسميته "مرشد المعلمين"¹، وبما أن منهجه حول التربية والتعليم يعتبر منهجاً متكاملًا، فإنه لم يهمل الحديث عن المؤسسات التربوية والتعليمية العاملة على رعاية الناشئة وتعليمهم ، خصوصاً أن الاحتلال استهدف في حربه على الجزائر جميع المؤسسات التربوية القائمة لخدمة الأمة، وفي معرض حديثه عن المدرسة يدعو الإبراهيمي

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج2، ص108

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الشعب الجزائري إلى الالتفاف حول مؤسساته التربوية التعليمية حتى لا يستفرد بها الاحتلال ويُعمل فيها معاوله يقول : "إن الاستعمار ينظر إلى مدارسكم بعين الغضب، فهل أنتم ناظرون إليها بعين الرضا، ومقدمون إليها ما ينشأ عن الرضا من تأييد والتفاف واستماتة في الدفاع عنها؟"¹ وسنذكر في عجالة أهم الوسائط التربوية والتعليمية التي لها دور أساسي في هذه العملية :

1-1: الوسائط التربوية والتعليمية :

أ- المؤسسة الأسرية : تعتبر الأسرة من أهم الأسس والدعائم في العملية التربوية والتعليمية ، فهي الصرح الأول في بناء الفرد والمجتمع ، و على قدر قوته وتماسكه تكون الأمة قوية و متماسكة والعكس بالعكس ، يقول الإبراهيمي : "إن البيت عند الأمم الحية هـ و أخت المدرسة، كالتلميذ بينهما يتقلب بين عاملين من عوامل التثقيف والتهديب."² لكن عند الأمم المتخلفة فإن النظرة تختلف فالبيت يصبح "ضرة للمدرسة، ما تبنيه هذه تخدمه تلك، وما تزرعه هذه تقلعه تلك ، لأن قعائد البيوت جاهلات، وقعائد البيوت قواعدها، وويل لبيوتنا من هذه القواعد ما دُمنَ جاهلات."³ وهنا إشارة إلى ضرورة

¹ المصدر السابق، ج3، ص304

² المصدر السابق، ج2، ص114

³ المصدر نفسه، ص114

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

تعليم المرأة ووجوب ذلك، للمحافظة على الأسرة من الفساد والانحلال والضعف، وهي اللبنة الأولى في بناء المجتمع.

ب-وظيفة المدرسة في التربية والتعليم : إضافة إلى الأسرة في إعداد الناشئة إعدادا يلائم إرادة المجتمع، ويغرس الفضائل في نفوسهم، لا بد من وسيط آخر يكمل ما بدأتها الأسرة في الإعداد فيشكل شخصية هذا الجيل انطلاقا من "الأخلاق والآداب والأفكار والإحساسات والاتجاهات العامة، والمشخصات الخاصة، وهي "الأمثلة" التي يرثها جيل عن جيل، ومنها يتكون مزاجه صحة واعتلالا".¹ وقد عني بها الإبراهيمي أيضا عناية بالغة لأنها ثاني مؤسسة تربوية وتعليمية ولها قدرة قوية وفعالة في تحقيق الأهداف والغايات من رسالة التربية والتعليم، وبناء شخصية المتعلم وتوجيه سلوكه وفق احتياجات المجتمع، وقد تنوعت كتاباته التي تشير إلى هذا الدور الريادي للمدرسة ولعل أبلغها أثرا قوله : "حياة الأمم في هذ العصر بالمدارس، ما في هذا شك، إلا في قلوب ران عليها الجهل، وغان عليها الفساد، وطال عليها الأمد في الرق، فصدت منها البصائر، وعميت الأبصار، فتغير نظرها في الحياة ووسائلها .. الحياة بالعلم، والمدرسة منبع العلم، ومشروع العرفان، وطريق الهداية إلى الحياة الشريفة".²

وهذه المؤسسات رغم دورها البارز والريادي في العملية التربوية والتعليمية إلا يوجد وسائل أخرى مكتملة ومؤثرة في الوقت ذاته كالمسجد، والرفاق، والمجتمع، وهي كفيلة "برعاية أبناء

¹ المصدر السابق، ج3، ص273

² المصدر نفسه، ص258

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي
الأمّة، وتحصينهم من الانحلال الديني، والانهيار الأخلاقي، وتربيتهم على الرجولة والقوة،
وتوحيد النزعات، وتصحيح الفطرة، وتقويم الألسنة، وتمتين الإرادات.¹

1-2: أسس ومقومات العملية التعليمية التربوية.

لم يغيب عن فكر الإمام أثناء معالجته لقضايا التربية والتعليم أن يبرز أهم المبادئ والأسس التي تقوم عليها هذه العملية التربوية التعليمية، والتي تنهل من التربية الإسلامية لأنها الجديرة بإنشاء جيل يستوعب هموم أمته ويحاول جهده في إيجاد حلول فاعلة لها، فالإبراهيمي أستاذ ورائد في هذا المجال ولا ينكر ذلك إلا جاحدا ناقم، وهذه الأسس والمقومات نجملها في النقاط التالية:

أ- **المعلم:** للمعلم دور كبير في العملية التعليمية والتربوية لأنه ربانها الذي يقودها إلى بر الأمان، ونظرا لهذا الدور المنوط به أولاه الإبراهيمي اهتماما بالغا وعناية خاصة، وقد برز ذلك في كتاباته العديدة من مثل قوله " أي أبنائي المعلمين: إنكم في زمن كراسي المعلمين فيه أجدى على الأمم من عروش الملوك، وأعود عليها بالخير والمنفعة وكراسي المعلمين فيه أمتع جانبا وأعز قبيلة من عروش الملوك، فكم عصفت العواصف الفكرية بالعروش، ولكنها لم تعصف يوما بكرسي المعلم." ² فالمعلم احتل هذه المكانة لثقل الدور الذي يقوم به وقد اعتبره الإبراهيمي مجاهدا يستحق أجر الجهاد لأنه يقف على ثغرة من ثغور الأمة فلا ينبغي

¹ المصدر نفسه، ج3، ص337

² المصدر السابق، ج2، ص112

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

أن يؤتى من قبله وهذا وصفه: "أما دعائم هذا البناء التي تمسكه أن يزول، وتصونه أن يختل أو يحول، فهم أشبال الغاب، وحماة الثغور، عمار المدارس، وسقاة المغارس، مربيو الجليل وأئمته، أبناؤنا المعلمون المستحقون لأجر الجهاد...ها أنتم تبوأتم من مدارسكم ميادين جهاد فاحرصوا على أن يكون كل واحد منكم بطل ميدان، وها أنتم خلفتم مرابطة الثغور من سلفكم الذين حملوا الدين والدنيا.. فاحذروا أن تؤتى أمتكم من ثغرة يقوم على حراستها واحد منكم."¹ ثم يذهب الإبراهيمي إلى أبعد من ذلك حيث يحمل هؤلاء المعلمين المسؤولية أمام الله والأمة والتاريخ لخطورة الموقع الذي يشغلونه فلا ينبغي أن يقصروا في واجبهم " لأن التقصير في الواجب يعد جريمة من جميع الناس، ولكنه في حقنا يضاعف مرتين، فيعد جريمتين، لأن المقصر من غيرنا لا يعدم جابرا أو عاذرا، فقد يغطي على تقصيره عمل قومه أو حكومته... أما نحن فحالنا حال اليتيم الضائع الجائع إذا لم يسع لنفسه مات، فإذا قصرنا في العمل لأنفسنا ولما ينفع أمتنا ويرفعها، فمن ذا يعمل لها؟"² فالمعلم قائد في ميدان جهاد، فعليه أن يحسن ما هو موكول له من التربية والتعليم، ولا يتأتى له ذلك إلا بمجموعة من الشروط التي لا بد له أن يملكها في نفسه، ومع تلاميذته نجملها في ما يلي:³

✓ الإيمان بقيمة العلم والمعلم وشرفهما في الأمة.

✓ الأخلاق الفاضلة والقُدوة الحسنة.

¹ المصدر السابق، ج3، ص262

² المصدر نفسه، ص263

³ عزيز سلامي، مرجع سابق، ص715

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

✓ الاستزادة من العلم.

✓ الكفاءة العلمية والأخلاقية.

✓ الصبر على الشدائد والمكاره.

✓ العطف على المتعلمين والتحبب إليهم ورعايتهم وسياستهم بالرفق والإحسان.

✓ دراسة ميول الأطفال وقدراتهم ومحاولة إصلاح الفاسد منها.

✓ الابتعاد عن أسلوب الترهيب والتخويف والعنف واستبداله بأسلوب الترغيب

والتحفيز لأثره الإيجابي على الطفل.

كانت هذه جملة من الشروط التي رآها الإبراهيمي ضرورة ليلبغ المعلم شرف المهنة ، ويخلق التوازن والرغبة في نفوس المتعلمين للإقبال على العلم والمعرفة ، وهنا يحقق التعليم أهدافه وغاياته.

ب- المتعلم: هو محور العملية التعليمية التربوية، والركن الأساسي فيها، لذلك لم تقلّ عنايته من قبل الإمام عن المعلم ، بل كانت أشد وأعمق ، ويؤكد على ذلك بقوله: "إنكم يا أبناءنا مناط آمالنا، ومستودع أمانينا، نعدكم لحمل الأمانة وهي ثقيلة، ولاستحقاق الإرث، وهو ذو تبعات وذو تكاليف ، ومنتظر منكم ما ينتظره المدجج في الظلام من تبشير الصبح." ¹ فهؤلاء الطلاب هم الرجاء والأمل الوحيد لهذه الأمة لينيروا لها الدروب المظلمة ، ويجرروها من رقة هذا الاحتلال الظالم ، لذلك وجب الاهتمام بهم من المراحل الأولى بالتربية والتوعية

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص201

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والتثقيف، انطلاقاً من استعداداتهم وقدراتهم للوصول إلى النتيجة المرغوبة ، فهم أمانة في أعناق المعلمين تستوجب أدائها على أكمل وجه وأحسن صورة ، وبيان ذلك قوله : "إنهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم، سلمتهم إليكم أطفالاً لتردهم إليها رجالاً، وقدمتهم إليكم هياكل لتنفخوا فيها الروح، وألفاظاً لتعمروها بالمعاني، وأوعية لتملئوها بالمعرفة."¹ هكذا اعتنى الإبراهيمي بالجليل الناشئ وعمل على إعداده على خير طريقة تصقل فكره وعقله ولسانه وتصحح نظرتة للحياة ، وتسدد نظرتة إليها، فينفع نفسه ويجرر وطنه، ويكفي الجزائر فخراً به..

ج-المادة العلمية: أو المحتوى العلمي الذي يقدم للمتعلم ، هو الآخر لم يغفله الإبراهيمي

وهو الأساس في العملية التعليمية ، ولذلك حرص الإبراهيمي على انتقاء هذه المادة انتقاء جيداً يرتقي بالمعلم والمتعلم على السواء، ويبني على أساس متين صحيح، والأساس المتين هو القرآن الكريم "فالقرآن القرآن تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد والدين والأخلاق .."² وحتى يتسع الفهم والإدراك لدى الطالب وجب عليه الإكثار من قراءة الكتب السهلة المبسطة والنافعة في شتى المعارف والعلوم كالتاريخ والأدب والحكمة والأخلاق والتربية.³ كما حرص الإبراهيمي أن يكون التعليم مسائراً للعصر حتى يتم النفع وتعم الفائدة، فيقول في ذلك : "والأمة تريد تعليماً عربياً

¹ المصدر نفسه، ص161

² المصدر السابق، ص204

³ المصدر نفسه، ص203

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

يساير العصر وقوته ونظامه، لا تعليماً يحمل جرائم الفناء، وتحمله نذر الموت.¹ فالعالم يتجدد ويتغير، والأفكار تتنوع وتتمايز، فلا بد للتعليم أن يواكب ذلك كله لتخريج جيل من الشباب متشبث بتاريخه وهويته وانتمائه، ومتشبع بنور العلم والمعرفة ليعيد مجد أمته دون ذوبان أو انغلاق..

1-3: طرق التربية والتعليم: إن نجاح أي منظومة تربوية لأي دولة كانت موقوفة على نجاح

الطرق التي تؤدي بها برامجها ومقرراتها التعليمية، وقد بالغ الإبراهيمي في حرصه على أن تكون طريقة التعليم بنفس جودة المادة العلمية المقدمة، لأنها الأساس في توصيلها إلى أذهان التلاميذ، فلطريقة المثلى في نظره لا تكمن في تكديس المعلومات وحشو الدماغ بزخم كبير من الأفكار التي سينساها بالسرعة التي تعلمها بها فطريقته "ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل".² والإبراهيمي وإن لم يشر مباشرة إلى هذه الطريقة لكننا نجد لها مبعوثاً في مقالاته التي عاجلت موضوعات تربوية هادفة، ويكمن أن نخلصها في النقاط التالية:³

✓ الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، لأن الإخفاق لم يأت من قلة العلم، وإنما جاء من قلة الأخلاق.

¹ المصدر نفسه، ص 283

² المصدر السابق، ج 5، ص 280

³ المصدر نفسه، ج 3، ص 272، 271، 264

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

✓ استخدام المواهب والقدرات الفطرية من عقل وذهن وفكر وبنا مجها على أساس متين للوقوف على الحقيقة.

✓ بناء الأمور على أسبابها والنتائج على مقدماتها علما وعملا.

✓ صدق التصور، وصحة الإدراك، ودقة الملاحظة.

✓ الاعتماد على التمثيل لمعرفة الأسباب والعلل.

✓ المزج بين الجانب النظري والتطبيقي لتحقيق التوازن بينهما.

2-الأهداف والغايات من العملية التعليمية التربوية:

إن الرسالة التربوية والتعليمية هي من أنبل الرسائل التي يؤديها الإنسان خدمة للفرد والمجتمع، وإنقاذاً له من براثن الجهل والامية، فلا بد من حسن أدائها والإحاطة بأسرارها وأساليبها الفعالة التي تحقق من خلالها غاياتها وأهدافها، وعليه فإن الإبراهيمي من خلال ممارسته لهذه الرسالة لم يدخر جهده في سبيل إنجاحها لتحقيق النموذج الإسلامي فكان منه ما ذكرناه سابقاً، ويمكن أن نحمل هذه الغايات التي يريدتها الإبراهيمي من رسالته في ما يلي:

1-2 : الأهداف والغايات التربوية : عمل الإبراهيمي على توجيه المشرفين على العملية

التربوية من معلمين ومربين ومصالحين إلى الغايات التربوية النبيلة وضرورة الاهتمام بها في أدائهم لهذه الرسالة السامية ،وقد أوجزها في أوضح العبارات والمعاني قائلاً: "يا حضرة

الاستعمار، إن جمعية العلماء تعمل:

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

- ✓ للإسلام بإصلاح عقائده، وتفهم حقائقه، وإحياء آدابه وتاريخه.
- ✓ تدافع عن الذاتية الجزائرية التي هي عبارة عن العروبة والإسلام مجتمعين في وطن.
- ✓ تعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها، في موطن عربي وبين قوم من العرب.
- ✓ تعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا.
- ✓ تعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم.
- ✓ وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم وسير أعلامهم، وأجداد تاريخهم.
- ✓ وتعمل لتقوية رابطة العروبة بين العربي والعربي، لأن ذلك طريق إلى خدمة اللغة والأدب.¹

والمجال لا يتسع لذكر كل المقالات التي ضمنها توجيهاته التربوية، ونصائحه الرشيدة التي صاغها بقدرته الفائقة في مجال التربية والتعليم والتي أبان فيها بوضوح الأهداف والغايات من العملية التربوية والتي استمد أصولها من التربية الإسلامية فجعلها من روحها وسماتها.

2-2: الأهداف والغايات التعليمية: إن التعليم عند الإبراهيمي لا يعتبر عملية هامشية لا

اعتبار لها سوى ملاً الأذهان بالمعارف والمعلومات، وإنما هي رسالة حضارية فعالة تهدف إلى:

أ- إعداد الفرد للحياة²: هي من أهم الأهداف التي سعى إليها الإبراهيمي وعمل عليها

كثيراً، فهو يريد أن يعد جيلاً مكتملاً من جميع الجوانب سواء الدينية والأخلاقية والثقافية

¹ المصدر السابق، ص 62

² عزيز سلامي، مرجع سابق، ص 706

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والسياسية والاجتماعية والاقتصادية، ولعل أهم المراحل في اكتمال الفرد وبلوغه هذه المنزلة هي التعليم الابتدائي يقول في ذلك: "مراحل التعليم الابتدائي هي -الأصول -مراحل التكوين الأول للناشئة، وعلى أساسها يبنى مستقبلهم في الحياة، فإذا كان هذا التكوين صالحا كانوا صالحين لأمتهم ولأنفسهم، وإن كان ناقصا مختلفا زائفا بنيت حياة الجيل كله على فساد، وساءت آثاره في الأمة، وكانت الأمة أصلح لها وأسلم عاقبة." ¹ فهذه المرحلة من مراحل التعليم هي التي تبني الفرد قوة أو ضعفا لذلك ينبغي أن يكون الإعداد قائما على المزج بين العلم والعمل لأنه لا فائدة في علم لا يقود إلى عمل وسلوك واضح..

ب-التربية السلوكية قبل التعليم²: ركز الإبراهيمي على أهمية التربية السلوكية في حياة الفرد والمجتمع، لأنها السبيل إلى الارتقاء والترفع عن الشهوات والملذات التي تعيقه وتصرفه عن أداء واجباته على وجه أكمل، ولذلك "اعتبر أن تعديل السلوك أو تغييره مبدأ هام من المبادئ الأساسية التي لا بد أن يسير عليها أي عمل تربوي سليم." ³ فالتربية الصحيحة هي التي تهتم بالتقويم السلوكي والأخلاقي قبل البدء في تلقين المعارف والمعلومات، فالضرر لا يأتي الأمة من قلة علمها، بل يأتيها من إخفاقها في الجانب الأخلاقي، وهو ما أكد عليه الإبراهيمي في قوله: "لا يضركم ضعف حظكم من العلم، إذا وفر حظكم من الأخلاق الفاضلة، فإن أمتكم في حاجة إلى الأخلاق والفضائل، وإن حاجتها إلى الفضائل أشد وأؤكد من حاجتها

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج2، ص109

² عزيز سلامي، مرجع سابق، ص707

³ المرجع نفسه، 709

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

إلى العلم، لأنها ما سقطت هذه السقطة الشيعة من نقص في العلم ، ولكن من نقص في الأخلاق.¹

ج- توحيد منهج التعليم : كان جهد الإبراهيمي في مجال التعليم منصبا على إعداد الفرد إعدادا يخرج به إلى فضاء أوسع وأرحب من الحيز الفكري الضيق الذي عاش فيها فشقي به، ولعل النجاح في هذا الجهد "لا يتم إلا بتوحيد منهج التربية والتعليم، ولا يتم توحيد المنهج والبرنامج إلا بتوحيد الإدارة، ولا يتم توحيد الإدارة إلا بتوحيد الإشراف العام، درجات متلازمة سبقتنا بها الأمم التي بنت حياتها على تجربة النافع والأخذ بالأنفع، فقطعت الأشواط البعيدة في الزمن القريب." ² إذن فالعملية تتطلب التغيير، والتغيير هنا يكمن في توحيد الأفكار والآراء والاجتماع تحت راية واحدة، لأن النجاح يأتي من الاتحاد، أما التفرق لا يورث إلا ضعفا وخسارة.

3- الثقافة والمثقفين في فكر الإبراهيمي.

في الوقت الذي كانت فيه السياسة الفرنسية تحاصر كل محاولة للنهوض بالثقافة العربية الإسلامية، كان الإبراهيمي يؤمن إيمانا عميقا باستعادة هذه الثقافة ومكانتها اللائقة، فعمل مع جمعية العلماء المسلمين على بعث حركة تربوية وتعليمية تجديدية، تنهض بالجيل الناشئ وتبلغه إلى مرافئ النهضة والرقي، كما عمل على النهوض بالجانب الإعلامي عن طريق

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص268

² المصدر السابق، ص275

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

تطوير الصحافة، واستحداث صحف ومجلات تعالج مختلف القضايا التي يعيشها الشعب الجزائري، أو القضايا التي يعيشها الشعب العربي في الضفة الأخرى، أما الثقافة والمثقفين فكان لهما نصيب وافر في فكر الإمام، وكيف لا يكون ذلك وقد أتى في ميدانها بكل عجية! فقد تحدث عن وضع الثقافة والمثقف وعن الآفات والعيوب والنقائص التي طال العهد بسكونها وركونها، فاستنامت الأمة على موتها، وها هو الإبراهيمي يعيد تفعيل دور الثقافة والمثقفين في نشر الوعي وتطوير المجتمع، ويذكر المثقفين بواجبهم اتجاه الأمة، لأن الثقافة في اللسان العربي تعني "التقويم وإزالة الاعوجاج"¹ والمثقف في نظر الإبراهيمي هو "الرجل المهذب المستنير الفكر، الجوهر العقل، المستقل الفكر في الحكم على الأشياء، الجاري في تفكيره على قواعد المنطق، لا على أساس التخريف، المطلع على ما يمكن من شؤون العالم وتاريخه، الملم بجانب من معارف عصره."² وعلى هذا الاعتبار فإن المثقفون في الأمة "هم خيارها وقادتها وحراس عزها ومجدها، تقوم الأمة نحوهم بواجب الاعتبار والتقدير، ويقومون هم لها بواجب القيادة والتدبير."³ فهذه المكانة العالية التي يضطلع بها المثقفين في الأمم الحية تجعل مهمتهم أصعب وتستلزم اهتماما واستعدادا أكبر، لأن حاجة الأمة إليهم أشد في جميع أحوالها في أيام السلم والحرب على السواء، "تحتاج إليهم في أيام الأمن لينهجوا لها سبيل السعادة في الحياة ويغذونها من علمهم وآرائهم بما يحملها على الاستقامة

¹ المصدر السابق، ج 2، ص 125

² المصدر نفسه، ص 125

³ المصدر نفسه، ص 126

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والاعتدال، وتحتاج إليهم في أيام الخوف ليحلوا لها المشكلات المعقدة ويخرجوها من المضائق

محفوظة الشرف والمصلحة.¹ لذلك وجب على المثقف أن يجوز على جميع المعطيات التي

تؤهله لأداء واجبه حتى ينجح في مهمته وهذه المعطيات ، هي "إصلاح أنفسهم قبل كل

شيء كل واحد في حد ذاته ، إذ لا يصلح غيره من لم يصلح نفسه ، ثم إكمال نقائصهم

العلمية واستكمال مؤهلاتهم الثقافية حتى يصلحوا لتثقيف غيرهم ، إذ ما كل مثقف يكون

أهلاً لأن يثقف." ² فلا بد لهم من تقويم أنفسهم وإصلاح عيوبهم حتى يصلحوا غيرهم ، ثم

الاهتمام الواسع بالقراءة والاطلاع حتى يدعموا قدراتهم في أداء مهامهم.

ثم يدعو الإبراهيمي المثقفين في الجزائر إلى تفعيل دور الثقافة العربية الإسلامية الحقيقية ، التي

تدعو إلى فهم الواقع ومستجداته ، وضرورة مواكبتها مع الحفاظ على الأصالة والتراث،

وتوجيه الشباب الجزائري نحوها حتى لا يقع في المضار والمفاسد الناجمة عن التآثر السلبي

بالثقافة الغربية، فالجزائر تتجاذبها ثقافتين مختلفتين، "ثقافة إسلامية أساسها دين الأمة،

وقوامها اللسان العربي، وثقافة أوروبية أساسها أطراح الأديان ، وقوامها اللسان الفرنسي"³

وبين هاتين الثقافتين المختلفتين ، ضاع الشباب الجزائري فواقع الثقافة العربية الإسلامية جهل

¹ المصدر نفسه، ص126

² المصدر السابق، ص126

³ المصدر نفسه، ص126-127

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وجمود وركون، وواقع الثقافة الأوربية انحلال وبعد عن الدين وأخلاقه، فأصبحت الثقافة بينهما عديمة الفائدة، فتقلب الحقيقة ويصبح المثقفون دعاة إفساد واعوجاج.¹

4-الحركية والتفاعل بين الحضارات: من الركائز التي اعتبرها الإبراهيمي ضرورية في عملية

التجديد هي الحركية والتفاعل والتواصل بين الحضارات بما يخدم الأمة الجزائرية الإسلامية ، ويخرجها من دائرة الجمود والركود والركون ، إلى تحقيق الفاعلية في المجتمع ، والحضارة العربية الإسلامية لا ينكر أحد فضلها على الإنسانية جمعاء ، لأن بعض الغربيين تعالت أصواتهم في نسبة المدنية إليهم واحتكارها لأمة دون أمة ، وهذا ما بينه الإبراهيمي في قوله : "وهذه المدنية التي تردد لفظها الألسن ، ويصطلح المؤرخون على نسبتها إلى أمم مختلفة ، ويميزون بينها بطوابع خاصة ، ويشتد المتعصبون في احتكارها لأمة دون أمة كأنها خلقت معها ، أو كأنها ذاتية لها، هي في الحقيقة تراث إنساني تسلمه أمة وتأخذه عن أمة ، فتزيد فيه أو تنقص منه بحسب ما يتهيأ لها من وسائل ، وما يؤثر فيها من عوامل ، وخير الأمم وأوفاهها للمدنية ، هي الأمة التي تقوي الجهات الصالحة في المدنية ، وتكمل النقائص الظاهرة فيها، وتسعى في نشرها وإشراك الناس كلهم في خيراتها ومنافعها." ² لذلك سعى الإبراهيمي إلى التصدي لمثل هذه المزاعم وأصحابهم ، فأوسعهم فضحا وتعرية ، وبين أن المدنية شاركت في صنعها جميع الحضارات الإنسانية، فكل أمة لها نصيب من ذلك غير أن هؤلاء المحتكرين أدخلوا عليها

¹ المصدر نفسه، ص127

² المصدر السابق، ج1، ص374

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

بعض الإضافات والتحسينات ، وطبعوها بما يقتضيه العصر ، وانتحلوها لأنفسهم جملة وتفصيلا، غير أن البحث في مخلفات الحضارات القديمة ، فضحت هؤلاء المحتكرين وقضت على غرورهم.¹ والحضارة العربية الإسلامية تعترف بفضل الحضارات الأخرى ، وتدعو إلى التواصل والانفتاح على الأمم والشعوب الأخرى ، وذلك بإرشاد من القرآن "فكان هذا الإرشاد القرآني حفزا إلى التنقيب عن آثار هذا التنبيه القرآني أن تفتحت أذهان المسلمين إلى دراسة هذه المدنيات واقتباس النافع منها، وكان من فضل القرآن على العالم أنه أبقى بهذا الإرشاد على علوم كادت تدرس ، وعلى آثار مدنيات كادت تنطمس."² على أن التعاطي مع هذه الحضارات ينبغي أن يكون مدروسا، إذ لا يمكن أخذ كل ما جاء في هذه الحضارات بعثها وسمينها، صالحها وفاسدها، وإنما يجب أن يكون هناك دراسة وتحليل وفحص وحسن تبصر وروية وتجاوز للتقليد الأعمى ، والانفلات الذي تخسر به الأمة ثوابتها وأصالتها "ويعتمد مقدار تقدم المجتمعات على مستوى تواصلها الواعي مع الحضارات الأخرى، فكلما كان تواصلها مستمرا على الاستفادة من إيجابيات الآخرين، كلما كانت أكثر قدرة على تحقيق النمو الحضاري المطرد، ولهذا فإن الرصيد الإنساني الحضاري ما هو إلا محصلة عطاء روافد الحضارات المتعددة ، بل المفروض أن حضارة أي مجتمع إنما تثري نفسها بالاحتكاك والتفاعل مع الخصوصيات الحضارية للمجتمعات الأخرى."³ فالبشير الإبراهيمي كان يرى

¹ المصدر نفسه، ص374

² المصدر السابق، ص376

³ مرتضى معاش، الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد، مجلة النبأ، العدد56، محرم 1422 هـ/2001م

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

في الانفتاح والتواصل والتفاعل الإيجابي مع الحضارات الأخرى ، سبيلا لبناء الحياة في اتجاه مستقيم يكرس الفاعلية والتنافس الحركي والاستفادة الإيجابية.

3- التجديد في الجانب الاجتماعي

من الجوانب التي شملها مشروع الإبراهيمي التجديدي، الجانب الاجتماعي الذي لم يكن يقل سوءا وبشاعة عن غيره من الجوانب التي مسها الإصلاح، فالمجتمع الجزائري كان يعيش مأساة حقيقية يديرها الاحتلال الفرنسي، لذلك كان السعي الدؤوب للإبراهيمي نحو الإصلاح الاجتماعي بمعناه السديد والسليم والجذري ، والذي لا يبلى أو يتزهل مع العوارض والأحداث اليومية، ولأن الفرد لا يكون صالحا في دينه بصورة صحيحة وصادقة ما لم تكن حياته الاجتماعية سالحة ومستقيمة، عمل الإبراهيمي على التركيز على هذه الناحية من الإصلاح لأنها الأساس، جاء في قوله: "والحقيقة أن هذه الجمعية تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني، والإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام وكل ذلك يسعه مدلولها، وموضوعها، وقانونها، فالإسلام دين اجتماع، وإذا كانت دائرة الأول محدودة، فإن

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

دائرة الثاني واسعة الأطراف، وأن الإصلاح لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي.¹ استطاع الإبراهيمي أن يرسم معالم الكثير من المشكلات الاجتماعية، كالفساد الأخلاقي، وواقع المرأة، والتفكك الأسري، وقضايا الزواج والطلاق وغلاء المهور، وقد وصف ذلك بقوله:

"تعاني الأمة الجزائرية وجاراتها المتحدة معها في الدين والجنس.. عدة مشاكل اجتماعية، لا يسع المصلحين إغفالها ولا السكوت عليها بعد ظهور آثارها، وتحقق أضرارها."² وذلك بحكم تعمقه في واقع المجتمع الجزائري وقراءته كما يقرأ الكتاب، كما يقول في كتاباته: "من أراد أن يخدم هذه الأمة فليقرأها كما يقرأ الكتاب، وليدرسها كما تدرس الحقائق العلمية، فإذا استقام له ذلك، استقام له العمل، وأمن الخطأ فيه وضمن النجاح والتمام له، فإن تصدى لأي عمل يمس الأمة من غير درس لآثارها، ولا معرفة بدرجة استعدادها، كان حظه الفشل."³ فلم يسع الإبراهيمي وهو يتحسس مكامن الضعف في المجتمع الجزائري، إلا أن يلتفت حول قلمه، ليعالج مشكلات مجتمعه، ويوجد لها حلول فاعلة، وهذا هو الهدف المثالي للعمل الإصلاحي.

1- قضايا الأسرة: يتفق جميع العاملين في الحقل الاجتماعي على أهمية الأسرة ومكانتها في المجتمع، ودورها في البناء والتشييد، "فهني مضغة المجتمع والحضارة، وقوة المجتمع وضعفه،

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص283

² المصدر نفسه، ج3، ص293

³ زهور ونيسي، بعض من رؤية العلامة الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص87

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وعنفوان الحضارة ووهنها، مرتبطان على الدوام بطبيعة الأسرة.¹ " وقد أدرك الإبراهيمي

أهميتها انطلاقاً من الهدي الإسلامي الذي أحاطها بحالة من القداسة من خلال النصوص

الثابتة في الكتاب والسنة، فأولاهها عناية محورية في مشروعه الثقافي والاجتماعي لأنها مرتكز

النهضة الحضارية باستمرار، لكن الواقع اليوم يحكي غير ذلك، لأن بناء أسرة أصبح من

أعزل المشاكل وأعمقها أثراً في حياة الأمة "فالواقع المشهود أن الكثير من شبابنا - وهم أملنا

وورثة خصائصنا - يعرضون عن الزواج إلى أن يبلغ الواحد منهم سن الثلاثين فما فوق،

ويترتب على ذلك أن الكثيرات من شوابنا سيتعطلن عن الزواج إلى تلك السن.² " ولعل

معالجة الإبراهيمي لهذه القضية - أي إعراض الشباب عن الزواج - قد أسفرت عن صنفين من

الشباب في رؤيتهم للزواج:

أ- صنف من المثقفين الذين تشبعوا بالثقافة الأجنبية فأشربوه، فأفسدت طبائعهم وأذواقهم

ونظرتهم للحياة، فتجد الواحد منهم يتعلل تارة بعدم استعداده للزواج وتكاليفه، وتارة أخرى

بثقافته ومنزلته التي تأبى عليه أن يتزوج أمية جاهلة، في حين أنه لا يدخر جهداً للزواج

بالأجنبية ويفضل ذلك، دون أن يقدر عواقب ذلك من انحلال وضياع للقيم، فقد آثر

الرديلة لأنها متعلمة، ورفض الفضيلة لأنها جاهلة وأمّية.³ لذلك لا بد من وجود حل ليردع

هؤلاء الشباب عن غيهم وهو "تعليم البنت تعليماً إسلامياً قوياً بروحه، قائماً بفضيلته،

¹ الطيب برغوث، بناء الأسرة المسلمة، طريق النهضة الحضارية، دار النعمان للطباعة والنشر، 2012، ص 37

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 3، ص 293

³ المصدر السابق، ص 294

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

واسعا بمعانيه، ترغم به هذا الشباب الأخرق على الرجوع إلى أصله، ولا يفيل الحديد إلا الحديد.¹

ب-وصنف ليسوا مثقفين ثقافة الصنف الأول، ولم تفسد طبائعهم وأذواقهم مثلهم، ولكنهم يتعللون بأسباب ضعيفة "ولئن سألتهم ليقولن: كيف نتزوج مع هذه الشروط المرهقة، وهذه العوائد التي تجلب الإفلاس على الأغنياء، فكيف بالفقراء مثلنا." ² وهنا قد طرح الإبراهيمي قضية أخرى لها أثرها السيئ في المجتمع، وهي المغالاة في المهور التي "أفضت بنا إلى مفسدة عظيمة، وهي كساد بناتنا، وإعراض أبنائنا عن الزواج، واندفاعهم في رذائل يعين عليها الزمان والشيطان، فعلى المسلمين أن يذللوا هذه العقبات الواقعة في طريق زواج بناتهم وأبنائهم، وأن يقتلوا هذه العوائد الفاسدة المفسدة." ³ فالإبراهيمي رصد هذه الظاهرة المتفشية وما أحدثته من أضرار في المجتمع بانتشار الرذائل والمفاسد، وحاول أن يتعرف على الأسباب الكامنة وراءها، ثم يوجد الحلول المناسبة لبعث أسرة جزائرية مسلمة صالحة.

وكما عالج الإبراهيمي موضوع الزواج الصحيح الذي يبني أسرا سليمة وفصل الحديث فيه، تحدث عن الطلاق الذي هو من شرعة الله تعالى أيضا، عندما يقف الزوج ان على طرفي نقيض من الحياة الزوجية، ويضيق أحدهما بصاحبه، فيكون استمرار النكاح نوعا من العنت،

¹ المصدر نفسه، ص 294

² المصدر نفسه، ص 294

³ المصدر السابق، ص 327

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

تتحول معه الحياة إلى بؤس وشقاء يناقض المودة والرحمة التي هي من حكم الزواج وأهدافه.¹ "فإن الله أرحم من أن يكلف عباده تحمل هذا النوع من العذاب النفسي، وهو الجمع بين قلبين لم يأتلفا، وطبعين لم يتحدا، وروحين لم يتعارفا، لذلك شرع لهما الطلاق ليسترىح إليه من ضاق ذرعا بصاحبه ضيقا معقولا بدواعيه وأسبابه."² وهنا يدعو الإبراهيمي الفقهاء إلى إعمال الفكر، والاجتهاد في أحكام الطلاق، وتبيين وجوه المصلحة والمفسدة فيها، حتى لا يستهين العامة بأمر الطلاق، ويسهل في أيديهم فتضيق بذلك بيوت عامرة، وتقطع أرحام، وتكوين فتنة، فالزواج عقدة مؤكدة، يحافظ عليها الأحرار ويتلاعب بها الفجار، وإن كانت العصمة امتيازاً للرجل العادل، فإنها خزي وعذاب للرجل الظالم.³

2- الأخوة والتعاون الاجتماعي : "لما كانت فلسفة الإسلام قائمة على فرضية الإخاء

والتكافل الاجتماعي، وتوسيع نطاقه، وتوثيق عراه، وتحريم التعادي والتباغض وفساد ذات البين، وسد كل باب يؤدي إلى ذلك"⁴ كان لزاماً على الإبراهيمي أن يركز على هذا الجانب في دعوته إلى الإصلاح الاجتماعي، ويعمل على تقويته في المجتمع، وذلك من خلال كتاباته المتنوعة والتي تكشف عن فوائد الاجتماع والتكافل الاجتماعي، وثمراته الناتجة عنه، كما في قوله: "هي ما ترونه من أعمال تعجز القوة الفردية عن إتمامها، وما ترونه من مصانع تخرج

¹ داوود بن عيسى بورقيبة، منهج القرآن في التربية، آيات أحكام الأسرة أنموذجاً، المطبعة العربية، غرداية، 1430هـ-2009م ص181

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص297

³ المصدر السابق، 298-299

⁴ يوسف القرضاوي، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981، ص159

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

المعجزات .. وما تروونه من استخراج مواهب الأرض ..، من ثمرات الاجتماع ما تقرؤونه في التاريخ من تغلب الجماعات قليلة العدد، قليلة المال على جماعات هي أكثر منها عددا وأوفى مالا.¹ من هنا اعتبر الإبراهيمي التعاون الاجتماعي سمة ضرورية في المجتمعات الإنسانية لتحقيق أهداف مشتركة، فهي مسؤولية مشتركة يتعاون الجميع لحملها، ويلتزمون بذلك ليعود على المجتمع خيرها ونفعها. " وعندما يؤدي كل واحد حق غيره ، فليست خدمته له وحده، بل هي خدمة للمجتمع كله ، وبالأخرة هي خدمة له هو في نفسه لأنه جزء من المجتمع." ² وقد بالغ الإبراهيمي في الدعوة إلى التعاون والتكافل الاجتماعي بكل ما أتيح له من وسائل وطرق ، يقول: " ودَعَوْنَا إليه باللسان في مجالس لا تحصى ، نوَّعْنَا فيها العبارات، وشرحنا الأسباب الداعية إليه من واقعة ومتوقعة، وخاطبنا بذلك جماعة من المسؤولين وذوي الرأي من أحزابنا، وتلطفنا في التحليل، فاخترنا للدعوة كثيرا من المناسبات التي يسهل معها الدخول إلى النفوس الحائرة والتأثير على العواطف الفائرة، والتغلب على النزاعات الحادة." ³ وفي هذه الكلمات إشارة إلى اقتناعه بضرورة الاتحاد والأخوة والتعاون الاجتماعي ، لأنه اقتنع أيضا بعدم وجود اجتماع منتج عندنا رغم امتلاكنا لأسباب الاجتماع ، والذي نراه واضحا عند غيرنا رغم افتقارهم لمقومات الاجتماع ، لذلك ما انفك الإبراهيمي يسوق الدلائل والبراهين على أهمية الاتحاد ، والمستمدة من الشريعة الإسلامية من نصوص قرآنية ، كقوله

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص50-51

² عمار الطالبي، آثار ابن باديس، م1، ص239

³ المرجع السابق، ج3، ص304

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

تعالى: "إن هذه أمتكم أمة واحدة" ¹ وقوله تعالى: "واعتصموا بجل الله جميعا ولا تفرقوا" ²

والتي تثبت فلسفته في ضرورة الاجتماع والأخوة والتعاون، وذلك يقتضي أن يشارك الإنسان

أخاه الإنسان في جميع لوازم الحياة سرورا وحرنا لذة وألما، مشاركة معقولة تنتهي إلى حدود لا

تتعداها، بحيث يعلم العالم الجاهل، ويرشد النبيه الغافل، ويواسي الغني الفقير، ويقع التعاون

المتبادل بين الناس في كل جليل وحقير. ³ فحقيق بهذه الأمة أن تحقق الوحدة والأخوة

والتكافل الاجتماعي وتنبذ العداوة والبغضاء والفرقة والشقاق، حتى تصبح كالجسد الواحد

لمواجهة الهزات والقلاقل، وتنهض بهذا المجتمع نهضته المنشودة.

3-متفرقات: عالج الإبراهيمي الكثير من القضايا الاجتماعية العاجلة والتي تتطلب الدقة

والتمحيص في معالجاتها، فتحدث عن وضع المرأة في المجتمع الجزائري والذي يلفه الكثير من

الاضطهاد والعنت بفعل التقاليد، والعوائد البالية التي دحرجت الوضع الثقافي والاجتماعي

للمرأة، بعد أن أنصفها الإسلام "وسلّحها بأحكام قطعية، وحماها بتشريع سماوي عادل، ولم

يكلها إلى طبائع الآباء الذين يلينون ويقسون، ولا إلا أهواء الأزواج الذي يرضون ويغضبون،

ولا إلى نزعات الأبناء الذين يبرون ويعقون، وإنما هي أحكام إلهية واجبة التنفيذ، لا تدور مع

الأهواء والعواطف والنزعات وجودا وعدما." ⁴ فعمل الإبراهيمي على تصحيح هذا الوضع

¹ سورة الأنبياء، الآية 92

² سورة آل عمران، الآية 103

³ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص57

⁴ المصدر السابق، ج4، ص361

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الخاطئ مبينا الدور الحقيقي للمرأة ، ومصرنا على أن تأخذ المرأة حقها في التربية والتعليم والتثقيف، لأن الذين سلبوا المرأة حقوقها "هدموها فهدمتهم من غير قصد في أبنائهم، وأفسدوا كوئنها، فحرموا عونها."¹

كما عالج الإبراهيمي قضايا الشباب ومكائنتهم في الأمة، وضرورة استثمارهم استثمارا فعالا وإيجابيا ينتقل به المجتمع إلى ما يصبو إليه، وقد كتب الإبراهيمي في كلمات تفيض بالبلاغة والدقة عن صورة الشاب الجزائري كما يتصوره الإبراهيمي يقول فيها: "أتمثله متساميا إلى المعالي، عرييد الشباب في طلبها، طاغيا عن القيود العائقة دونها، متقد العزمات.. أتمثله مقداما على العظائم في غير تهور محجما عن الصغائر في غير جبن، مقدراً موقع الرجل قبل الخطو، جاعلا أول الفكر آخر العمل.. أتمثله واسع الوجود، لا تقف أمامه الحدود.. أتمثله حلف عمل لا حليف بطالة، وحلس معمل، لا حلس مقهى، وبطل أعمال لا ماضغ أقوال، ومرتاد حقيقة لا رائد خيال... يا شباب الجزائر، هكذا كونوا..، أو لا تكونوا."² فكل ما يطمح إليه الإبراهيمي هو أن يأخذ هذا الشباب بزمام القوة في العلم والعمل والحياة.

كانت هذه بعض من المسائل الاجتماعية الهامة التي تصدى لها الإبراهيمي بالتحليل والمعالجة والاستنباط، بحكم انخراطه في الحياة الاجتماعية، فقد كانت له قدرة واضحة على ملامسة هموم الأمة ومشكلاتها، ثم علاجها وتقديم الحلول المناسبة لكل قضية منها، وكل ما كان

¹ المصدر نفسه، ص361

² المصدر السابق، ج3، ص509

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

يبيغيه من وراء هذا الإصلاح سوى انتظام شمل الأمة، واستقامتها على الجادة، والتمكين لها في الأرض.

4-:التجديد في الجانب الأدبي.

"عسير على من يكتب في حياة رجل كالإبراهيمي أن يفهمه حقاً، لأنه حياة متعددة النواحي، متعددة الأطراف، وقد جمع الله له من الصفات ما تفرق في غيره من معاصريه، فهو عالم وكاتب وشاعر ورجاز وراوي ومفسر ومحدث...وأصدق كلمة تطلق عليه أنه دائرة معارف إسلامية..."¹ ولكن العسر يكبر عندما نقرب منه لندرس الجانب الأدبي عنده، ذلك أن للجلال هبة عظمى، والإبراهيمي فلتة من فلتات هذا الزمان خصوصاً في الجانب الأدبي، وهو اعتراف اتفق عليه جميع العلماء والأدباء الذين اقتربوا من الإمام وعاشروه، فهو كاتب

¹ محمد العيد تاورته، مرجع سابق، ص 416

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

وأديب مبدع يسحر العقول ببيانه، ويهز القلوب بفصاحته، فهو "جاحظ عصره، وبديع زمانه، مما جعله بحق معجزة من معجزات الثقافة العربية الإسلامية، في القرن العشرين.."¹

-مجالات العمل الأدبي الإصلاحي :

أدرك الإبراهيمي أن للأدب قوة فعالة في الإصلاح، ودورا عمليا فاعلا في القضاء على المشكلات المعاصرة، ولم يكتف في نظره هذه بالكلام النظري، بل وضع استراتيجية محكمة للإصلاح الأدبي يقول في ذلك: "أسست الجمعيات الأدبية، وهي نصيرة الحقائق والأوهام والخرافات.. فكانت من أكبر العوامل في تأخي البشر، وتقرُّب الشعوب من بعضها، ومن أقوى الأسباب في غلبة الاتصال على الانفصال، والتعارف على التناكر، والوفاق على الخلاف، والاجتماع على الافتراق، بل تغلب العلم على الجهل، والحق على الباطل، والفضيلة على الرذيلة."² وقد شارك بقلمه في بناء هذه النهضة الأدبية التي "أصبحت طرازا مستقلا يُتخذ ولا يُتخذ، ليست عليه مسحة التأثير والمحاكاة، وإذا كانت ناشتتا متأثرة بالتعاليم الزيتونية، فإن ذلك التأثير لم يجاوز العلميات أما الأدبيات فلا."³ فلا نبالغ إذا قلنا أن الإبراهيمي لم يكن رائدا في بناء النهضة الأدبية في الجزائر فقط، وإنما هو الذي حقق عماد هذه النهضة وبنائها، فظهرت براعته ومقدرته الفائقة في النشر والشعر، غير أن النشركان أوفر حظا من صاحبه، فطرق من خلاله الأبواب التالية: المقالة والتي كان لها "حصّة الأسد

¹ عبد الرحمن شيبان، الإمام الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، واللغة العربية، مجلة الثقافة، ص71

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص61

³ المصدر نفسه، ص151

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

من أدبه ، وتغطي مساحة كبيرة في حقل الأدب الجزائري الحديث بفكره وكتاباتة.¹ ،
والخطابة، والرسالة.

أ- فن المقالة : برز الإبراهيمي بقوة في هذا الباب من النشر بعد توليه رئاسة تحرير جريدة البصائر في سلسلتها الثانية، فنجده يغرف من معين لا ينضب من الثقافة العربية الإسلامية الأصيلة، ليعبر عن أهم القضايا والمشكلات التي تم حياة الشعب الجزائري، فتوزعت المقالة عنده إلى ثلاثة أنواع هي :

- المقالة السياسية .
- المقالة الاجتماعية.
- المقالة النقدية.

وقد اتخذ الإبراهيمي من المقالة بأنواعها أداة للمقاومة، والتعبير عن فكره تجاه وطنه وأمتة" وعبر بها عن الفكرة الإصلاحية ، وهو في كل هذا يجمع بين العناية بالصياغة، وبين التعبير عن العاطفة والشعور المتقدم.² استطاع الإبراهيمي أن يؤثر بهذا الفن في نفوس الجماهير التي كانت تقرأ مقالاته رغم ثقل اللغة التي يكتب بها في مجتمع كان حظه من الثقافة واللغة العربية ما نعلم، ولكن "مما يبعث فينا النخوة والعزة، أن ردود فعل هذه المقالات، فاقت كل تصور في داخل الجزائر وخارجها، مما يدل على تفوق النوع الثقافي على الكمي، وهو ما

¹ محمد عباس، مرجع سابق، ص136

² عبد الله الركبي، تطور النشر الجزائري الحديث 1830-1974م، الدار العربية للكتاب، 1983، ص149

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

يمثله علماء الجزائر ومعلموها وطلابها في عهد جمعية العلماء ، وبذلك تتحقق أولى البراهين على عمق الأصالة العربية والعروبية في الجزائر .¹ وقد حقق الإبراهيمي بأدبه المقالي سبقا في تاريخ الأدب الجزائري ، فقد "عالج موضوعات السياسة والاجتماع بأسلوب الهدم والبناء والثورة والإصلاح، كما أن الأدب لم يعرف مقالات أدبية ونقدية خدمت أدب الصحافة العربية كمقالات الإبراهيمي أسلوبا وبلاغة وفصاحة."² ولعلنا في هذا المقام ندرج أنموذجا من مقالاته التي يزرع بها بذور الإصلاح مع روعة المنطق والبلاغة والحكمة، ففي معرض الرد على مزاعم الاستعمار الفرنسي أن الجزائر فرنسية، تصدى الإبراهيمي لهذا الزعم بالبراهين القرآنية الرائعة، كما في قوله: "وهذه الكلمة الدعية المملولة، التي لم يؤيدها الحق ببرهانه، ولم تضعها الحكمة في مكانها، كلمة مؤذنة باحتقارنا، جارحة لكرامتنا، طاعنة في شرفنا وديننا وتاريخنا، فهل يريد منا القوم -وقد باءوا بسوء الأدب- أن نبوء بالإغضاء عليها، والإقرار لها، والرضل بسلبها؟ هيهات هيهات لم يريدون، إننا-والله- لا نقبلها ولا نرضى بمهانتها، ولا نقرها، ولا نقصر في دحضها بأدلة الحق، ولو أن الاستعمار شرعها زجلا بالتسييح في ناشئة الليل، وجعل كفاء سماعها جزاء الأبرار، لكان في آذاننا وقر من سماعها، ولعددناها غثة مرذولة ممجوجة مملولة، ولهدينا بالفطرة إلى الطيب من القول، وهو أن الجزائر ليست فرنسية، ولن تكون فرنسية، كلمات قالها أولنا، ويقولها أخيرنا، ومات عليها سلفنا، وسيلقى الله عليها

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج1، ص8-9

² محمد عباس، مرجع سابق، ص186

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

خلفنا.¹ فما أبرع الإبراهيمي وهو يسوق إلينا هذه الدرر النفيسة من الحكمة مشاركا مجتمعه في آلامه وآماله، بقلم بديع، وأسلوب رصين، وحنة بالغة.

ب- الخطابية: للخطابة في أدب الإبراهيمي حظ وافر تستدعيه ضرورات الإصلاح الذي يعمل في ميدانه، فهي عنده "تتناول جميع نواحي الحياة العلمية، والأدبية، والفنية، والفلسفية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، والقضائية."² كما أنها تقوم من مقومات النهضة في الأمم الجديدة، كما يذكر ذلك، ولذلك لا نبالغ إذا اعتبرنا أن "الإبراهيمي يمثل النموذج الحي للخطيب العربي في الوطن العربي في العصر الحديث بشهادة مشاهير الأدباء."³ ولعل من الأسباب التي جعلت الإبراهيمي يبرز في هذه الناحية من فنون النشر ويبرع فيها، هي كثرة ارتحاله من بلد إلى آخر وهو ما يبرزه لنا في قوله: "...فإنني أجد من السهولة ومواتاة الكلام في مواقف الخطابة ما لا أجده في مواضع الكتابة، ثم جاءت العادة والمران فأحكما ذلك في طبعي، ومرد ذلك في نفسي، وفي حكمي، إلا أنني أجدني في الخطابة مأخوذا بالمغافصة * .."⁴ كما أن الدارس لخطب الإبراهيمي يجدها في مجملها يغلب عليها طابع الارتجال، لأن الإبراهيمي كما أسلفنا الذكر كان دائم الحل والترحال مما يحول بينه وبين التحضير لهذه

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر السابق، ص 349

² لبني دلندا، الفنون الثرية في آثار البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2015-2016، ص 39

³ محمد عباس، مرجع سابق، ص 189

⁴ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 4، ص 109

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

الخطب¹، غير أن قدرته على الارتجال وخبرته في هذا المجال أسهمت في إخراج خطب تهم الجماهير، وتصيب مواقع التأثير منها، وكما في فن المقال الذي خدم به قضايا أمته، كذلك كانت الخطابة عنده قائمة على هذا الهدف من الإصلاح، فتناولت هي الأخرى مشكلات المجتمع الجزائري، وعملت على علاجها والقضاء على أسبابها، فتنوعت بتنوع هذه القضايا والمشكلات، فجاءت الخطب الدينية التي يرمي من خلالها إلى إصلاح العقائد، وتصحيحها، وبت الإيمان واليقين في النفوس، وبناء الفرد المسلم الصالح في الدين والدنيا، والخطب الاجتماعية التي يناقش فيها موضوعات اجتماعية بحتة، والخطب السياسية التي يرنو من خلالها إلى الإصلاح السياسي، والخطب الأدبية التي تهتم بقضايا الفكر والأدب والثقافة، ولعلنا نورد في هذا المقام أمودجا من خطبة ألقاها بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، في حفل تنصيب أحد عشر عضوا من مختلف أقطار العروبة بتاريخ 12 مارس 1962²

يقول فيها: "أيها الإخوة الكرام، حياكم الله وبياكم، وأدامكم وأحياكم، وأقامكم للعروبة تصونون عرضها وتستردون قرضها، وللغة تجمعون شتاتها، وتحيون موتها، وترعون -على تجهم الأحداث وسفه الوراثة -متاتها، ولهذا المجمع تعلقون بنيانه، وترفعون على العمل النافع أركانه.. إن هذه اللغة العربية الشريفة التي طرفنا خيالها المؤوب، ثم أسمعنا داعيها المثوب، فاجتمعنا على بساطها اليوم من جميع أقطار العروبة.. هي الرحم الواصلة بيننا، وهي اللحم الجامعة لخصائصنا وآدابنا.. فمن بعض حقها علينا أن نحف لنجدتها، كلما مسها ضرر، أو

¹ محمد عباس، مرجع سابق، ص 187

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج 5، ص 292

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

حزبها أمر .. وإنَّ ما قمتم به اليوم من هذا الاستقبال المتهلل واللقاء المرحب المؤهل بإخوانكم، أعضاء المجمع الجدد هو فن جميل من البر بالعربية في أبنائها ، يرضي الله الذي اصطفاها ترجمانا لوحيه، ويرضي محمدا صلى الله عليه وسلم الذي أدى بها أمانة الله ..¹ فهذه الكلمات التي أوردناها من خطبة طويلة ألقاها بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، تبرز امتلاك الإبراهيمي لمقاليده اللغة والبيان ، مما جعله بحق ملك العربية في هذا العصر كما شهد له بذلك الفيلسوف الكبير الدكتور منصور فهمي.

ج- فن الرسالة : هو أيضا من الفنون الثرية التي اعتنى بها الإبراهيمي في إنتاجه الأدبي، وأسهم في ارتقائها وازدهارها على اعتبار أنها "ألصق الفنون الثرية بالنفس من غيرها من الأنواع الفنية والأدبية الأخرى".² فاستطاع الإبراهيمي "بما عهد فيه من جمال في التعبير، وقوة في التفكير، وموهبة في التصوير، وبراعة في فن الكتابة الأدبية بوجه عام، أن يمنح هذا الفن قيمته، ويؤثقه مكانته في الجزائر، فينطلق به من لا شيء إلى منزلة حسنة، فيرفع بذلك رأس النشر الأدبي في الجزائر إلى السماء في شيء من الاعتراز والفخار".³ والحقيقة أن حظ الرسالة في نشر الإبراهيمي يقل عن حظ المقالة والخطابة، غير أن ما عثر عليه من جملة الرسائل التي تعرضت للضياع يثبت بحق "مكانة هذا الفن عنده وما قدمه من خدمات كبيرة لتجديد

¹ المصدر نفسه، ص 292

² محمد العيد تاورته، مرجع سابق، ص 615

³ عبد الملك مرتاض، فنون النشر الأدبي في الجزائر، 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983، ص 309-310

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

أساليبه وترقية جمالياته.¹ وككل فن من الفنون الثرية يتوزع على أنواع كثيرة كما رأينا في المقالة

والخطابة، كذلك فن الرسالة التي درج الأدباء والنقاد منذ القديم على تصنيفها إلى صنفين،

هما: الرسائل الرسمية الديوانية (الإدارية)، والرسائل الذاتية الإخوانية (الأدبية)²، أما الإبراهيمي

فقد برع في الصنف الثاني، ولعل هذه البراعة تتجلى كلها في ما عثر عليه من رسائله، التي

تعتبر ميلادا حقيقيا لفن الرسالة في الجزائر على غرار "مناجاة مبتورة، لدواعي الضرورة"،

و"تحية غائب كالآيب"، و"رسالة الضب" .. وقد سكب فيها من جمال العبارة، وعذوبة

اللفظ، وصدق الشعور، وقوة العاطفة، ما يجعلها بحق قمة الإبداع الفني والأدبي.

ولعل ما سنورده أنموذجا لهذه الرسائل يزيدنا قناعة ويقينا بهذا الرأي، في رسالة غائب كالآيب

نقف أمام جلال الكلمة، مشدودين بروعة المنطق، ومأخوذون بسمو البيان، دونما تعليق

: "حيّ الجزائر عني يا صبا .. واحمل إليها مني سلاما تباري لطافته لطافتك، وتساري إطفائه

إطفائك، فقدمي حملك الكرام الأوفياء مثل هذه التحية إلى من يكرم عليهم، أو ما يكرم

عليهم، فحملتها روحا، وأيدتها بوحا، وأعلنتها شذى وفوحا، وكنت بريد الأرواح إلى الأرواح،

بألفاظ غير مكتوبة، ومعان غير مكذوبة .. أذّ التحية عني للجزائر التي غذت وربت، وأنبتت

القوادم في الجناح، وأسلفت الأيدي البيضاء، وأسدت العوارف الغرّ، وأشربت من الطفولة

حب العروبة والإسلام، وأخذت باليد إلى رياضهما .. قل للجزائر الحبيبة هل يخطر ببالك من

لم تعيي قط عن باله؟ وهل طاف بك طائف السلو، وشغلك مانع الجمع وموجب الخلو،

¹ عبد الملك بومنجل، النشر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009، ص50

² المرجع نفسه، ص49

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

عن مشغول بهواك، عن سواك؟ إنه يعتقد أن في كل جزيرة قطعة من الحسن، وفيك الحسن جميعه، لذلك كنّ مفردات وكنت جمعا، فإذا قالوا: الجزائر الخالدات، رجعنا فيك إلى توحيد

الصفة وقلنا الجزائر الخالدة، وليس بمستنكر أن تجمع الجزائر كلها في واحدة..¹

كانت هذه بعض من فنون النثر التي اهتم بها قلم الإبراهيمي، وحلق بها في سماء الأدب،

ورسم بها صورة متكاملة لمعاني الإنسانية في تحمله الكبير لمشاكل وهموم وطنه الجريح،

فاتسمت كلها بروح الانتماء، وصدق العاطفة، وبعد النظر، وبراعة التحليل، والفكر

المنطقي، وصاغها كلها بأسلوب عربي مبين، فإذا هي طراز في عربي رائع..

وخير ما نختم به هذا الجانب من الإصلاح، أبيات شعرية لمحمد العيد آل خليفة يجلي فيها

خصائص أدب الإبراهيمي يقول فيها :

قل للبشير رفعت هامة أم—ة	ذلت وشعبٌ كان قبلك حاملا
ما زلت تكشف عن خفيّ نبوغه	حتى تبين للنواظر ماثلا
أخجلت أقطاب البيان فمن يكـن	سحباناً أو قُسا يلاقك باقلا
أدركت في الفصحى مدارك لم يكن	في العصر ذو أدبٍ إليها واصلا

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص182-183

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

بَارَيْتَ فِيهَا الْمَجْدَ عَبْرَ مِحْيِ طِهِ وَالْمَجْدُ لَا يَعْدُو الْمَجَّ دَّ الْعَامِلَا

نَاهِيكَ بِالْحُطْبِ الْفِصَاحِ شَوَاهِدَا أَدَهَشْتَ أَشْهَ—َادَا بِهَا وَمَحَافِلَا

تَاللَّهِ لَا أَوْفِي—كَ حَقَّكَ كَلَّهُ مَهْمَا نَسَجْتُ لَكَ الْمَدِيحَ غَلَاثِلَا

لَا زَلْتِ فِي فَلَكَ الْمَعَارِفِ كُـوَكْبَا قَطْبَا يَلِ—وُحْ لَنَا وَبَدْرَا كَامِلَا¹

5-: التجديد في الجانب السياسي.

اعتنى البشير الإبراهيمي بالبعد السياسي في حركته الإصلاحية التجديدية عناية بالغة ، لأن السياسة في اعتباره هي حجر الزاوية للإصلاح الاجتماعي والتربوي والثقافي، ويخطأ أيما خطأ من يعتبر أن الإبراهيمي لم يكن سياسيا ، وقد زعم بعض ذلك "وإننا لا ندرى ماذا يقصد هؤلاء بالسياسة: فإذا كانت الانقطاع المطلق لخدمة مبادئ حزب بمعزل عن الثقافة والفكر والدين والتعليم، فإن الإبراهيمي ليس سياسيا وما كان ينبغي له، ذلك بأن السياسة الوطنية لديه لم تك إلا عبارة عن دس مبادئ من هذه السياسة الوطنية في التعليم والتوجيه، وفي الدفاع عن المؤسسات الوطنية، بما فيها المدرسة والمسجد، واللغة والانتماء الحضاري للشعب الجزائري، والتصدي للمدجلين من بعض رجالات الطرق الذين كانوا يعيشون فسادا بأفكار

¹ شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، ص411

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

عوام الشعب من العاملين والمزارعين والتجار .¹ وهذا هو لب السياسة الذي عمل له البشير الإبراهيمي وسابق من أجله ولقي الأذى والكيد من قبل الاستعمار فهو القائل "إن السياسة لباب وقشور ..ولباب السياسة بمعناه العام عند جميع العقلاء هو عبارة واحدة :إيجاد الأمة، ولا توجد الأمة إلا بتثبيت مقوماتها من جنس ولغة ودين وتقاليد صحيحة وعادات صالحة، وفضائل جنسية أصيلة ..فاسمحوا لنا أن نفتخر بأن هذا اللباب من حظ جمعية العلماء، له عملت، وفي ميدانه سابت فسبقت، وفي سبيله لقيت الأذى والكيد والاتهام، وفي معناه اصطدم فهمها بفهم الاستعمار، هي تفهمه ديناً، وهو يفهمه سياسة."²

1 - السياسة عند الإبراهيمي :

إننا في هذا المقام لا نريد إعادة ذكر الإصلاحات السياسية بكل تفاصيلها وحيثياتها عند الإمام الإبراهيمي، لأننا عرضنا ذلك في فصل سابق غير أننا سنقف على أثر التجديد في هذه الإصلاحات، ذلك أن مفهوم السياسة عند الإبراهيمي يختلف عند غيره من السياسيين، ويوضح ذلك بقوله : "إن جمعية العلماء تعمل لسياسة التربية لأنها الأصل، وبعض ساستنا -مع الأسف- يعملون لتربية السياسة، ولا يعلمون أنها فرع لا يقوم إلا على أصله، وأي عاقل لا يدرك أن الأصول مقدمة على الفروع، وإن الاستعمار لأفقه وأقوى زكاته، وأصدق حدسا، من هؤلاء حين يسمي أعمال جمعية العلماء سياسة، وما هي

¹ عبد المالك مرتاض، مرجع سابق، ص91

² البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص64

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

بالسياسة في معناها المعروف ولا قريبة منه، ولكنه سيسميها كذلك لأنه يعرف نتائجها وآثارها، وأنها اللباب وغيرها القشور، ويعرف أنها إيجاد لما أعدم، وبناء لما هدم، وزرع لما قلع، وتجديد لما أتلّف، وفي كلمة واحدة هي تحد صارخ لأسلوبه.¹ فهي بهذا المعنى تحمل بعدا تصاعديا راقياً "متجها إلى العلو"² لأنه يعمل بما على إيجاد الأمة وإحيائها وبث كل فضيلة في أرجائها، ووصلها بماضيها وتراثها لتجديد حاضرها ومستقبلها "وهذا هو البعد الذي يجب أن يسعى إليه العاملون في حقل الدعوة، الناهضون لبناء المجتمع الصالح."³ وغير هذه السياسة -في بعدها الصاعد- فهي سفاسف لا تحقق مقصدا ولا غاية، لأنها لا تسعى لصالح الأمة، وإنما تبغي من وراء ذلك المناصب والكراسي، وهي بهذا المعنى تحمل بعدا "هابطا إلى الدون، وهو ما يجب أن تتسامى فوقه جهود العاملين في حقول الدعوة إلى الله."⁴ وقد بين الإبراهيمي أن انتهاج سياسة التهافت على الرئاسة، وكرسي النيابة لا يأت بنتائج صحيحة تخدم الشعب الجزائري، وإنما يهبط بها إلى منحدرات تقصف فيها رياح الفتن "إن هذه السفاسف لم تبين على مقاصد صحيحة، فلم تأت بنتائج صحيحة ولم تنشأ عن إيمان راسخ، فلم تظهر لها ثمرة ناضجة، ولما بليت السرائر تبين أن سياسيينا كلهم يتسابقون إلى غاية واحدة، هي كراسي النيابة، وما يتبعها من الألقاب والمرتبات، وإذا كل شيء مبدأه

¹ المصدر السابق، ص 65

² محمد سعيد رمضان البوطي، نقاط هامة استوقفتني في فكر الإمام الإبراهيمي، موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس .

³ المرجع السابق.

⁴ المرجع نفسه.

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

السياسة فنهايته التجارة، والأعمال بخواتيمها.¹ لقد أظهر الإبراهيمي من خلال هذا القول حقيقة هؤلاء السياسيين الذين اتخذوا من السياسة مطية لتحقيق مآربهم الخاصة على حساب مصالح الشعب الجزائري، فأدركتهم عاديات الهبوط والانحدار والانحطاط، غير أن الجمعية حاولت "إصلاحها في رجال السياسة إشفاقا على هذه الأمة الصالحة، فبحت الأصوات، وأكذت الوسائل، فلا يقولون قائل فيها وفينا غير هذا، فأهل مكة أدرى بشعابها."² بعد هذا التفصيل في مفهوم السياسة عند الإبراهيمي، لا يفوتنا أن نذكر جهاده في هذا الميدان ودعوته إلى تحرير البلاد وتوحيد العباد ..

2- الدعوة إلى تحرير الوطن.

من أهم الأفكار والدعوات التي أطلقها الإبراهيمي منذ بداية عمله في مجال الإصلاح، هو ضرورة الجهاد من أجل تحرير البلاد والعباد بعد أن حقق نجاحا كبيرا في تحرير العقول والقلوب من ريقه الطرقية وشيوخها، وتخلصها من خوفها تجاه الاحتلال الفرنسي وقد "لاحظ الإمام في جولاته عبر التراب الوطني، وفي اتصالاته بمختلف فئات الشعب أن الوعي قد انتشر، وأن تحرير العقول والنفوس قد تم أو يكاد يكتمل، فأيقن أن ساعة فرنسا في الجزائر قد اقتربت، وأنها آتية لا ريب فيها."³ إن تحرير العقول والنفوس من التبعية للاحتلال يعقبه التحرير الشامل للوطن، حتى لا يبقى له أثر، لهذا أعلن الإبراهيمي ضرورة الجهاد بعد أن استكمل

¹ البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج3، ص60-61

² المصدر نفسه، ص61

³ المصدر السابق، ج5، ص19

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

إعداد الشعب لأنه "محال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا"¹، وقد عرفه بقوله: "الجهاد -أيها

المسلمون- لفظ قليل، تحته معنى جليل، هو صرف القوى الروحية والعقلية والفكرية،

تظاهرها القوى المادية إلى تحقيق غرض مما ينفع الناس، ويتفاوت شرف الجهاد بتفاوت ذلك

الغرض في النفع."² ففي كلمة ألقاها الشيخ من إذاعة صوت العرب بالقاهرة عام 1955

يحدثنا الإبراهيمي عن شرعة الجهاد في الإسلام، يقول فيها: "الحرب في الإسلام لا تكون إلا

لمن آذنه بالحرب، أو وقف في وجه دعوته، يصد عنه المستعدين لتلقيها، والإسلام في أعلى

مقاصده يعتبر الحرب مفسدة لا ترتكب إلا لدفع مفسدة أعظم منها، وأول مفسدة شرعت

الحرب لدفعها، مفسدة الوثنية ومفسدة الوقوف في وجه الدعوة الإسلامية بالقوة، ولو أن

قريشا لم يقفوا في طريق الدعوة الإسلامية بالقوة، وتركوها تجري إلى غايتها بالإقناع، لما قاتلهم

النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولكن بدأه بالعدوان والتقييح والحيلولة بينها وبين بقية

العرب، والقعود بكل صراط لصد الناس عنها."³ يتضح من خلال هذا القول دعوة

الإبراهيمي الصادقة إلى الجهاد لدفع أعظم مفسدة هي الاحتلال الفرنسي، الذي طغى في

البلاد وأكثر فيها الفساد، ولم يكتف الإبراهيمي بإعداده للجهاد داخل الوطن وبين أبناء

شعبه فقط، وإنما اتجه بقضيته إلى منحى آخر وهو تدويل القضية الجزائرية فسافر إلى الدول

العربية في المغرب والمشرق للتعريف بالقضية الجزائرية كما لم يفتته المشاركة في المؤتمرات الدولية

¹ المصدر نفسه، ج3، ص56

² المصدر نفسه، ج4، ص306

³ محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ-1997م، ص85

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

على غرار مؤتمر الأمم المتحدة المنعقد بباريس سنة 1951، وفي هذا المؤتمر ألقى كلمة بشّر

فيها الوفود الحاضرة فقال: "إن الجزائر ستقوم قريباً بما يدهشكم من تضحيات وبطولات في

سبيل نيل استقلالها، وإبراز شخصيتها العربية الإسلامية."¹ وقد نجح الإبراهيمي في مساعيه

لدى الدول العربية لدعم قضية الجزائر، وما دل على ذلك هو استجابتها لنداء الشعب

الجزائري واحتضان جهاده وإمداده بالمساعدات اللازمة من مال وسلاح ومساندتها في المحافل

الدولية.² إن هذا الموقف الباسل الذي وقفه الإبراهيمي في إعلان الجهاد، وتأييده لذلك

والعمل المتواصل والدؤوب لإيصال صوت الثورة إلى مشارق الأرض ومغاربها، بمثابة صفعه في

وجوه أولئك الذين في قلوبهم مرض وغل على الإمام وجمعية العلماء "لأنهم كانوا يتمنون أن

لا تؤيد الجمعية جهاد شعب علمته معنى الجهاد، ووجوبه، أو أن يتأخر تأييدها، فيصبح لا

قيمة له، كإيمان فرعون الذي لم يعلنه إلا بعد أن أدركه الغرق، فرد عليه."³ وأخلص في

الأخير إلى أن الإبراهيمي عمل لهذه الثورة بكل عزم وحزم ولاقى في سبيل ذلك صنوفاً من

التعب والنصب، ليوصلها إلى بر الأمان، ومما هون عليه هذا التعب أن هذه الأعمال هي

إضافة في قيمة الجزائر وقيمة جمعية العلماء.⁴

3- دعوة الإبراهيمي إلى الوحدة والاتحاد ونبذ الفرقة والشقاق.

¹ محمد فاضل الجمالي، الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص123

² ينظر، البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج5، ص20

³ المصدر السابق، ص22

⁴ المصدر نفسه، ج4، ص183-184

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

بعد نداءاته المتوالية للوقوف صفا واحدا في وجه الاحتلال ، وإعلان الجهاد عليه من أجل تحرير البلاد وجه الإبراهيمي نداءات أخرى يدعو فيها جميع الفئات والأحزاب في الجزائر، إلى الوحدة والاتحاد ونبد الفرقة والشقاق، لأن الاحتلال قد حاول عند دخوله الجزائر، بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد بدعواته لإحياء النعرات العصبية بين العرب والبربر لبث الفرقة والشقاق، فأثبتت له الجمعية آنذاك "أن الدماء البربرية التي مزجت الدم العربي، أصبحت عربية بحكم الإسلام، وبحكم العمومة والخؤولة الممتدتين في سلسلة من الزمن، ذرعا ثلاثة عشر قرنا، مزاج فطري، أحكمت القدرة تداخل أجزاءه، والتحام نسبي وصل التاريخ أطرافه مرتين.¹" بعد هذا كله لا ينبغي لهذه الأحزاب العاملة لخدمة القضية الجزائرية أن تتمكن أعداء القضية الجزائرية لبلوغ غايتهم تلك، لأنهم عادوا مرة أخرى و "قد جمعوا صفوفهم وأجمعوا أمرهم على حرب قضيتنا في منبتها أشد مما حاربوها في فرنسا .. إنهم قد تداعوا جهرة إلى الاتحاد هنا كما اتحدوا هناك، اتحدوا هناك على إحباط برامجكم فنجحوا، وعلى تخييب مطالبكم فأفلحوا، وإنهم قد اتحدوا هنا على إسكات أصواتكم، وإخماد حركاتكم، وييدهم أزمة القوة من حكم ومال، ومطابع وجرائد وقسيسين.²"² فيها هم أعداء القضية الجزائرية اتحدوا واتفقوا بينهم من أجل إضعاف هذه القضية، وبث الهزيمة في نفوس الشعب، سواء هنا -الجزائر- أو هناك -فرنسا-، وجهروا بذلك لأنهم يدركون أن اتحادهم يكسبهم الحق حتى وإن كانوا ظالمين، لذلك دعا الإبراهيمي كل الأحزاب والهيئات في الجزائر إلى ضرورة الاتحاد

¹ المصدر السابق، ج3، ص57

² المصدر نفسه، ج3، ص301

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

والائتلاف، ونبد الفرقة والشقاق، يقول: "يا قادة الأحزاب! إن في مبادئكم دسائس دخيلة من الأفكار، تورث العداوة الحزبية بين الأخوة بحجة المحافظة على المبدأ، فانبدوها بضرورة الاتحاد ومراعاة الظروف، وادحضوا شبهتها بحجة الوطن الصريحة، وإن في صفوفكم دسائس مدخولين من الرجال لهم أغراض في المنافع والكراسي ولهم مقاصد في الإفساد.. فأخرجوهم من الصفوف، ولا تسمعوا لهم كلمة ولا تطيعوا لهم رأياً.."¹ كما دعا الأمة الجزائرية إلى وجوب احتضان هذه الأحزاب، والالتفاف حولها، وحملها على الاتحاد بجميع الوسائل لأن ذلك كفيل بنجاح قضيتها، وكفى بالاتحاد رجاء ونجاحاً.²

4- القضايا العربية والإسلامية في فكر الإبراهيمي.

لم تقف جهود الإبراهيمي الإصلاحية على قضايا وطنه الأم، بل تعدته لتشمل قضايا العرب والمسلمين، وعلى رأسها قضية فلسطين وقضية عروبة الشمال الإفريقي أو المغرب العربي الكبير، مما يدل على سعة تفكير الإمام وعلو كعبه في طرق موضوعات القومية والاتحاد بين أجزاء الوطن العربي والإسلامي، تبني الإبراهيمي هذه القضايا وشغلت مساحة كبيرة من تفكيره وكتاباته، كما أنها أخذت حيزاً كبيراً لنشاطه مع جمعية العلماء المسلمين، ولعل ما يبحث عنه الإبراهيمي من وراء هذه الأطروحات هو تحقيق الوحدة العربية، وأن يستفيد العرب من الدروس التي يفتنون بها في كل عام ولكنهم لا يستفيدون ولا يفقهون، يقول

¹ المصدر نفسه، ص 302

² ينظر، المصدر السابق، ص 303

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

"أفكر في قومي العرب فأجدهم يتخبطون في داجية لا صباح لها، ويفتنون في كل عام مرة أو مرتين، ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون، وأراهم لا ينقلون قدما إلى أمام، إلا إذا تأخروا خطوات إلى وراء... وأفكر في علة هذا البلاء النازل بهم، وفي هذا التفرق المبيد لهم، فأجدها آتية من كبرائهم وملوكهم، ومن المعوقين منهم الذين أشربوا في قلوبهم الذل، فرثموا الضيم والمهانة، واستحبوا الحياة الدنيا فرضوا بسفاسفها، ونزل الشرف من نفوسهم بدار غريبة فلم يقيم، ونزل الهوان منها بدار إقامة فلم يرم.¹" فهو يعتبر أن غياب الوحدة العربية، هو السبب في ما يعيشه العرب والمسلمون من مشاكل وخلافات وتفرق، ومرد ذلك إلى الحكام والقادة والمعوقين الذين يشبطون كل محاولة للنهوض، لأنهم أشربوا الذل والهوان فرضوا به وحملوا الناس على الرضا به، وهذا ما يبيغيه الاستعمار لتزداد قوته وسطوته في البلاد العربية، ولكن "إذا كان الاستعمار قويا كما نتخيل فإننا نزيده قوة بتخاذلنا وتفرقنا، وتطاحن هيئاتنا، وإضاعة أوقاتنا الثمينة في الجهل الفارغ، والانسياق مع الأهواء المضللة التي أضاعت علينا استغلال الكفاءات الموجودة، وهيئات أن يحيا وطن أو يستقل بالهتافات المترددة من الحناجر بين يحيا فلان ويسقط فلان.²" فلا بد من صيحة في وجه هؤلاء تنبهم من غفلتهم وتبث في وجدانهم الشعور "بالانتماء والانتساب للعروبة في مفهومها السياسي والفكري والعقائدي.³" فلا بد من الوحدة بين المشرق والمغرب لأنه الخيار الوحيد لمواجهة تحديات العصر، ونحن نرى أن

¹ المصدر السابق، ج3، ص482

² المصدر نفسه، ج4، ص302

³ محي الدين صابر، محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، مجلة الثقافة، مرجع سابق، ص109

الفصل الثالث: ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند محمد البشير الإبراهيمي

أقوياء العالم يتكتلون فيما بينهم ويتكاثرون في العدد بمن لا تجمعهم بهم جامعة، في حين أن

العرب رغم كل الروابط التي تجمع بينهم بما فيها العرق والدم والدين ، لكنهم لا يتحدون ولا

يصلحون.¹ ولو أن أجدادنا كانوا يدا واحدة متضامين لما تركوا الجزائر تواجه وحدها هذا

الغول-الاحتلال- ولأدركوا أنه سيأتي الدور عليهم في خطوة من خطوات هذا الاستعمار

الذي من استخفافه بنا واستهتاره بشأننا أن سخر الأخ ليقتل أخاه.²

¹ ينظر، البشير الإبراهيمي، مصدر سابق، ج4، ص279

² المصدر السابق، ص302

الخاتمة

إنّ السعي وراء حصاد النتائج التي جاءت بها الدراسة جعلتني أقف على محاورها الكبرى التي أرى

أن أثبتها في النقاط الآتية:

أولاً: إن المصلحين الذين نادوا بضرورة الإصلاح، وحملوا رايته لتشمل الجوانب الدينية والسياسية والاجتماعية والثقافية، ونالوا أسباب الشهرة على غرار جمال الدين الأفغاني ومُجّد عبده، ومُجّد بن عبد الوهاب، وعبد الرحمن الكواكبي وغيرهم، أبلوا بلاء حسناً لتستعيد الأمة مجدها الغابر، وتسير على طريق الريادة عن هدى وبصيرة.

ثانياً: لم تختلف الجزائر في حالها عن المشرق العربي، بل لعل ظروفها كانت أشد قسوة وظلماً بفعل الجبروت الاستعماري بجميع أشكاله وأطيافه، فتعاقت عليها سياسات جائرة، وأعراف قانونية ظالمة، تحمل روحاً صليبية، وتستهدف الإسلام وأهله، وتطبق على الشخصية الوطنية، والمقومات العربية الإسلامية، فظل الشعب يترنح تحت وطأة الضربات القاسية، مما أضر بالجزائري المسلم أن يتراجع قليلاً عن الصفوف الأمامية، ريثما يستجمع قواه، ويعيد الكرة من جديد.

ووصلت الجزائر إلى هذا المنعرج الخطير من الانحراف الديني والفكري والاجتماعي، فبدأت إرهابات الإصلاح ترسم معالمها بوضوح، متأثرة بالفكر الإصلاح العام والذي أطلقه نخبة من العلماء المخلصين المصلحين، مبشرة بوجهة جديدة في جميع النواحي التي مسها الانحراف، فكانت الدعوة إلى الرجوع إلى المنابع الجوهرية للإسلام، الكتاب والسنة، والحصانة بالحضارة العربية الإسلامية وهي تمثل

عنصر الانتماء، والتطلع إلى المستقبل عن هدى وبصيرة، فكشفت هذه الإرهاصات عن ملامح حركة تجديدية إصلاحية تسعى لتجديد حياة المسلمين بتجديد الدين في نفوسهم.

وكانت الثورة التعليمية التي أحدثها الإمام ابن باديس في الجزائر، رافدا من روافد انبعاث الحركة الإصلاحية في الجزائر، والتي قام بها علماء مثقفون.

ثالثا: عمل المنهج الإصلاحي على محاربة الانحراف الديني السافر، والبدع والضلالات التي يتردى فيها الدين، والذي يحركه الاستعمار والطرقية الضالة، وسعى إلى جانب ذلك إلى بعث الثقافة العربية الإسلامية التي واجهها الطمس والتعتيم، وذلك من خلال إعادة الفاعلية للغة العربية، والتي تعتبر الوعاء الحاوي للثقافة، وأهم ركيزة لتحسين الهوية والذات والشخصية، كما قام المنهج الإصلاحي على ضرورة النهوض بالأمة الجزائرية على الصعيد الاجتماعي، فعمد على معالجة أمراض المجتمع، وبحث عن عللها، فكان الفقر والجهل والطرقية هي السبب في تردي الحياة الاجتماعية، فكان لابد من النهوض بأركان هذا المجتمع -المرأة والشباب- حتى يستقيم في طريق النهضة، ويخرج من واجهة الهدم إلى استشراق المستقبل، وصناعة النهضة، واكتملت صورة الجهاد لدى الجمعية بطرقها باب السياسة، ومواجهة ظلم الاستعمار وتعسفه، وتوحيد الشعب الجزائري ومواقفه الوطنية، للاستعداد لليوم الموعود، وهو يوم التحرر من الاحتلال الفرنسي.

إن ما قدمته جمعية العلماء من أعمال جليلة وأفعال عظيمة، كان للبشير الإبراهيمي نصيب الأسد فيها خصوصا في عهدها الثاني حين كان رئيسا لها، إذ نذر حياته جهادا متواصلا لخدمة دينه ووطنه،

فكان بحق رائدا من رواد الإصلاح والفكر والتجديد.

رابعاً: آمن الإبراهيمي بضرورة التجديد والتغيير، واضطلع بهذه المهمة انطلاقاً من إيمانه بشرعية التجديد التي هي أمر ثابت في الإسلام، وحاجة الأمة إليه بعد أن أصابها الركود والجمود، فكان لا بد من عمل إصلاحي محكم الصنع، ينطلق من واقع المجتمع، ويستقرئ مشاكله في سبيل الوصول إلى حلول فاعلة يمكن تحقيقها في الواقع.

ومن هنا جاء مفهوم التجديد عند الإبراهيمي مكتسباً معاني الإحياء والاجتهاد، والنهضة، والتغيير، والإصلاح، والتي تقود في مجملها إلى إعادة صياغة جديدة لواقع الشعب الجزائري.

أقام الإبراهيمي مشروعه التجديدي على أساس متين من الدين والأخلاق والعلم والمال، فهي الركائز الأساسية لتكوين اجتماع تنتج عنه نهضة منظمة في جميع جوانب الحياة اليومية.

خامساً: إن للبشير الإبراهيمي شخصية قوية مكنته من استيعاب حالة مجتمعه بفضل ثقافته الموسوعية، ومواهبه الفذة، وهو ما أسهم في اكتمال خصائص الشخصية القائدة عنده، يحمل هموم أمته، ويتفاعل معها، ويقدم البدائل والحلول والعلاج لأمراتها وآفاتهما.

ساعدته شخصيته المتكاملة في تنفيذ مشروعه التجديدي الذي ضمنه خطة إصلاحية تشمل الجوانب التالية:

- في الجانب الديني ركز الإبراهيمي على العودة إلى الدين الصحيح، وإحيائه في نفوس المسلمين، وتصحيح العقيدة في فكرهم، لأنهما أساس متين لقوة المسلمين وعزتهم، وقبل تحقيق ذلك دعا إلى هدم

البدع والضلالات التي أوردت الأمة موارد الانحراف والضلال، وما زادها حدة إلف العلماء واستنابهم على هذا الانحدار، فاستبدلوا مكانتهم القائدة بدور ذليل مهان، فدعا الإبراهيمي إلى ثورة تعيد دور العلماء في الإصلاح والتغيير، كما حذر من الجمود وعدم إعمال الفكر والعقل في الدين والدنيا، والابتعاد عن التعصب المذهبي، ودعا إلى فتح باب الاجتهاد في الفقه لاستخراج الأحكام التي تلامس الواقع اليوم، وتوجد الحلول المناسبة له.

- أما في الجانب العلمي والثقافي، فإن الإبراهيمي وضع منهجا متكاملا لمعالجة قضايا التربية والتعليم، وألقى كل ما في جعبته من آراء ونظريات وفلسفات إصلاحية تسير في طريق التجديد، وتتخلص من التقليد، لتبني عالمًا، وتكوّن أُمَّةً، وتُحدّد حياةً، وذلك في إطار منظومة تضافرت فيها جميع المؤسسات والوسائط التربوية والتعليمية، تهدف إلى إعداد الفرد، وتوجيه السلوك، وتوحيد منهاج التعليم، بما يضمن الاستمرار والفاعلية في الحياة، كما لم يغفل دور الثقافة والمثقفين في النهوض بالثقافة العربية الإسلامية، واستعادة مكانتها اللائقة، وإعادة تفعيلها من أجل فهم الواقع، وتوجيه الشباب الجزائري نحوها لمواجهة مشاريع التغريب والهدم.

- أما في الجانب الاجتماعي، فقد رصد الإبراهيمي أبرز القضايا التي تعاني منها الأمة الجزائرية كالانحلال الأخلاقي، والتفكك الأسري، والزواج والطلاق وغلاء المهور، وقضايا المرأة والشباب، فسعى سعيا حثيثا نحو إصلاحها إصلاحا سديدا وسليما وجذريا، لا يبلى ولا يتزهل مع العوارض والأحداث اليومية، وهذا هو الهدف المثالي للإصلاح الاجتماعي.

- أما في الجانب الأدبي، فقد أتى الإبراهيمي فيه بكل عجيبة، لإدراكه أن للأدب قوة فعالة في الإصلاح والقضاء على المشكلات المعاصرة، فطرق من خلاله أبوابا كثيرة، كالمقالة والخطابة والرسالة، جاعلا منها أداة للمقاومة، راسما بها صورة متكاملة لمعاني الإنسانية في تحمله الكبير لهموم وطنه الجريح، بقلم بديع وأسلوب رصين، وحجة بالغة.

- وأما الجانب السياسي فكان الاهتمام به أشد وأبلغ، على اعتباره حجر الزاوية للإصلاح بجميع جوانبه، فدعا إلى تربية سياسية حقيقية، تعمل على إيجاد الأمة وإحيائها، وبث كل فضيلة في أرجائها كما أطلق دعوات صارخة يستنهض فيها الهمم، وينشر الوعي بضرورة الجهاد في سبيل الله لتحرير البلاد والعباد، ولا يكون ذلك إلا بالوحدة والاتحاد بين جميع الأحزاب التي تعمل لخدمة القضية الوطنية، ونبد الفرقة والشقاق، لأن ذلك كفيل بنجاح قضيتنا وتحرير وطننا.

وختاما يمكننا القول إن هذه الدراسة هي إسهام حاولنا من خلاله الكشف والإحاطة بمعالم التجديد في المشروع الإصلاحى لدى الإبراهيمي، والذي يقتضي المزيد من العمل والبحث والدراسة والتقصي، للوصول إلى آفاق لم نصلها، وملامح لم نتبينها.

والله من وراء القصد وهو يهدي السبيل.

الملاحق



الشيخ الإبراهيمي في جمعية الشبان المسلمين بالقاهرة ويظهر من
ليسار إلى اليمين الدكتور أحمد الشرباصي من علماء الأزهر والأمير
عبد الكريم الخطابي البطل المغربي ، و محمد علي الحوماني
الشاعر اللبناني في الخمسينات



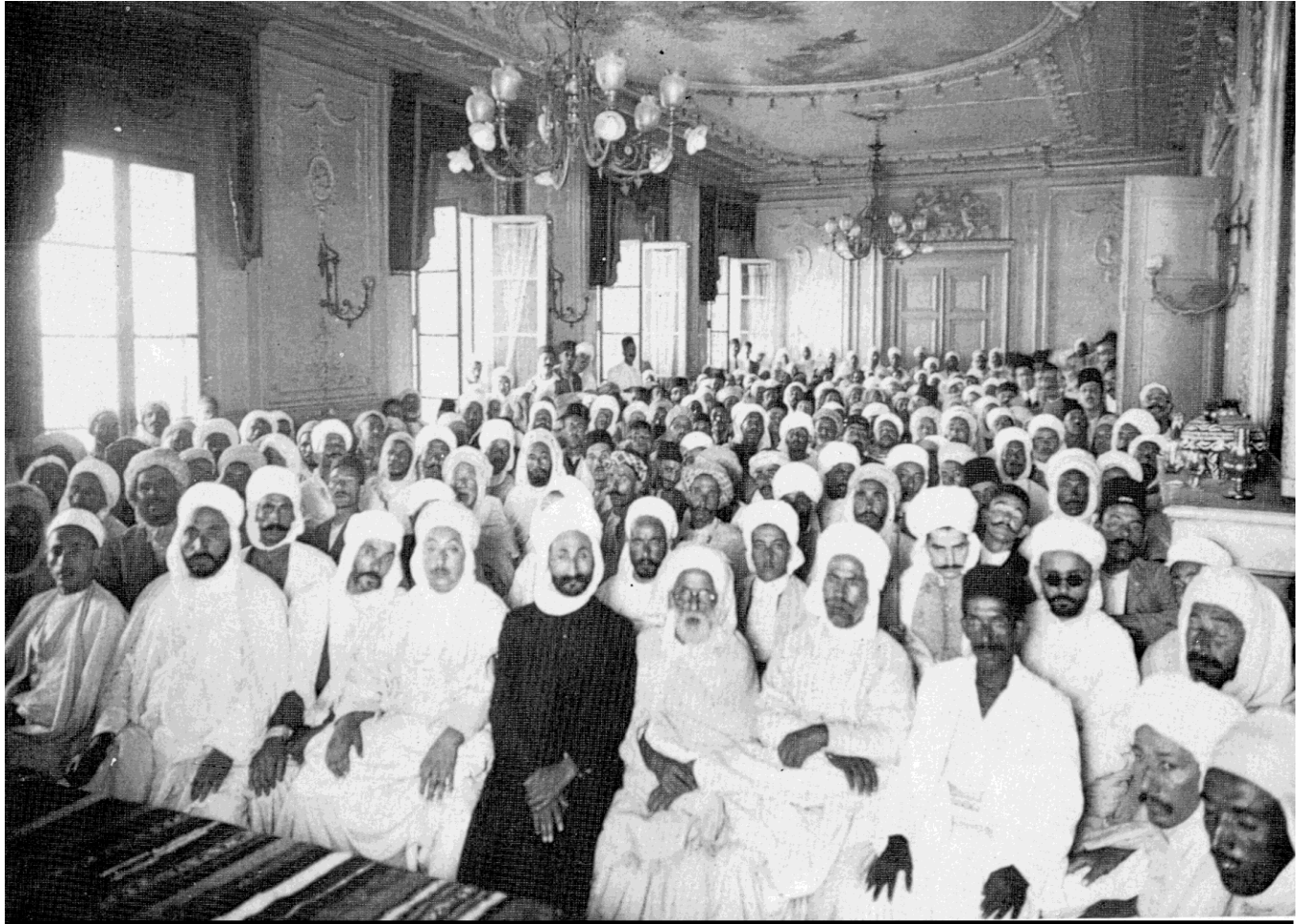
آخر صور الإمام الرائد محمد البشير الإبراهيمي الرئيس الثاني لجمعية
العلماء وهو في فراش مرضه الأخير سنة 1965 قبيل وفاته و بجانبه الشيخ
العباس بن الشيخ الحسين ، العضو الإداري لجمعية العلماء .



الواقفون: في الوسط الشيخ البشير الإبراهيمي، وعن يساره الشيوخ: العربي التبسي وعبد الرحمن شيبان وعمر جغري والعباس بن الشيخ الحسين، وعن يسار الشيخ الإبراهيمي الشيوخ: محمد خير الدين وعبد اللطيف سلطاني ونعيم النعيمي وأحمد حسين. **الجالسون من اليمين إلى اليسار:** الأساتذة: معطي الله، أحمد بوروح، عبد المجيد حيرش، محمد الصادق حماني، عبد القادر الباجوري، علي شرفي، عبد الحفيظ الجنان، محمد العدوي. (قسنطينة 1950)



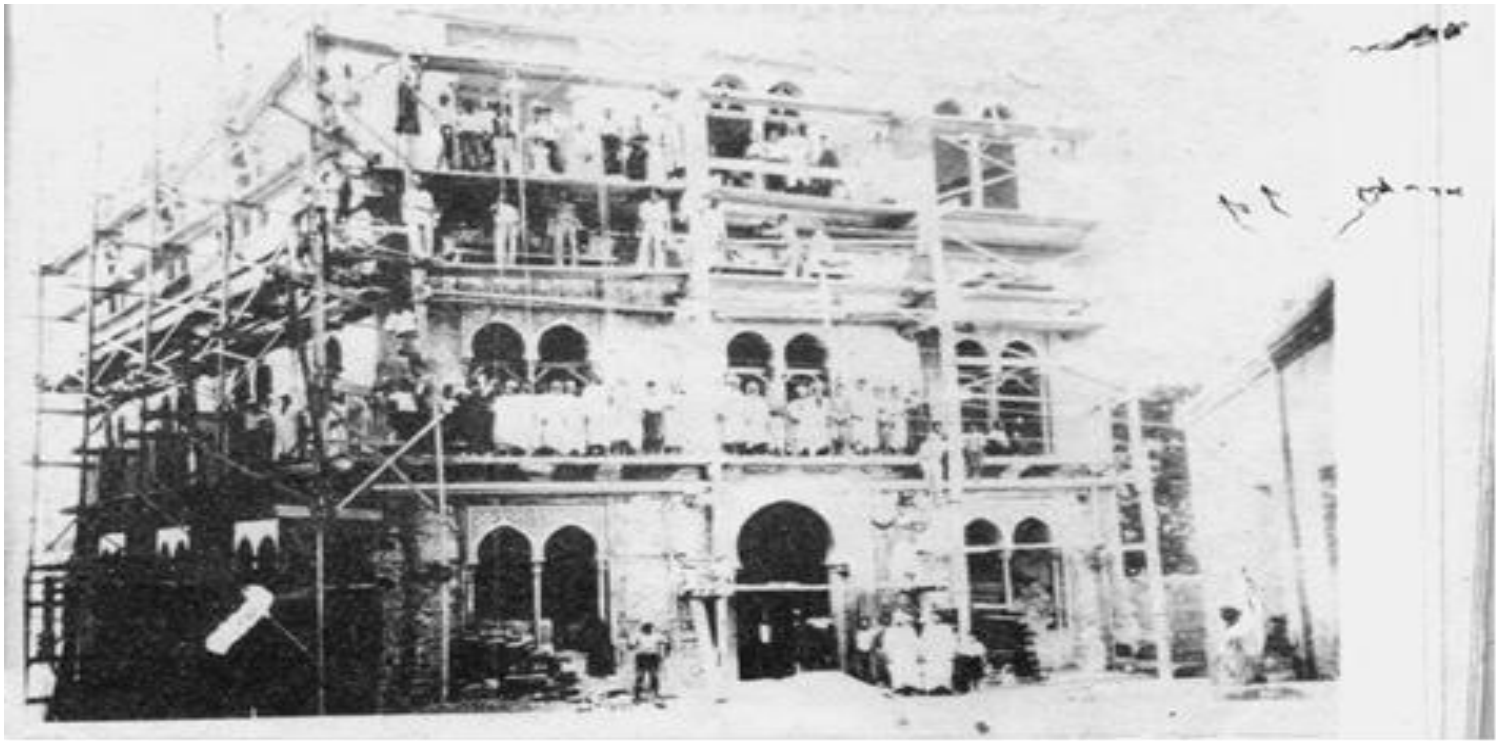
الصورة رقم 40: افتتاح مدرسة دار الحديث يوم 1937/09/27. يظهر على الصورة الشيخ ابن باديس يتوسط الجمع وعلى يمينه الشيخ البشير الإبراهيمي وعلى يساره الشيخ إبراهيم الكتاني من المغرب الشقيق ومجموعة من شيوخ الجمعية أمثال الشيخ العربي التبسي والشيخ مبارك الميلي والشيخ محمد مرزوق والمحامي عبد السلام طائب وغيرهم.



الاجتماع التأسيسي لجماعة العلماء المسلمين بنادي الترقى



الصورة رقم 50: الجالسون من اليمين إلى اليسار: الأستاذ محمد بابا أحمد - الشيخ العربي التبسي - الشيخ السعيد الزموشي - بن علي بو عياد - محمد الهيري مول السهول الشافعي (واقفاً) - عمر حساين.



الصورة رقم 38: مدرسة دار الحديث أثناء البناء سنة 1936



الشيخ الإبراهيمي بالقاهرة في الخمسينات مع السيد عبد الخالق حسونة الأمين العام للجامعة العربية آنذاك و بطل الريف المغربي الأمير عبد الكريم الخطابي



معلمات مدرسة عائشة أم المؤمنين بيتوسطن الرئيس الابراهيمى وخلفه المدير

قائمة المصادر و المراجع

القرآن الكريم.

أولا - المصادر:

1 - الكتب :

الإبراهيمي، محمد البشير :

1. آثار البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: الدكتور أحمد طالب الإبراهيمي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1997، ج1(1929-1940).
2. آثار البشير الإبراهيمي، ج2 (1940-1952).
3. آثار البشير الإبراهيمي، ج3 عيون البصائر.
4. آثار البشير الإبراهيمي، ج4 (1952-1954).
5. آثار البشير الإبراهيمي، ج5 (1954-1964).
6. في قلب المعركة، دار الأمة للنشر والتوزيع، ط1، 1417هـ-1997م.
7. سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة - الجزائر.

2- الجرائد والمجلات:

8. البصائر، لسان حال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، السنة الأولى، العدد الأول، 1 شوال 1354هـ-27 ديسمبر 1935م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1426هـ-2005م.
9. البصائر عدد 120، 1 جمادى الأولى 1357، جويلية 1938.
10. البصائر العدد 16، 16 صفر 1358، 7 أبريل 1939.
11. البصائر، العدد1 من السلسلة الثانية 8 رمضان 1366هـ/25 جويلية 1947م.
12. البصائر، العدد 13، السنة الأولى من السلسلة الثانية، ذي الحجة 1366هـ-10 نوفمبر، 1947م.
13. البصائر، السنة الثانية، العدد54، 22 ذي الحجة 1367هـ/25 أكتوبر.1948.
14. البصائر، عدد 172، السنة الرابعة 1، محرم 1371هـ- أكتوبر 1951.

15. السنة النبوية المحمدية، السنة لأولى، العدد الأول، ذي الحجة 1351هـ، 1933م، دار الغرب الإسلامي.
16. السنة النبوية المحمدية، العدد الثاني، 22 ذي الحجة 1351هـ/17 أبريل 1933م.
17. الشريعة، السنة الأولى، العدد الأول، 24 ربيع الأول 1352هـ/17 جويلية 1933م، دار الغرب الإسلامي.
18. الشهاب، المجلد 5، الجزء 1، السنة الخامسة، 1347-1348هـ-1929-1930م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1421هـ-2001م.
19. الشهاب، مج8، ج1، شوال 1350، فيفري 1932م.
20. الشهاب، مج11، ج8، شعبان 1354هـ-نوفمبر 1935م.
21. الشهاب، مج11، ج3، ربيع الأول 1354هـ- جوان 1935م.
22. الشهاب، مج12، ج4، ربيع الثاني 1355، جويلية 1936
- ثانيا - المراجع :

1-الكتب :

23. الأصفهاني الراغب ، مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق:صفوان عدنان داوودي، دار القلم دمشق، ط 4 1430هـ-2009م.
24. أمانة عدنان محمد ، التجديد في الفكر الإسلامي، دار ابن الجوزي، ط1، رجب 1424.
25. الهدوي عبد الرحمن ، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات - الكويت، ط3، 1977م.
26. برغوث الطيب ، بناء الأسرة المسلمة، طريق النهضة الحضارية، دار النعمان للطباعة والنشر، 2012.

-بن باديس عبد الحميد

27. الإمام عبد الحميد بن باديس، رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ج 5، عاصمة الثقافة العربية 2007.
28. العقائد الإسلامية، مقدمة العلامة محمد البشير الإبراهيمي، ط2، الجزائر مكتبة الشركة الجزائرية .
29. كتاب آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف عمار الطالبي، الجزء الثاني من المجلد الثاني، الشركة الجزائرية ، ط1، 1388هـ/1968م.

30. بن حنبل أحمد بن محمد ، المسند، شرح : حمزة أحمد الزين، المجلد 7، دار الحديث، القاهرة، د ط 1433هـ-2012م.
31. بن سميعة محمد ، النهضة الأدبية الحديثة في الجزائر، مؤثراتها، بداياتها، مراحلها، مطبعة الكاهنة الجزائر 2003م.
32. بورقيبة داوود بن عيسى ، منهج القرآن في التربية، آيات أحكام الأسرة أمودجا، المطبعة العربية، غرداية، 1430هـ-2009م.
- بوصفصاف عبد الكريم**
33. الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس أمودجا، دار الهدى عين مليلة -الجزائر، ج1.
34. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الأخرى 1931/1945، دار البهاء للنشر و التوزيع، د ط، 2013.
35. بومنجل عبد الملك ، النثر الفني عند البشير الإبراهيمي، بيت الحكمة، الجزائر، ط1، 2009.
36. الترابي حسن ، تحديد الفكر الاسلامي، دار القرائي للنشر والتوزيع -المغرب، ط1، 1993.
37. جرار حسني أدهم ، رواد الإصلاح والتغيير في العصر الحديث، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، 2006.
38. الخطيب أحمد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة-الجزائر، ط1، 1140هـ 1981م.
- حميدي أبو بكر الصديق**
39. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالعالم العربي، 1947-1956م، دار المتعلم للنشر والتوزيع طبعة خاصة، 2015م.
40. دراسات وأعلام في الحركة الوطنية الجزائرية، دار المتعلم للنشر والتوزيع الجزائر.
41. خرفي صالح ، الشعر الجزائري الحديث المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر، 1984.
42. رضا محمد رشيد، تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده (1266-1323هـ-1849-1905م)، ج1، دار الفضيلة للنشر والتوزيع والتصدير، القاهرة، 1428هـ-2006م.
43. الركيبي عبد الله ، تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974م، الدار العربية للكتاب، 1983.
44. الزمخشري جار الله، تفسير الكشاف، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، مج 4 1415هـ/1995م.

-سعد الله أبو القاسم

45. أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ج4، ط1 1996.
46. تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1945م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ج5 ط1998.
47. الحركة الوطنية الجزائرية، ج3.
48. الحركة الوطنية الجزائرية، دار الغرب الإسلامي، بيروت-لبنان، ط4، 1992 ج2.
49. شعراء الجزائر، ديوان محمد العيد محمد علي خليفة، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 2010، ص99
50. شهاب الدين محمد الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تحقيق: فؤاد سراج عبد الغفار، م4، المكتبة التوفيقية، القاهرة 2008.
51. شيبان عبد الرحمن، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جمع وإعداد: قسم إحياء تراث الجمعية، دار المعرفة، 2008
52. الطبري محمد بن جرير، تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه: محمود محمد شاكر، دار ابن الجوزي، القاهرة، ط1، 1430هـ-2009م.
53. عطية جمال والزحيلي وهبة، تجديد الفقه الاسلامي، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ط1.
54. العظيم آبادي أبي عبد الرحمن شرق الحق، عون المعبود شرح سنن أبي داود، حققه: أبو عبد الرحمن عماد بن جابر بن علي، المجلد6، شركة القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2011م.
55. العقاد عباس محمود، عبد الرحمن الكواكبي، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة- مصر د ت د ط.

-عمارة محمد

56. الإسلام بين التنوير والتزوير، دار الشروق، ط2، 1423هـ/2002م.
57. الإسلام والتحديات المعاصرة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، 2010، دط.
58. الإسلام والمستقبل، دار الرشد للطباعة والنشر، القاهرة، ط2، 1418هـ-1997م.
59. الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده، ج2، دار الشروق، القاهرة، 1414هـ-1993م.
60. الخطاب الديني بين التجديد الاسلامي والتبديد الامريكاني، مكتبة الشروق الدولية، ط2، 1328هـ/2007م.
61. الشيخ البشير الإبراهيمي إمام في مدرسة الأئمة، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، ط1 1432هـ/2011م.

62. مستقبلنا بين التجديد الاسلامي والحداثة الغربية، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، ط 1، 1423هـ-2003م.
63. المنهج الإصلاحى للإمام محمد عبده، مكتبة الإسكندرية، 2005، دط، ص12¹
64. عمارة تركي رابح ، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية في الجزائر المعاصرة، ط2، 1424هـ/2003م.
65. عمورة عمار، موجز في تاريخ الجزائر، دار ربحانة للنشر والتوزيع، ط1، 2002.
66. فرانز فانون، العام الخامس للثورة الجزائرية، ترجمة ذوقان قرقوط، دار الفارابي، بيروت -لبنان، ط 1، 2004.
67. فيلاي صالح واخرون، الأزمة الجزائرية، الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية، مركز دراسات الوحدة العربية.
68. القرضاوي يوسف ، الحل الإسلامي فريضة وضرورة، مؤسسة الرسالة، 1401هـ-1981.
69. الكواكي عبد الرحمن ، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة - مصر، دط، دت.
- مالك بن نبي**
70. شروط النهضة، ترجمة عبد الصبور شاهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 1986م.
71. ميلاد مجتمعة، دار الفكر، دمشق -سوريا، 1406-1986م.
72. متولي تامر محمد محمود ، منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة دار ماجد عسييري، ط1، 1425هـ-2004م.
73. محمد طهاري، مفهوم الإصلاح بين جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1992، ص14
- مرتاض عبد المالك**
74. فنون النثر الأدبي في الجزائر، 1931-1954، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1983.
75. محمد البشير الإبراهيمي 1889-1965، طبع المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغبة، 1984.
76. نهضة الادب العربي المعاصر في الجزائر، الشركة الوطنية للتوزيع والنشر الجزائر، ط2، 1983.
77. مريوشأحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 1، كنوز الحكمة للنشر والتوزيع، ط1، ص2013.

78. مطبقاني مازن صلاح حامد عبد الحميد بن باديس العالم الرباني والزعيم السياسي، دار البشير جدة ط2، 1420هـ-1999م.
79. مقبول صلاح الدين أحمد، دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية وأثرها على الحركات الإسلامية المعاصرة وموقف الخصوم منها، ج1، دار ابن الأثير - الكويت ط2، 1416هـ -1996م.
80. المناوي عبد الرؤوف، فيض التقدير في شرح الجامع الصغير، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، ط2، 1391هـ-1972م، ج2.
81. المودودي أبو الأعلى، موجز تاريخ تجديد الدين وإحيائه وواقع المسلمين وسبيل النهوض بهم، دار الفكر، بيروت - لبنان، ط2، 1386هـ-1967م.
82. ناصر محمد، المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها، من 1903 إلى 1931، م1 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع - الجزائر، 1398هـ -1978م.
83. النجار عبد المجيد، في فقه التدين فهما وتنزيلا، ج1.
84. نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، 2010.
85. النيسابوري أبو عبد الله محمد الحاكم، المسترك على الصحيحين، صححه: أبي عبد السلام بن محمد علوش، ج1، كتاب الإيمان، باب الأمر بسؤال تجديد الإيمان، دار المعرفة، بيروت - لبنان 1418هـ-1998م، د ط.
86. الورثياني الفضيل، الجزائر الثائرة، دار الهدى - عين مليلة، الجزائر، دط، 1992.

3- المعاجم :

87. ابن منظور الافريقي جمال الدين أبي الفضل، لسان العرب، المجلد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ-2005م.
88. الزبيدي، محمد مرتضى، تاج العروس من جواهر القاموس، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت - لبنان، م2.

4- الرسائل:

89. بجاوي محمد، المجددون الجزائريون في الجيش الفرنسي 1830-1900م، إشراف شاوش حباسيمذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة بوزريعة، الجزائر، 2005-2006.

90. بلحاج صادق، الصحافة العربية في الجزائر بين التيارين الإصلاحية والتقليدية، 1919-1939، إشراف الدكتور بوشياخي شيخ، جامعة وهران، 2011-2012م.¹
91. بلعجال أحمد، الخطاب الإصلاحية عند الزاهري، إشراف الدكتور الجمعي حمري، رسالة ماجستير في التاريخ، جامعة منتوري قسنطينة، 2005-2006م.
92. بلعيفة أمين، التنشئة السياسية عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين 1931-1956م، إشراف الدكتور عامر مصباح، رسالة ماجستير في التنظيم السياسي والإداري، جامعة يوسف بن خدة، 2007-2008.
93. بن حسن أنس بن محمد جمال، التجديد بين الإسلام والعصرانيين الجدد، إشراف الدكتور يحي بن علي بن يحي الدجني، رسالة ماجستير، الجامعة الإسلامية غزة، 143هـ-2013م.
94. بوقرة زيلوخة، سوسيولوجيا الإصلاح الديني في الجزائر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا إشراف بلقاسم بوقرة، مذكرة ماجستير جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.
95. تاورته محمد العيد، نثر الشيخ محمد البشير الإبراهيمي في الفترة من 1929 إلى 1939، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب العربي الحديث، جامعة قسنطينة، معهد الآداب والثقافة العربية.
96. حملات عبد القادر، أثر الحركة الوطنية في شعر محمد جلواح، إشراف الدكتور عبد الملك مرتاض، رسالة ماجستير، جامعة السانية، وهران 2009-2010م.
97. دبي رابع، السياسة التعليمية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها 1830-1962، دراسة تحليلية، بلعربي إشراف الدكتور الطيب، أطروحة دكتوراه في علوم التربية، جامعة الجزائر 2، 2010-2011.
98. دلندة لبنى، الفنون النثرية في آثار البشير الإبراهيمي، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في الأدب الجزائري الحديث، جامعة باتنة، 2015-2016.
99. ديدان محمد، الخطاب النقدي الثقافي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إشراف خالد عيقون، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير جامعة مولود معمري - تيزي وز، 2015م.
100. زاهي محمد، الأوقاف في الجزائر خلال الفترة الاستعمارية 1830-1870م، إشراف الدكتور حنفي هلايلي، جامعة جيلالي اليابس، سيدي بلعباس، 2014-2015م.
101. السلمي دلال بن هومل، التجديد في التفسير في العصر الحديث، مفهومه وضوابطه واتجاهاته إشراف الدكتور أمين باشا محمد عطية، رسالة دكتوراه في التفسير وعلوم القرآن، جامعة أم القرى 1435هـ-2014م.

102. الشابي سهام ، الفكر الإصلاحى لخير الدين التونسى 1225-1307هـ-1810-1889م، من خلال كتابه أقوم المسالك فى معرفة أحوال الممالك، إشراف الدكتور عاشورى قمعون، مذكرة ماستر فى تاريخ المغرب العربى، جامعة الوادى، 2013-2014م.
103. شريف عبد الغفور ، موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية من خلال جريدة البصائر (1954-1956م)، إشراف الدكتور أحسن بومالى، رسالة ماجستير فى علوم الإعلام والاتصال، جامعة الجزائر-3، 2010-2011.
104. شفرى شهرة ، الخطاب الدعوى عند جمعية المسلمين الجزائريين، شهادة ماجستير فى الدعوة الإسلامية، إشراف الدكتور زمران محمد ، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2008-2009م.
105. صديقى بوبكر ، البعد المقاصدى فى فتاوى أعلام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إشراف الدكتور مسعود فلوسى، رسالة ماجستير فى العلوم الإسلامية، جامعة الحاج لخضر باتنة، ص 2010-2011م.
106. عباس محمد، البشير الإبراهيمى أديبا، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، 1983م.
107. عبدي خيرة ، المنهج العقدي فى بناء المجتمع الإسلامى عند رجال الإصلاح الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البنا حسن أنموذجا إشراف الدكتور سعيد رحمانى، رسالة ماجستير، جامعة يوسف بن خدة، الجزائر 2013-2014.
108. عمارة حياة، أدب الصحافة الإصلاحية الجزائرية من عهد التأسيس إلى عهد التعددية، إشراف الدكتور محمد عباس، أطروحة دكتوراه فى الأدب، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، 2013-2014.
109. فايد بشير ، قضايا العرب والمسلمين فى آثار الشيخ البشير الإبراهيمى والأمير شكيب أرسلان، إشراف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، أطروحة دكتوراه العلوم فى التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة منتوري قسنطينة، 2009-2010م.
110. مازن صلاح مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها فى الحركة الوطنية 1349-1358هـ-1931-1939م، إشراف الدكتور محمد عبد الرحمن برج، مذكرة ماجستير، جامعة الملك عبد العزيز، 1984-1985م.
111. مرجى عبد الحليم ، قضايا تحرير المغرب العربى عند محمد البشير الإبراهيمى وعلال الفاسى، 1919-1962م. إشراف مقلاتى الدكتور عبد الله ، رسالة ماجستير فى التاريخ، جامعة محمد بوضياف، المسيلة، 2014-2015م.

112. منوبه بوهاني، الفكر المقاصدي عند محمد رشيد رضا، إشراف الدكتور مسعود فلوسي، أطروحة دكتوراه، جامعة الحاج لخضر، باتنة، 2006-2007م.

5-المقالات:

113. الابراهيمي البشير ، أنا، مجلة الثقافة، السنة الخامسة عشر، العدد 87، 1985م.

114. الابراهيمي البشير، خلاصة تاريخ حياتي العلمية، مجلة الموافقات لمعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر العدد4، السنة الرابعة، محرم 1416هـ/جوان 1995م.

115. بن سميينة محمد ، ملامح من اسهامات الشيخ محمد البشير الابراهيمي في المشروع النهضوي بالجزائر، مجلة الموافقات.

116. بن شاكر الشريف محمد، تجديد الخطاب الديني بين التأصيل والتحريف، مجلة البيان، الرياض، ط1، 1425هـ-2004م.

117. الجمالي فاضل محمد ، الشيخ البشير الإبراهيمي كما عرفته، مجلة الثقافة، مرجع سابق.

118. خطاب حسن السيد حامد ، من ضوابط تحديد الفقه الإسلامي، مجلة كلية الآداب بالمنوفية، العدد61، أكتوبر 2007م.

119. دراجي محمد ، الأصول الفكرية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، مجلة الموافقات، المعهد الوطني العالي لأصول الدين، الجزائر، العدد4، السنة الرابعة، محرم 1416هـ/جوان 1995م.

120. زهور ونيسي، بعض من رؤية العلامة الإبراهيمي في الإصلاح الاجتماعي، مجلة الثقافة .

121. السلامي عزيز، أسس العملية التربوية ومقوماتها عند العلامة محمد البشير الإبراهيمي، مجلة موافقات، مرجع سابق.

122. صابر محي الدين ، محمد البشير الإبراهيمي والدعوة القومية، مجلة الثقافة، مرجع سابق

123. الطائي عبد الرزاق خلف محمد ، خبر الدين التونسي ومشروعه النهضوي، صحيفة دنيا الوطن، تاريخ النشر21-05-2010.

124. الغزالي محمد ، مع البشير الإبراهيمي في القاهرة، مجلة الثقافة.

125. فضلاء محمد الطاهر ، دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في المقاومة الوطنية، مجلة الثقافة، العدد 86 مارس - أبريل 198.

126. القرضاوي يوسف ، مقومات الفكر الإصلاحية عند الإمام محمد البشير الإبراهيمي، موقع العلامة الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله.

127. ملفوف صالح الدين ، تجليات الفكر الإصلاحى فى الشعر الجزائرى الحديث، مجلة الأثر، العدد 20 جوان 2014، جامعة خميس مليانة، الجزائر.

6-المواقع الإلكترونية:

128. الابيض أنيس ، رشيد رضا والمسألة العربية، ذاكرة طرابلس وتراثها،2016.

129. <http://tourathtripli.com>.

130. الهوطى محمد سعيد رمضان ، نقاط هامة استوقفتني فى فكر الإمام الإبراهيمي، موقع الشيخ عبد

الحميد بن باديس <http://binbadis.net>.

131. حب الله حيدر ، الإصلاح الدينى، عن موقع نصوص معاصرة، الحلقة الأولى، 15 ماي 2015

<http://nosos.net>.

132. حمدوشي الحسن ، التجديد الفكرى، قراءة فى المفهوم، مجلة الكلمة ، العدد 50، السنة الثالثة عشر

شتاء 1427 هـ/2006م. <http://ilyassbelga.blogspot.com>.

133. النهضة الإسلامية، موقع الموسوعة الحرة، ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org>.

134. ناصر أحمد سنة، ملامح الفكر التجديدي عند البشير الإبراهيمي، 2010م.

i. <http://www.odabasham.net/show.php?sid=35082>.

135. موقع الشيخ عبد الحميد بن باديس، تأسيس الجمعية، 9 شعبان 1429 هـ-10-08-

2008م. <http://binbadis.net>.

136. تليمة عصام، جمال الدين الأفغانى والإصلاح السياسى <http://www.essamtallima.com>

137. مجموعة أساتذة اللغة العربية فى الجزائر ناجى تمار، عبد الرحمن بن بركة، المناهج التعليمية والتقويم

التربوي <https://www.academia.edu>

138. مدونة الكاتب والمفكر المغربى عباس أرحيلة، حركات الإصلاح فى العالم الإسلامى، الجمعة 2

أكتوبر 2015 <http://abbasarhila.blogspot.com>

139. معاش مرتضى، الانفتاح والتواصل ومنحنيات الإصلاح والتجديد، مجلة النبأ، العدد 56، محرم

1422 هـ/2001م. <https://annabaa.org>

الفهرس

أ	مقدمة.....
8	المدخل : في معنى الإصلاح والتجديد والمنهج.....
الفصل الأول (نظري)	
حركات الإصلاح والتغيير في الوطن العربي	
25	أولا : قضايا الإصلاح في الوطن العربي.....
27	-أهم الحركات الإصلاحية في الوطن العربي.....
43	ثانيا : نشأة الحركات الإصلاحية في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء.....
44	1-واقع المجتمع الجزائري قبل ظهور الحركات الإصلاحية.....
43	1 1 الواقع السياسي في الجزائر.....
50	1 2 الواقع الاجتماعي في الجزائر.....
52	1 3 الواقع الديني في الجزائر.....
59	1 4 الواقع الثقافي في الجزائر.....
61	2-نشوء الحركة الإصلاحية في الجزائر.....
64	3- رواد الحركة الإصلاحية في الجزائر.....
67	4- الحركة الإصلاحية غايتها ووسائلها.....

الفصل الثاني

البشير الإبراهيمي وجمعية العلماء المسلمين (قراءة في المسار النضالي)

87 أولا : البشير الإبراهيمي حياته وجهاده

87 1 - مولده ونشأته وتعليمه

88 2 - رحلته إلى الشرق

89 3 - انتقاله إلى دمشق

90 4 - العودة إلى الجزائر

91 5 - عمله في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

92 6 - رحلته الثانية إلى المشرق

93 7 - المرحلة الأخيرة في حياة الشيخ

96 ثانيا : جمعية العلماء المسلمين، التأسيس والمسار النضالي

96 1 - بدايات التأسيس

103 2 - ردود الفعل تجاه تأسيس الجمعية

106 3 - أهداف الجمعية ومبادئها

113 4 - وسائل تحقيق الغايات والأهداف

115 5 - ميادين العمل الإصلاحي عند جمعية العلماء المسلمين

115 1-5 العمل في المجال الديني

126 2-5 العمل في المجال الثقافي

144 3-5 العمل في المجال السياسي

152.....4-5 العمل في المجال الاجتماعي.....

الفصل الثالث

ملامح التجديد في منهج الإصلاح عند البشير الإبراهيمي

أولا : التجديد عند البشير الإبراهيمي (مفهومه وركائزه)

164 1 - مفهومه.....

169 2 - ركائزه.....

178 ثانيا : بواعثه وأهدافه.....

178 1 - بواعثه.....

181 2 - أهدافه.....

189..... ثالثا : ميادين التجديد في المشروع الإصلاحى عند البشير الإبراهيمي.....

189 1 - التجديد في الجانب الدينى.....

203 2 - التجديد في الجانب العلمى والثقافى.....

221 3 - التجديد في الجانب الاجتماعى.....

229 4 - التجديد في الجانب الأدبى.....

238 5 - التجديد في الجانب السياسى.....

249 خاتمة.....

255 ملاحق.....

260 قائمة المصادر والمراجع.....

ملخص الرسالة :

جاءت ضرورة التجديد مرافقة لوجهة الأمة العربية التي تخلفت عن ركب الحضارة بماضيها وحاضرها، بفعلها وفعل الآخر وهو الاستعمار، وبين مد وجزر تحركت الأمة العربية، وأفرزت نفوسا تجاذبتها نوازع التجديد والإصلاح، لعل أهمها نفس الشيخ البشير الإبراهيمي، الذي عدّه المفكرون والمصلحون رائدا من رواد التجديد الإسلامي، فالتحم في صفوف جمعية العلماء المسلمين، وأوجد مشروعا تجديديا، أخلص فيه العمل خدمة للدين والوطن، وتحقيق العمارة الحضارية.

الكلمات المفتاحية: التجديد، الإصلاح، المنهج الإصلاحى، محمد البشير الإبراهيمي.

Résumé :

La nécessité du renouvellement est survenue vis-à-vis la nation Arabe qui n'a pu atteindre la civilisation par son passé et de son présent, par son action et par l'acte de l'autre qui est le colonialisme. Entre montée et baisse, la nation Arabe a bougé en faisant des efforts importants en matière de modernisation et réforme, dont la personnalité la plus importante figure en : CHIKH BACHIR IBRAHIMI ; qui a été classifié comme pionnier du renouvellement Islamique, il a ainsi rejoint les rangs de l'Association des savants musulmans, et a créé un projet rédempteur, et a donné un travail sincère pour servir la religion et la patrie, et la réalisation d'une modernisation civilisée.

Mots-clés: Renouvellement , réforme, approche réformiste, Mohammed Bachir Ibrahimi.

Abstract:

The necessity of renewal arose with regard to the Arab nation, which has not been able to reach civilization by its past and its present, by its action and by the act of the other which is colonialism. Between rise and fall, the Arab nation has moved with major efforts towards modernization and reform. Whose most important personality is: CHIKH BACHIR IBRAHIMI; who was classified as a pioneer of Islamic Renewal, he thus joined the ranks of the Association of Muslim Scholars, and created a redemptive project, and gave sincere work to serve religion and homeland, and the realization of a civilized modernization.

Keywords: Renewal, reform, reformist approach, Mohammed BachirIbrahimi.

ملخص المذكرة :

من أكثر القضايا التي اشتغلت بها أقلام المفكرين والمصلحين في الوطن العربي في بدايات القرن العشرين ، هي قضايا التجديد والإصلاح، فتنوعت معانيه وتباينت، غير أنها تصب في معين واحد يستوجب استبدال الواقع الأسوأ إلى واقع أفضل وأحسن، فأصبح هذا الموضوع محط تساؤلات محورية وأساسية، تعرف في أدبيات التداول الفكري بأسئلة النهضة، لماذا تقدم الغرب وتأخرنا رغم ما نملكه من مقومات النهضة؟ وما هي علة هذا التدهور والانحدار؟ وما السبيل إلى إخراج أمتنا من الهوة التي انحدرت فيها؟ ومن يا ترى يستطيع مواجهة هذه الأزمة، فيأخذ بزمامها ويوصلها إلى مرافئ أكثر برا وأمانا؟

فعل الإصلاح والتجديد في الوطن العربي

استشعرت الأمة العربية في بلاد المشرق ضرورة التجديد والتغيير، عندما استحكمت فيها الأزمة وتمكنت، وأغلقت الأبواب في وجهها، وأبعدت عن مسيرة الحضارة فترة، عندها تعالت أصوات من عرفوا بالإصلاحيين وارتفعت حدتها، واتحدت غيرتهم على أحوال الأمة وما آلت إليه من ضعف وخلل في جميع مجالات الحياة، فانطلق كل واحد من هؤلاء يعمل على شاكلته بما ينفع به أمته ووطنه، هم مختلفون في ثقافتهم وبيئتهم وأهوائهم ومزاجهم، ولكنهم متفقون على العودة بالأمة إلى الصفوف الأمامية واللاحق بركب الحضارة والمدنية، فكان جهادهم وجهودهم موضع تقدير وإجلال وإكبار جزاء وفاقا.

والأمة الجزائرية هي جزء من الأمة العربية لا تختلف عنها في ألمها ومعاناتها، بل إن ما مس الشعب الجزائري من ضرر في ظل الاحتلال الفرنسي، لهو أشد قسوة من جاراتها في بلاد المشرق، وتجلى أثر ذلك في كافة مرافق الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية والسياسية، تغريب ديني وثقافي، وتفكك وتهميش اجتماعي، وتدهور

اقتصادي، وفساد سياسي وإداري، ومجمل ذلك كله هو محو لكيان الجزائري بكل مقوماته، وإبعاده عن مسيرة الحياة، كل تلك الظروف مجتمعة لم تكن من عزيمة الرجال المستشرفة للإصلاح والتغيير، بل هيأت لهم الظروف لتحريك الوعي، واستنهاض الهمم، وتقوية الإرادات والعزائم، ودعمتها في ذلك أحاديث متناقلة عن الحركات الإصلاحية في المشرق، والتي فعلت فعلها في النفوس المتبرمة من الحاضر، والمستشرفة لتغييره بما هو خير، ويضاف إليها ما أسماه مالك بن نبي بمعجزة البعث المتدفقة من كلمات الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي أحدث ثورة تعليمية كاملة الأركان، من فكرة صحيحة، وعقول نيرة، ونفوس طامحة، وعزائم صادقة، وألسن صقيلة، وأقلام كاتبة..، وكذلك عودة أبناء البلد البررة الطامحين لتغيير الأحوال وفق الهدي النبوي الكامل، وآخرها هو تلك الحرب العالمية الأولى التي حطمت كل القيم الوهمية التي يختفي من ورائها الجبروت الاستعماري، فكانت هذه العوامل كافية في البداية لظهور أفكار إصلاحية محموددة على العموم، حيث عملت على محاربة البدع والخرافات والجهل، فكان عملهم شريفاً، مهّدوا من خلاله الأرضية الخصبة لخلفهم لمواصلة الجهاد، ولهم في ذلك نيتهم ومقصدهم، ثم توالى الصيحات وتعالى هنا وهناك، فكان أصدقها وأقربها في نفوس الجماهير هي حركة الأمير خالد التي دعت إلى النهوض بواجبات الدين والوطن، فكانت نواة حقيقية للحركات الوطنية الموالية.

عمدت هذه الحركات إلى بعث مشروع إصلاحي في الجزائر، فوجدت له كل ما رأته مناسباً من وسائل فعالة أهمها :

- الصحافة الوطنية التي اعتبرها الإصلاحيون من أمضى الأسلحة لمحاربة خصومها، وإن بدت محتشمة في بداياتها، فبرزت صحف على غرار جريدة الجزائر، وذو الفقار، والإقدام..، ثم توالى الصحف والمجلات بعد

الحرب العالمية الأولى، وعرفت نهضة حقيقية بظهور المنتقد والشهاب لعبد الحميد بن باديس، وقدمت هذه الصحف تضحيات جسام عندما واجهتها صحف معايدة للمسار الإصلاحى فى سبيل الجهر بصوت الحق عالياً، وأعطت دفعا قويا للعمل الصحفى فى الجزائر ووجهها جديدا للصحافة الإصلاحية شكلا ومضمونا.

- النوادي والجمعيات والمراكز الثقافية التى قدمت جهودا عظيمة فى طريق الدعوة الإصلاحية، ووضعت البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية، فكانت الأبلغ أثرا، والأكثر إشعاعا فى سماء الإصلاح.

- المدارس والمعاهد التى لعبت دورا فعلا فى بعث المكامن الوطنية، وإحياء مقومات الشخصية الجزائرية، ووقفت سدا منيعا أمام مخططات الاحتلال الملعمة لامتصاص الطاقات، وإضعاف المقاومة، فكانت الأساس المتين للوطنية الحقيقية، هذه الروافد كلها ساعدت على انبثاق أكبر حركة إصلاحية فى الجزائر التى كان لها أكبر الأثر فى النهضة الجزائرية، وهى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمشروعها الإصلاحى التجديدي، الذى أقامه عالمن جليلين هما الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الإبراهيمي، وهذا الأخير الذى تبلورت على يديه معالم التغيير والتجديد.

البشير الإبراهيمي ومسيرة النضال فى رحاب جمعية العلماء المسلمين:

ملاح من شخصية البشير الإبراهيمي:

ولد الشيخ محمد البشير الإبراهيمي فى يوم 14 من شوال عام 1306هـ الموافق لـ 13 جوان 1889م، بقرية أولاد ابراهم فى مقاطعة قسنطينة، نشأ فى بيت درج على العلم والمعرفة أبا عن جد، صقل الإبراهيمي شخصيته عن طريق الأخذ من علوم عدة فى النحو والبلاغة والفقہ والأصول والشعر، الأمر الذى جعله يتصدر التدريس فى سن مبكرة، رحل الإبراهيمي إلى المشرق وتنقل بين بلادها ابتداء من المدينة المنورة، ثم

القاهرة، ثم دمشق، وهو في ذلك ينتقل بين مجالس العلم يأخذ من علمائها، وبين المكتبات الغنية يستزيد من علمها، وبين هذا وذاك يلقي الدروس متطوعاً، وما زاد من بركة هذه الرحلات هو التقائه برفيق دربه الشيخ عبد الحميد بن باديس، الذي اتفق معه في موسم الحج التمهيد لمشروع جمعية العلماء المسلمين، عاد الإبراهيمي إلى الجزائر يحمل مشروعاً يبغى من ورائه إحياء الأمة، بجميع مقوماتها، فأنشأ هو ومجموعة من العلماء الفاعلين "جمعية الإخاء العلمي"، التي تبلورت في ما بعد لتصبح جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، عمل في الجمعية قائداً ومعلماً وموجهاً ومرشداً أثناء وبعد وفاة زميله الشيخ ابن باديس، وتعرض لسلسلة من المضايقات من إدارة الاحتلال التي كانت ترصد جميع نشاطاته، الأمر الذي اضطره لمعاودة السفر إلى الشرق لبعث نشاطه الإصلاحية والتعريف بالقضية الوطنية، وجمع الدعم المادي والمعنوي الذي يساند الثورة المباركة، ويشد على عضد الثوار الأحرار.

عاد الإبراهيمي إلى الجزائر بعد أن بسط الاستقلال أجنحته ودعا الشعب من مسجد كتشاوه إلى الانصراف إلى الإصلاح والتجديد والبناء والتشييد والاتحاد وعدم الفرقة والتشتت، وحذرهم من مغبة الانزلاق في مخلفات الاستعمار، توفي رحمه الله في 16 أبريل 1964م، عن عمر يناهز السادسة والسبعين، واهبا حياته لدينه ووطنه وأمته، التي ما فتئت أن تناست ما لهذا الرجل من أيدٍ ومآثر وإسهامات تستحق الذكر والتمجيد، لم تخلو بعض الدراسات المتأخرة أن تحييها وتذكر بها.

جمعية العلماء المسلمين قراءة في المسار النضالي :

إن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انبنى على فكرة تباحثها العالمان الجليلان عبد الحميد بن باديس والبشير الإبراهيمي عندما كانا في المدينة المنورة يتدارسان واقع الأمة الجزائرية التي أنهكها الاحتلال

وأعوانه،فاتفقا فور عودتها إلى الجزائر على البدء في حركة علمية تجمع بين العلماء المتنافرين والمختلفين،

وتوحد جهودهم في سبيل تحقيق الإصلاح المنشود،والوقوف صفا واحدا أمام المضللين من الطرفين

والمبتدعين الدجالين،غير أن المشروع تعطل وقتا بفعل حوادث أرجعها الإبراهيمي إلى عدم نضج الاستعداد

لمثل هذه الأعمال الجليلة، واستقرار الأذهان على تقبلها،غير أن هذا التأخر كان دافعا لاستمرار العلماء في

دعم هذا المشروع الجليل،وزيادة التحضير للتأسيس،إلى أن كانت سنة 1931م حيث تم إخراج مشروع

جمعية العلماء على أرض الواقع،وتم وضع قانونها الأساسي بعد اتفاق العلماء عليه وانتخاب الهيئة الإدارية

التي جعلت الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسا لها،والشيخ البشير الإبراهيمي نائبا له،غير أن هذه الخطوة

لم تكن خفيفة الوقع على إدارة الاحتلال وعلى الحركات التي ألقت جهل الأمة وسداجتها، وعاشت على

موتها، لكن الجمعية واصلت عملها بإصرار،وارتقت به إلى المستوى المطلوب من التنظيم، والتدقيق،

والإحكام.

كشفت الجمعية منذ بدايتها عن أهدافها الأساسية،التي تدعو إلى العودة إلى مبادئ الإسلام الصحيح

بالقضاء على البدع والضلالات المحدثه فيه،والاهتمام باللغة العربية والتاريخ الإسلامي،وتنشئة جيل متعلم

ومثقف وواع بضرورة القيام بالأمة،واسترجاع استقلال الجزائر وتحقيق النهضة المنشودة،وفي سبيل تحقيق ذلك

حشدت الجمعية مجموعة من الوسائل والأساليب وهي المسجد، والمدرسة، والنوادي، والصحافة التي أحدثت

انقلابا فكريا حركت به الجمود الذي ركن إليه الشعب الجزائري عن ضعف واستكانة،وحققت بذلك نتائج

عظيمة وإنجازات جليلة،وقد عبر عن ذلك أحد أبناء الجمعية يقول: "إن جمعية العلماء قد أحييت الجزائر

وبعثت فيها عربيتها، التي كادت تغيب، وإسلامها الذي كاد يقضى عليه. " ¹ والمتتبع لحركة الجمعية يجد أنها تعمل بشكل متنوع، ممتد يمس كل ميادين الحياة الدينية والاجتماعية والثقافية والسياسية.

- في المجال الديني : كان عمل الجمعية في هذا المجال عملاً شاقاً لأن الانحراف الديني بلغ أقصى ما يطمح إليه، من اعتداء سافر على مقدسات الإسلام ومعامله من المستعمر والطرقية، فلم يكن هناك مجال لمهادنة الانحراف ومحاورته، وإنما الهجوم عليه مغافصة، والقضاء على المرابطة التي أحاطت نفسها بحجب القداسة والإجلال، وأفسدت على الجزائريين عقولهم ببث الخرافات والأباطيل في العقيدة الإسلامية حتى أفرغوها من حقيقتها، ورفقوا بذلك وحدة الأمة وتربطها الاجتماعي، ولم تكف تفرغ الجمعية من حربها ضد الطرقية حتى واجهها، المشروع التبشيري المسيحي والإلحادي، واللذين يهدفان إلى إخراج المسلمين من دينهم، ومسح هويتهم العربية الأصيلة، وهدم قيمهم ومقوماتهم حتى يسهل القضاء عليهم.

فقامت الجمعية بنهضة علمية وثقافية ودينية عن طريق النوادي الكثيرة، والجمعيات العديدة، والمساجد والمدارس الحرة، والصحافة، وهو موقف يجسم قامتها وتطلعاتها في واجهة البناء.

- في المجال العلمي والثقافي :

إلى جانب الإصلاح الديني هناك هدف كبير بالغ الأهمية سعت الجمعية لتحقيقه، ويتمثل في بعث الثقافة العربية وتفعيلها، من خلال مشروع التربية والتعليم على اعتبارهما الأداة الأضمن للمحافظة على الروح الجزائرية التي كانت مهددة بالابتلاع من قبل الثقافة والفكر الفرنسيين، من أجل ذلك باشرت في إنشاء المدارس الحرة وتوسيع دائرتها، حتى عرف التعليم العربي الحر قفزة نوعية بفضل الجهود الوفيرة لرجال

¹ بوبكر صديقي، مرجع سابق، ص 18

الجمعية، كما أنها أولت عناية كبيرة بتعليم المرأة المسلمة لأنها عماد الأسرة واللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، فأخذت على عاتقها مسؤولية تعليم المرأة تعليماً هادفاً على أساس متين من الدين والأخلاق، يرمي إلى نهضة الأسرة الجزائرية المسلمة، وحماتها من دعاة التغريب الذين يريدون سلخها من مقوماتها الشخصية الإسلامية.

عملت الجمعية أيضاً في ميدان الصحافة، التي حظيت بمكانة مرموقة في فكر العلماء الذين اشتغل جلهم في ميدانه حتى قبل تأسيس الجمعية، وهي أيضاً سلاح نافذ في وجه الاحتلال وإفشال مخططاته، فكانت المنتقد، والصديق، والإقدام، والشهاب، والسنة، والبصائر، وغيرها صحف رفعت راية الإصلاح والدفاع عن الإسلام والعروبة والهوية الجزائرية، كما كانت شديدة اللهجة في مواقفها تجاه أعداء الإصلاح رغم ما تعرضت له من تعسفٍ وقمعٍ وتضييقٍ.

- في المجال السياسي :

مارست الجمعية العمل السياسي في كافة مراحلها باعتبارها جزءاً من الحركة الوطنية، ولإدراكها أن الإصلاح لن يتم إلا إذا استوفى جميع جوانبه، حتى تكتمل صورته وتتضح، وقد أظهرت الجمعية آرائها السياسية في الكثير من القضايا الوطنية على غرار التجنيس، والاندماج، والمؤتمر الإسلامي، والقضايا العربية، كالقضية الفلسطينية، والمغرب العربي الكبير، وتابعت ما يجري حولها بعين المهتم بقضايا أمته، يبغى من وراء ذلك تحقيق الوحدة الجامعة بين العرب، فكان حماسها لما ينفع الوحدة العربية على أساس العروبة والإسلام والشخصية الحضارية المتميزة.

- في المجال الاجتماعي :

اقتنعت الجمعية بضرورة النهوض بالأمّة الجزائرية، وتخليصها من أزمتها على كافة الأصعدة بما فيها الصعيد الاجتماعي، الذي تفتشت فيه العلل والأسقام، والفقر والجهل والامية والابتعاد عن كتاب الله وسنة نبيه الكريم، وهي صور عن حياة اجتماعية بتراء ومشوهة كان يعيشها الشعب الجزائري، وقد عاجلت الجمعية جميع هذه القضايا وأعطتها حقها من العناية والاهتمام، محاولة إيجاد الحلول المناسبة لها، ولعل أهم قضيتين شغلنا فكر الجمعية وأخذتا حيزا من مشروعها الإصلاحي، هما المرأة والشباب، فعملت على إقحام المرأة في مجال العلم والعمل بما يوافق طبيعتها ووظيفتها الأسرية، ولا يخرجها عن المسار الصحيح في الدين والأخلاق لتقود إلى جانب الرجل سفينة النهضة، كما سعت إلى احتضان فئة الشباب، لأنهم عماد النهضة، وأساس بنيتها، والعنصر الأكثر فاعلية في مسار حياتها، فأخذت بأيديهم عن طريق تكوينهم تكوينا يبعدهم عن طرق الضياع والجهل، ومحملة إياهم بعد استكمال حقوقهم تأدية واجباتهم تجاه الأمّة والدين والتاريخ والمستقبل..

التجديد في منهج الإصلاح عند البشير الإبراهيمي :

كثيرون هم الأدباء والمفكرون الذين تحدثوا عن الإبراهيمي، وعن قامته الإصلاحية، فالرجل سابقة عصره في هذا المجال، بطرحه الجديد الذي يدعو إلى التغيير والتجديد، مقتديا في ذلك بمدرسة الإحياء والتجديد التي قادها الإمام محمد عبده العقل المهندس لهذه المدرسة، والإبراهيمي من العلماء العاملين للأمّة، فقه ضرورة التجديد إدراكا منه بشرعيته الثابتة في الإسلام انطلاقا من قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يبعث لهذه الأمّة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها." فهذه الضرورة قادته إلى الاضطلاع بمهمة التجديد والتغيير، ينطلق من واقع المجتمع، ويستقرئ مشاكله في سبيل الوصول إلى حلول فاعلة، ينفذها على

أرض الواقع، وقد اكتسى هذا المفهوم معاني الإحياء والاجتهاد والنهضة والتغيير، لكنها تقود في مجملها إلى إعادة صياغة جديدة لواقع الشعب الجزائري، تسد الثغرات ثم تعيد البناء من جديد على أساس متين من الدين والعلم والأخلاق والمال، التي تمثل الدعائم والركائز الثابتة لهذا المشروع، فالتجديد لازم لاسترجاع ما كانت عليه الأمة الإسلامية من عز وفخار ومجد وحضارة، وتدارك ما فاتها في هذا الصراع الحضاري الطويل، وفق رؤية تجديدية لتحقيق الوحدة والهداية والسعادة في ظل كتاب الله، وسنة رسوله الكريم -عليه أفضل الصلاة والتسليم-.

-استطاع الإبراهيمي أن يستمر في هذا المشروع التجديدي انطلاقاً من إيمانه العميق بوجود النهوض والتطور، كما أن ثقافته الموسوعية، ومواهبه الفذة، أسهما في اكتمال الشخصية القائدة التي تحمل هموم الأمة، وتتفاعل معها، وتقدم الحلول والعلاج لآفات وأمرضها، كل ذلك أعانه على تنفيذ مشروعه التجديدي، الذي يتضمن خطة مكتملة الأركان والنواحي، في الدين والثقافة والسياسة والأدب والاجتماع، حتى تكتمل نهضة هذا الشعب، ويواكب مسيرة التقدم والنمو عند الأمم الأخرى.

-التجديد في الجانب الديني : أول ما بدأ به الإبراهيمي في مشروعه التجديدي هو الناحية الدينية، نظراً للانحراف الديني السافر الذي كان يعيشه الشعب الجزائري بتواطؤ من الطريقة الضالة مع الاحتلال الفرنسي، وإلقاء بالمقاليد إليه، فكان لابد من مواجهة هذا التيار الجارف بحزم وقوة، والقضاء على المرابطة التي أحاطت نفسها بحجب القداسة والإجلال، فاقتضت خطة العمل التركيز على إحياء الدين الصحيح في نفوس المسلمين بتصحيح عقيدتهم التي خالطتها البدع والضلالات والمنكرات، والتي أوردت الأمة موارد الهلاك، فوجد في سبيل ذلك كل وسيلة مناسبة تخدم هذا الهدف الشريف، فكانت المدارس والمساجد

والصحف أهم أدواته في هذا النضال، ثم عمل على استعادة الدور الفاعل للعلماء في الدعوة والتوجيه والإرشاد والإصلاح والتغيير، بل ثار على العلماء الذين تخلوا عن دورهم في الإصلاح والدعوة إلى الحقوا بالمقادة إلى دعاة الضلالة من المشعوذين والطرقين، فأضلوا عن سواء السبيل، كما أنه دعا إلى فتح باب الاجتهاد واسعاً، وعدم التحجير على العقول، والتفوق في بوتقة من الخمود والركود مما يسهل على العامة التعدي على أحكام الله تعالى، ولذلك حذر من التعصب الفقهي، ومن الجمود، وعدم إعمال الفكر والعقل في الدين والدنيا، بل لا بد من اجتهاد في استخراج الأحكام التي تلامس الواقع اليوم وتوجد الحلول المناسبة له دون إخلال بالنص الشرعي.

-التجديد في الجانب الثقافي والعلمي : انطلاقاً من مظاهر الضعف والوهن الذي عرفها المجتمع

الجزائري في هذا الجانب، وبعد أن فقدت الأمة كل مقومات الفكر الحضاري والتربوي، كانت الحاجة ضرورية لعملية إصلاحية تربوية وثقافية شاملة، وضع الإبراهيمي خطتها وفق نظرة تربوية سديدة، وفكر تعليمي متميز، فألقى كل ما في جعبته من آراء ونظريات وفلسفات إصلاحية، شملت المنظومة التربوية بأكملها، فتحدث عن المعلم ومواصفاته التي تقوده إلى إنجاح رسالته التربوية ويبلغ بها المعلم شرف المهنة، ويخلق التوازن والرغبة في نفوس المتعلمين للإقبال على العلم والمعرفة، و ثم تحدث عن المتعلم باعتباره محور العملية التربوية التعليمية، وعن ضرورة إعدادة على خير طريقة تصقل فكره وعقله ولسانه، وتصحح نظرتة للحياة، لينفع نفسه ووطنه، وعن طرق التعليم والمواد العلمية وأنواعها وخصائصها التي تقود إلى الفهم الصحيح، وتسائر العصر وقوته ونظامه، وفي سبيل إنجاح هذه الرسالة التربوية تظافت جميع المؤسسات والوسائط التربوية والتعليمية، وكلها تهدف إلى إعداد الفرد، وتوجيه السلوك، وتوحيد المناهج، بما يضمن الاستمرار والفاعلية في الحياة، ولم يغفل الإبراهيمي دور الثقافة والمتقنين في النهوض بالثقافة العربية

الإسلامية، بل دعاهم إلى ضرورة تفعيلها في الواقع لفهم مستجداته، مع الحفاظ على التراث والأصالة، وتوجيه الشباب الجزائري نحو هذه الثقافة العربية الإسلامية لمواجهة رياح التغريب والفرنسة، كما أن الإبراهيمي كان يرى في الانفتاح والتواصل والتفاعل الإيجابي مع الحضارات الأخرى سبيلا لبناء الحياة في اتجاه مستقيم، يكرس التنافس والاستفادة الإيجابية.

-التجديد في الجانب الاجتماعي : تعتبر هذه الناحية من الإصلاح في المشروع التجددي الإبراهيمي،

هي الأهم، نظرا لبشاعة المأساة التي كان يعيشها الشعب الجزائري، والتي عملت على انحرافه في المجالات الأخرى، فالجوع والفقر والامية والانحلال الأخلاقي، هي كلها مظاهر لهذه المأساة، فكان سعي الإبراهيمي حثيثا نحو إصلاح سديد وسليم وجذرين لا يبلى ولا يترهل مع العوارض والأحداث اليومية، وبحكم تعمقه في الحياة الاجتماعية للشعب الجزائري، استطاع الإبراهيمي أن يرسم معالم الكثير من المشكلات الاجتماعية كالفساد الأخلاقي، والتفكك الأسري، وقضايا الزواج والطلاق وغلاء المهور، وواقع المرأة والشباب، فلم يسعه وهو يتحسس مكامن الضعف في هذه الأمة إلا أن يلتف حول قلمه، ويعالج هذه القضايا معالجة فاعلة، وهو في ذلك كله ينطلق من الهدى الإسلامي، من النصوص الموثوقة في الكتاب والسنة، فقد جاء فيهما كل حل لمشكلات الفرد والمجتمع، لذلك ما انفك الإبراهيمي يؤكد على أهمية الأسرة ودورها في البناء والتشديد، فهي مرتكز النهضة الحضارية باستمرار، وأكد كذلك على وجوب التعاون الاجتماعي باعتباره سمة ضرورية في المجتمعات الإنسانية لتحقيق أهداف مشتركة، كما أنه تطرق لقضايا المرأة والشباب، ودعاهما إلى الأخذ بزمام القوة في العلم والعمل والحياة، وأظهر في كل ذلك قدرة واضحة على ملامسة هموم الأمة ومشكلاتها، يبغي من وراء ذلك انتظام شملها، واستقامتها على الجادة الصحيحة، والتمكين في الأرض.

-التجديد في الجانب الأدبي : أظهر الإبراهيمي براعة كبيرة في هذا الجانب، لأنه ميدانه الذي لا ينافسه

فيه أحد، فقد كان أديبا مبدعا يسحر العقول والقلوب بفساحته وبيانه، وقد أدرك أن الأدب قوة فعالة في

الإصلاح والتغيير، فقد عمل على تأسيس الجمعيات الأدبية التي تعمل على تقارب الأفكار والآراء

والشعوب من بعضها البعض، بما يحقق غلبة الحق على الباطل، والعلم على الجهل، كما شارك بقلمه في بناء

النهضة الأدبية، وأظهر براعة فائقة في ميدان الشعر والنثر، غير أن النثر كان أوفر حظا من الشعر، فطرق من

خلاله أبوابا كثيرة، كالمقالة والخطابة والرسالة، واتخذ من كل باب منها أداة للمقاومة، والتعبير عن فكره تجاه

وطنه وأمته، وفق ماتقتضيه ضرورات الإصلاح والتجديد، فبرز في جميع هذه الفنون، وعبر بها عن الفكرة

الإصلاحية، واستطاع أن يؤثر بها في نفوس الجماهير المتعطشة للتجديد والتغيير، فأحدث سبقا في تاريخ

الأدب الجزائري بطرقه لموضوعات الدين والسياسة والاجتماع والثقافة والفن، فاتسمت كلها بروح الانتماء،

وصدق العاطفة، وبعد النظر، وبراعة التحليل، والفكر المنطقي، وساقه إلينا دررا نفيسة بقلمه بديع، وأسلوب

رصين، ووحجة بالغة.

-التجديد في الجانب السياسي : اعتنى الإبراهيمي بالسياسة عناية بالغة لأنها الأساس للإصلاح

الاجتماعي والتربوي والثقافي، فكان زعيما سياسيا محنكا، فقه السياسة، وعرف دروبها، وعمل على تربية

سياسية تترفع عن السفساف والتفاهات التي لا تأتي بنتائج صحيحة، وإنما تعمل على إيجاد الأمة وإحيائها

وتحريرها من الاستكانة والركون لهذا الاحتلال، فأطلق صرخات عالية يدعو فيها إلى الجهاد والتحرير الكامل

بعد أن استكمل إعداد الشعب بتخليصه من التبعية للطرقية والاحتلال، كما وجه نداءاته إلى جميع الفئات

والأحزاب في الجزائر العاملة لخدمة القضية الوطنية، دعاهم إلى ضرورة الاتحاد، ونبذ الفرقة والشقاق، لأن

الاحتلال يحاول بذلك بث الفرقة بين أبناء الشعب الواحد من أجل توهين قواهم، وتشتيت أفكارهم، فلا بد من التفاف كل الشعب الجزائري حول بعضه من أجل إنجاح قضيته وتحرير وطنه، وكفى بالاتحاد ربما ونجاحا. ثم اتجه إبراهيمي بقضيته إلى منحى آخر، وهو تدويل القضية الجزائرية، فخلق هنا وهناك يدعو الدول العربية لمساندة الشعب الجزائري، فنجح في مساعيه الرامية لإيصال صوت الثورة عاليا إلى مشارق الأرض ومغاربها، ولم تقف جهوده عند حدود قضيته، بل تعدتها لتشمل قضايا العرب والمسلمين وعلى رأسها القضية الفلسطينية، والمغرب العربي الكبير، وتحقيق الوحدة الجامعة العربية والإسلامية.

إن عمل إبراهيمي في التجديد، واشتغاله على هذه الأطروحات ليدل على سعة تفكيره، وعلو قامته، وفاعليته في التعامل مع المشكلات والقضايا الشائكة، فواجبنا الوفاء لرجال نهضتنا وجهودهم ومواقفهم الرامية لخدمة الدين والوطن.

INTRODUCTION

In the name of Allah the most beneficent the most merciful

Praise be to Allah the Lord of the entire universe, and blessings and peace be upon his prophet .

In the early 20th century , the Arab world witnessed the resurgence of reformist movements which were brought up by intellectuals and reformers , who adopted the act of renewal and reform as a necessary means of correcting the concepts of religious and intellectual beliefs in all aspects of life.

These reformist movements have been able to rehabilitate the body of the Arab nation, and move forward with it after being affected by factors of weaknesses accompanied with calamities that were caused by colonialism. The idea of reform moved to Algeria and was clearly apparent after being influenced by the general reformist thought that prevailed in the Arab and Islamic nation This has contributed in the emergence of many reformist movements on its soil that have produced a satisfactory response and aimed at serving the Algerian people and changing their situation . Those movements in Algeria managed to make a difference and to represent the aspirations of the Algerian people .especially after the foundation of the Algerian Muslim Scholars Association which had worked sincerely in fighting all manifestations of religious , cultural , social and political deviation resulting from the effects of colonialism, and put the first building blocks on the path of general renaissance.

A Group of reformers worked for this association in order to serve the society and to help people increase awareness and vigilance and adopt the spirit of jihad and resistance such as Sheikh Abdul Hamid Bin Badis , Sheikh Bashir Al-Ibrahimi , Sheikh Al-Tayeb Al-Aqbi, Sheikh Mubarek Al-Milli and others. Sheikh Abdul Hamid Bin Badis and Sheikh Bashir Al-Brahimi were at the head of the association since they were the first to think about the project and carry the idea of renewal and change.

In fact I could not study the project of each of them aside, thus I stood on the character of Sheikh Bashir Al-Ibrahimi to monitor the features of innovation in his project from the perspective of the reformist approach. Thus, it was necessary to answer questions about the nature of this project, its strategic objectives and the way that was adopted by Sheikh Bashir Al-Ibrahimi to carry out his project in the context of the conflicts and problems that had engulfed the Algerian society at that time.

These were the questions on which the study was built which was not unique in expressing loyalty to this great reformer for his fight but it may be distinguished in the way it dealt with the man's work.

The importance of the research is that it deals with the revolutionary movement of Bashir Al Ibrahimi during the crisis and blockage within the Algerian nation because of the exhausting ideas, as expressed by Thinker Malik Bin Nabi , and to remove the pitfalls and trace the advancement path in a clearer way.

Perhaps what prompted me to study Al-Ibrahimi's curriculum in reform and renewal is a subjective conflict that infused the love of Islamic thought in general and the Brahimi thought in particular .Besides, this character of virtue and merit deserves care and recognition. The methodology of the study can be determined by its nature which requires extrapolation and Analysis. In this respect, I

have collected Brahimi's reformist views and ideas and then analyzed them and conclude the rules and the objectives behind this project. I also used the historical approach in my talk about the establishment of the association and the biography of al Ibrahim.

The nature of the research required me to divide it into three chapters preceded by an introduction in which I explained a set of terms related to reform. And then I moved to the first chapter which is the reform movements in the Arab world where I stated the most important movements in the region and their shape in Algeria in addition to the most relevant pioneers of those movements.

The second chapter dealt with the personality of Bashir Al-Ibrahimi , and his remarkable work in the ranks of the Muslim Scholars Association which I stated how it was founded , its objectives and its activities during its reformist process. In the third chapter I spoke about the features of renewal in the reform approach of Bashir al- Ibrahimi . I focused on his vision to the process of renewal through its concepts , its motives , its objectives and its areas. To come out at the end of the research with a conclusion which includes the most important findings of the study.

To do the research , I used a collection of sources and references that were distributed among books , university letters and magazines. Among the most important ones are "al bashir ibrahimi effects " , compiled by his son Dr Talib Brahimi , which is a collection of articles published by the Imam in the national magazines and newspapers ; and "Register of the Association Of Algerian Muslim Scholars " , which included a series of administrative reports about the work of the assembly, and some of the intellectual topics that interested the pioneers of the assembly, in addition to "In The Heart Of The Battle" which is also a collection of documents, telegrams and speeches; he edited on behalf of the assembly.

I also used reformist thought books such as Ahmed Amine's "Reform Leaders Of The Modern Age", "Mohamed Abdou 'S Reform Approach" by Muhammed Amara, and "The Renewal Of Islamic Thought" by Hassan al-Turabi, and "Sociology Of Religious Reform In Algeria" which is a dissertation to obtain a master's degree from the university of Hadj Lakhdar Batna, by the researcher Ziloukha Bouguerra.

Besides , I employed books on the Algerian national movement , such as the writings of Dr Abi el; Qasim Saadallah , entitled "Research And Views In The History Of Algeria" , " The Algerian National Movement", " Algeria 'S Cultural History" and "The Algerian Association Of Muslim Scholars And Its Reform Effects " by Ahmed Al-Khatib, and " The Association Of Algerian Muslim Scholars And Its Relationship With Other Movements" by Abdel Karim Bou Saffsaf.

I also utilized books and letters in the Arabic criticism, including the " Renaissance Of Contemporary Arabic Literature In Algeria" by Abdelmalek Mortada , and " Modern Algerian Poetry" by Salah Kharafi and " Bashir Ibrahim As An Author", which is a thesis to obtain a master's degree of my supervisor DR Muhammad abbas from the university of Baghdad , and " The Prose Of Al-Bashir Ibrahim From 1929 To 1939 " , by the researcher Mohammed El Aid Taorta. I relied on some magazines that dealt with the thought of the Imam and his reformist positions such as Al-Shehab magazine , , the Culture, the Approvals and Al-Busayer newspaper in its first and second series.

I have encountered some difficulties and obstacles that I could overcome because of the help of Allah almighty . The first obstacle was the node of the beginning which faces each researcher when

starting his research which may extend to a long time and can be overcome only with patience and determination and the second one is the personal and health conditions which had to do in my departure from the study for a period. The third difficulty is the abundance in references and information about the life of bashir al ibrahimi, and the history of the Association of Scholars, which were few visa a vis the topic studied, this led me to rely on intermediate references.

This research is not the first research that knocks on the door to talk about al- bashir and his reformist approach, but it may differ in the way it dealt with the aspects of renewal and reform since I placed my personal prints that may be an addition to what the researchers have already submitted for the sake of sheikh Bashir Al Ibrahimi.

Thanks to Allah first if I achieved the objectives of this research and to my supervisor Dr Muhammed Abbas, who helped me with his advice and instructions and his guidance in criticism and correction, and who gave me the opportunity to access this extended school in reform and get close to its leader and great reformer Sheikh Muhammed Al Basher Al Ibrahimi.

All the praises and thanks be to ALLAH.

The student : Fatima Zahra tabti

Tlemcen:

Conclusion :

The search for the harvest of the results obtained from the study made me consider its major axes, which I believe I have to prove in the following points:

First, Reformers who called for the necessity of reform and held its view to include the religious, political, social and cultural aspects received the reasons for fame such as Jamal al-Din Afghani, Mohammed Abdo, Mohammed bin Abdul Wahab, Abdul Rahman Kawakibi. They did well to restore the nation's past glory and made it lead the way of guidance and insightfulness.

Secondly, Algeria did not differ from the Arab Orient; rather its conditions were even more harsh and unfair due to the colonizer's' tyranny in all its forms and specter. It was subject to unfair policies, unjust legal norms, a Crusader spirit that targeted Islam and its people and exercised on the national character and the Arabo- Islamic components; so people continued to reeling under the weight of severe blows, which harshly affected Algerian t Muslim and led him to retreat slightly from the front rows, until he gathers his strength and restore the ground again.

Algeria reached such dangerous stage of religious, intellectual and social deviation. At that time, the reforms began to be clearly marked, influenced by general reformist thought which was launched by a group of imminent scholars promising a new destination in all aspects that were subject to deviation. So, it was the call to the return to the core sources of Islam: the Book (Holy Quran) and the Sunnah , and looking forward to the future on the basis of straightfulness and insightfulness. These revelations revealed the features of a reforming movement seeking to renew the lives of Muslims by renewing religion in their souls.

The revolution, instigated by Imam Ibn Badis in Algeria, was a tributary of the resurgence of the reform movement in Algeria, which was carried out by intellectuals.

Thirdly, the reformist approach strived to combat the blatant religious deviation, the heresies and the distortions of religion, which were driven by colonialism and the deviant and unrighteous groupings. In addition, it sought to revive the Arabo-Islamic culture that was inflamed by oblivion and obscurity and this was done through the re-effectiveness of the Arabic language, which is considered as the container of culture, and the most important pillar of the immunization of identity, the self and personality.

The reformist approach was based on the need to promote the Algerian nation on the social level, so it dealt with the treatment of the inadequacies and diseases in society and discussed their causes. Poverty, ignorance, and grouping, were the major cause of the deterioration of social life; it was necessary to promote the pillars of society -women and the youth - to be upright in the path of the Renaissance and come out from the front of the demolition to look forward to the future and to build a Renaissance. The image of jihad was completed among the association of scholars through knocking the door of politics and facing the injustice of

colonialism and arbitrariness and uniting the Algerian people and their national positions to be ready for the promised day: the day of liberation from the French occupation.

Al basher El Ibrahimi had the lion's share in the great work and deeds of the Association of Scholars, especially in its second term when he was its president. He sacrificed his life for the sake of continuing the battle to serve his religion and his country. He was indeed a pioneer of reform, thought and innovation.

Fourthly, El Ibrahimi believed in the necessity of renewal and change, and carried out this task from his belief in the legitimacy of renewal, which is fixed principle in Islam besides its necessity for the nation after it was hit by stagnation. There was a urgent need for a reform-oriented work based on the reality of society. Its problems were investigated in order to reach effective solutions that could be achieved in reality.

Therefore, the concept of renewal in El Brahimi's view is full of revival, diligence, renaissance, change and reform, which in turn led to a new reformulation of the reality of the Algerian people.

El Ibrahim established his regenerative project on a solid foundation of religion, ethics, science and finance. These are the basic pillars of a union that results in a structured renaissance in all aspects of everyday life.

Fifth, EL Bashir El Ibrahim had a strong personality that enabled him to absorb the state of his society thanks to his encyclopedic culture and his exceptional talents, which contributed to the unique and complementary characteristics of his leading personality, bearing the concerns of his nation, interacting with it and offering alternatives, solutions and treatment for its diseases and pests.

His integrative personality allowed him to implement his innovative project which included a reform plan that enveloped the following aspects :

- On the religious side, El Ibrahimi focused on the return to the correct religion, reviving it in the hearts of Muslims and correcting the faith in their thoughts, because these are the solid basis for the power of Muslims and the core of their pride. In achieving this, he called for the destruction of heresies and misguidance which cited the nation's resources deviation and misguidance, and increased the severity of the thousands of scientists and their dependence on this decline that decreased their leading place and put them into humiliation. El Ibrahim advocated a revolution that reinforces the role of scholars in reform and change; he also warned against stalemate and the non-utilization of thought and reason in religion and life. Also he insisted on neglecting sectarian intolerance and instead he called for opening the door of diligence in jurisprudence to extract judgments that touch daily reality and find appropriate solutions to it.

- On the scientific and cultural sides, El Ibrahimi developed an integrative approach to addressing the issues of education. He presented all his ideas, theories and reform philosophies that were conducive to renewal. They were devoid of tradition to construct a scholar, build a nation and a new life within the framework of a system in which all institutions and educational institutions aiming to prepare the individual, guide behavior and standardize the curriculum of education so as to ensure continuity and effectiveness in life. The role of culture and intellectuals was also valued in promoting the Arabo-Islamic culture restoring its rightful place, re-activating it in order to better understand the reality to guide the Algerian youth towards it to face devastating Westernization projects.
- On the social side, El Ibrahimi highlighted the crucial issues facing the Algerian nation such as moral delinquency, family disintegration, marriage, divorce, expensive dowries, women's and youth's issues. He sought to reform these issues seriously, properly and radically in a way that does not wobble with the hindrances and daily happenings, and this indeed is the ideal goal of a social reform.
- As for the literary aspect, EL Ibrahimi brought to it many novelties because of his conviction that literature has an effective power in reform and the elimination of contemporary problems, through which he opened many doors, such as article writing, preaching and letter writing, making them a tool of resistance as well as shaping an integrated picture of the meanings of humanity in its great bearing on the concerns of his injured homeland with an innovative, a firm style and a strong argument.
- As for the political aspect, he was more concerned with it being the cornerstone of reform in all its forms. He called for a genuine political education that works to create and revive the nation and to spread every virtue. He also called for strenuous calls to raise and spread the awareness of the necessity of jihad for the sake of Allah to free the country and the people. This could not be done without the unity of all the parties that served the national cause and renounced the divide and split because this would ensure the success of our cause and lead to the liberation of our country.

To conclude, we can say that this study is a contribution in which we sought to discover and spot the features of renewal in the reform project of El Ibrahimi, which requires further work, research, study and investigation to attain other horizons that we didn't reach and features we didn't discover.

Allah is behind the intent and he is alone the guide towards the right path.

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
جامعة تلمسان



المُعْتَمَدُ وَالْإِصْطِلَاحُ

عرب علم

مجلة يصدرها مخبر

تعريب المصطلح في العلوم
الإنسانية والاجتماعية

العدد : 17 - 18 السنة : أكتوبر 2018

رقم الإيداع القانوني : 1542 - 2004

ISSN: 2507 - 7678



مركز البحوث والنشر والتوزيع

حي مخوخ تلمسان - الجزائر
هاتف / فاكس: + 213 (0) 43-38-40-60
E-MAIL: KKOUNOUZ@YAHOO.FR

المحتويات

7	أ.د/ محمد عباس	تصدير
9	د. وهيبة وهيب	المصطلحات الدلالية عند الأصوليين
17	د/ بوعيامة نجادي	جذور العملية التعليمية في التراث ومصطلحاتها
33	د.احمد قريش	هاجس الهوية اللسانية في ظل جدلية (الأنا)و(الأخر)
47	د.بوزيدة علي	إشكالية مصطلح الآداب المقارن (العلمية، والمنهج)
61	د. بلقاسم عيسى	دلالة ألفاظ الأضداد في القرآن الكريم
69	أ.فاهي فاطمة الزهراء	الشعر الاصلاحى الجزائرى وضرورات التحديث
83	د. حمودي السعيد	التكامل المعرفي بين الأسلوبية والبلاغة والنحو
99	أ. بلقاسم بشري	مفهوم النوستالجيا في الوطن المنشود والفردوس المفقود
105	د.عبد القادر بختي	ركائز الهوية وزوايا المرجعية في شعر مفدي زكريا-مأذج
121	د. علي لفضاري	تعدد مصطلحات ومفاهيم مسميات الرواية العربية في مسارها الأدبي
147	أ.عطار فاطمة الزهراء	التركيب النحوي في رواية دماء ودموع لعبد المالك مرتاض
161	د.احمد دواج	مصطلح الزخاف وما جرى مجراه

- 173 د. خديجة عبد الرحيم مصطلحات في الفكر الجزائري مالك بن نبي - أمودجا-
- 185 د.فاطمة الصفيح مؤهلات اللغة العربية في صناعة المصطلح العربي
- 197 د.فتيحة عباس الدرس البلاغي في كتاب أسرار البلاغة لعبد القاهر الجرجاني
- 221 د. شنتوف أمينة مصطلح الإدغام في القرآت القرآنية

الشعر الإصلاحى الجزائرى و ضرورات التحديث بين المفهوم والممارسة

أ-تابتي فاطمة الزهراء - جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان.

الملخص :

في هاته المحاولة البحثية، سنسعى للإجابة عن جملة من التساؤلات أو الإشكاليات التي لربما لم تلق لحد الساعة أجوبة شافية وحلولا منطقية وفاعلة، في سبيل إحياء دور الشعر من جديد، وبعث روح الفن في أوصال الإصلاح.. وسيكون الحديث مركزا على جمعية العلماء المسلمين خصوصا، لأن الشعر الإصلاحى ارتبط بها، وهي التي دعت إليه وكانت الرائدة بشعرائها وأدبائها، أمثال محمد العيد آل خليفة، ومحمد البشير الإبراهيمي، وعبد الحميد بن باديس وغيرهم، كما سيكون الإشكال الرئيس لهاته المقالة، دائرا في فلك الإصلاح ومحل من الحداثة، والشعر تحديدا كوسيلة من وسائل نشر الوعي والتعليم، ساحة للبحث أو عينة له.

الكلمات المفتاحية: الشعر، الإصلاح، الشعر الإصلاحى، الحداثة، التحديث، جمعية العلماء

المسلمين .

إشكاليات:

- ما معنى أن يكون الشعر إصلاحيا؟
- ما محل الشعر الإصلاحى من الحداثة؟
- هل من ضرورة للتحديث ؟

1-مبدأ التحديث وضرورته في أي مجال: ليست الحداثة حكرا على مجال أو جماعة معينين، ليست بالتالي محصورة في الشعر، وإن كان الحديث التالي سيقترن على الشعر كنموذج للدراسة. والتحديث فيما تذهب إليه المعاجم الأدبية، كل ما دل على جديد و ميل إلى معاصرة¹ كما ترتبط في مفهومها اللغوي، بالجديد الذي هو ضد القديم، «ولهذا فنحن أمام ثلاث مصطلحات مترابطة تشكل مفهوما واحدا في مجموعها، هذه المصطلحات هي: الحديث moderne ، والحداثة modernity، والتحديث modernization»² فالحداثة المقصودة ها

1 ينظر، د. محمد التونجي، المعجم المفصل في الأدب، ج 1، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط 2، 1419 هـ - 1999 م، ص 394
2 بدران بن الحسن، مقال تحت عنوان « ما المنهج في فكر الحداثة»، موقع الإسلام اليوم، <http://www.islamtoday.net/bohooth/services/printart-40-4638.htm>

هنا هي فكر ومنهج أكثر منها مذهب معين أو هذا - على الأقل ما تسعى الدراسة لتأكيدده - في محاولة لإسقاط هذا المنهج الفكري (الحدائي) على الشعر الإصلاح في الجزائر، باعتباره مرتبطا أساسا بالتيار الديني المتهم غالبا ب «بالراديكالية» ربما في محاولة لنفي التهمة عنه، أو نقد ما يجب نقده في هذا الشعر.

حول الحدائنة وارتباطاتها التاريخية: (المفهوم الإصطلاحي): بعيدا عن مرمى البحث الذي أشرنا إليه حول الحدائنة، يبقى لهاته الأخيرة مفهومها الإصطلاحي المرتبط بملايسات تاريخية معينة، «حدثت في المجتمعات الغربية منذ عصر النور والثورة الصناعية والإصلاح الديني إلى بدايات القرن العشرين»¹، والشيء نفسه بالنسبة للتحديث الذي له «مدلول تاريخي لا يشير إلى السمات الحضارية المشتركة وإنما إلى دينامية التحولات البنيوية ومستوياته»²، ذلك أن لكل مجتمع خصوصياته الاجتماعية وظروفه الاقتصادية والمعيشية الخاصة، ليستقبل الحدائنة وفق موقفة.

1-منهج الإصلاح في الجزائر (جمعية العلماء المسلمين أمودجا): قبل أن نشير إلى علاقة الإصلاح بالحدائنة وموقفه منها، نشير أولا إلى الإصلاح كمنهج زاد الاهتمام به في العقود الأخيرة وهو اهتمام يرجع في الأساس إلى كون مرحلة الإصلاح من أهم المراحل التي مرت بها المجتمعات في تاريخها. وهنا لا بد من إشارة إلى منهج جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الإصلاح والتجديد حتى يتسنى لنا تحديد موقع الحدائنة من منهجها الإصلاحي..

-منهج الإصلاح عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:«اختارت جمعية العلماء المسلمين لمواجهة الثقافية متخذة من التربية والتعليم منهجا دعويا سلميا، لتحرير المجتمع الجزائري من أغلال التخلف»³ وهذا الاختيار لم يأت من فراغ وإنما بني على أساس من الدراسة المعمقة في واقع الأمة الجزائرية وأحوالها وملايساتها. «ولأنه أضمن وسيلة للتغيير المثمر وهو الأنسب لظروف الشعب الجزائري في ذلك الوقت»⁴ انطلقت الجمعية في مشروعها النهضوي عن فلسفة تربوية إصلاحية تؤمن إيمانا راسخا بأن التربية والتعليم هما المنفذ الوحيد للشعب الجزائري من ظلمات الجهل والتخلف وفي ذلك يقول الإمام ابن باديس: «ولأدلى على وجود روح الحياة

1بدران بن الحسن، المرجع نفسه.

2 إبراهيم الحيدري مقال «ما هي الحدائنة؟». مجلة إيلاف الإلكترونية. <http://elaph.com/Web/ElaphWri-ter/2009/5/444829.htm>

3 العلماء المسلمين الجزائريين، مذكرة نيل شهادة الماجستير، جامعة باتنة، ص 79 الخطاب الدعوي عند جمعية شفرة شفري

4 د.محمد زرمان، معالم التغيير الحضاري عند ابن باديس، موقع عبد الحميد بن باديس، <http://www.oulamadz.org>

في الأمة وشعورها بنفسها ورغبتها في التقدم، من أخذها بأسباب التعليم، التعليم الذي ينشر فيها الحياة ويبعثها على العمل، ويسمو بشخصيتها في سلم الرقي الإنساني، ويظهر كيانها بين الأمم»¹ إن هذا المنهج الذي رسمته الجمعية وسارت على إثره، وضع الجزائر على خط المواجهة الحضاري الصحيح وأثبت فعاليته في معركة الصراع الحضاري بين الجزائر والاستعمار الفرنسي. يبقى الحديث فيما يلي عن ما إذا استطاع الشعر الإصلاحي - الذي كان له دور كبير في هذا الصراع الحضاري - الحفاظ على مكاسبه مع الاستجابة لمطالبات عصر ما بعد الثورة .

2- الشعر الإصلاحي وضرورات التحديث: ارتبط الشعر الإصلاحي في الجزائر بالإصلاح الديني، عبر كافة مراحل تقريبا، وأخذ من التراث أخذا موعلا، حتى كاد يتناسى الحدائث أو التحديث كمبدأ إنساني وضرورة ملحة، مواكبة العصر وتغييراته، وكان بالتالي لزاما عليه الأخذ بها والاطلاع على التجارب الشعرية المعاصرة للإفادة منها على مستويي الشكل و المضمون معا إن لم يخالف روح الإصلاح و مبادئه.

-ارتباط الشعر الإصلاحي بالتراث: الأمة التي لا تعي ماضيها تعيش على هامش التاريخ الحاضر، وتمارس ضد ذاتها عملية إبادة»². هذا ما افتتح به في مقال بعنوان «الشعر العربي المعاصر وإشكالية الحدائث»، لأنه لا يمكن دراسة الشعر ما لم تكن على وعي تام بأهمية التراث ليس على مستوى الشعر فحسب وإنما على جميع المستويات الثقافية والحضارية³. وهو ما أدركته جمعية العلماء المسلمين أو ما أدركه أديب الجمعية وشعرائها في أخذهم من التراث، إذ نجد أنهم وقفوا موقفين مختلفين في الرؤية ومتفقين في الهدف هما⁴:

-موقف الإصلاحيين المحافظين كالبشير الإبراهيمي وعبد الحميد بن باديس والأخضر السائحي، ومحمد العيد آل خليفة، يقول ابن باديس رحمه الله: «الشعر العربي هو أصل ثروتنا العربية، ومرجع شعرائنا في اللغة والبلاغة العربية، والاستفادة منه أمر ضروري لحفظ هذا اللسان المبين، فكيف نبني دعوتنا إلى توسيع الشعر العربي بالتزهد فيه.»⁵ ولكن هذا الإحياء للتراث في القصيدة عندهم لا يعدو أن يكون خروجا بالقصيدة من رواسب عهد الانحطاط.⁶

1 عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، مج12، السنة 1355هـ-1936م-1937م، ص6
2 بغداديد عبد القادر، الشعر العربي المعاصر وإشكالية الحدائث، جامعة الجزائر، مجلة أصوات الشمال: مجلة عربية ثقافية اجتماعية شاملة الكترونية.
3 ينظر بغداديد عبد القادر، المرجع نفسه.
4 نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر، ص13
5 نظرة الإصلاحيين للشعر في الجزائر، ص13.
6 ينظر: د. صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث نالمؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص338

وموقف الإصلاحيين المجددين: ومثله كل من رمضان حمود، والهادي السنوسي، والسعيد الزاهري، ورمضان حمود هو «من الأوائل الذين رفعوا نداءات في العشرينات من القرن الماضي تدعو للأخذ بأسباب الحضارة الأوروبية، والنهوض بالأدب العربي عن طريق الترجمة»¹ لكن بقي الطابع التقليدي للقصيدة العربية هو الغالب عند الشعراء الإصلاحيين طوال فترة الاحتلال وبعده إلا بعض المحاولات التجديدية لأولئك الشعراء الذين ثاروا على هذا الوضع الأدبي القعيد.

أوجه الحدائث في الشعر: شهد الشعر العربي الحديث محاولات لتحديث القصيدة العربية شكلا ومضمونا وقد قاد هذه الحركة في بداية الثلاثينات من القرن الماضي كل من نازك الملائكة ويدر شاكر السياب في محاولة أسموها بالشعر الحر حيث نشرت نازك الملائكة قصيدتها الموسومة «بالكوليرا» في مجلة بيروتية في الأول من كانون الأول من عام 1947 ويدر شاكر السياب في قصيدته «هل كان حبا» من ديوانه «ازهار ذابلة» وقد كانت هذه الاستجابة لهذا الشكل الجديد في بادئ الأمر «حائرة مترددة مذعورة أمام رواسب القديم في نفوس أصحابها كما في نفس القارئ العربي، إلى أن شد أزرها ولحق بها شعراء موهوبون في سائر أقطار العالم العربي»² إن هذا الشعر الحر أو شعر التفعيلة أو الشعر المرسل أو ما شاء رواده تسميته، قد ثار على قيود الوزن والقافية وشكل القصيدة التقليدية، وهذه الثورة في الشعر هي نتيجة طبيعية للمؤثرات الاجتماعية والثقافية من جهة، ولتطور القصيدة العربية من جهة أخرى، وما إن ظهرت قصيدة التفعيلة، حتى لاحت في الأفق معالم قصيدة أخرى تختلف عن سابقتها تسمى قصيدة النثر والتي رفضت قيود الخليل رفضا قاطعا. وتمردت على القصيدة التقليدية تمردا واضحا ولا شك في «أن طموح الشاعر لتجاوز المألوف دائما يدفع به للبحث عن أشكال جديدة تحمل القصيدة المعاصرة إلى آفاق أكثر رحابة وعمقا»³ لكن هذا الشعر الحدائي طبع في أغلبه بطابع الغموض والإبهام والرمز والاضطراب، فلا فكر واضح يمكن أن تستجليه من شعرهم، وكأنك أمام طلاس سحر أو هذيان محموم... ومهما يكن من أمر ذلك إلا أن الشعراء الحدائيين -أو بعضهم- لم يعلنوا القطيعة مع التراث حيث سعوا إلى إعادة تجسيده، واستدعائه بكل مشخصاته ووقائعه، وذلك «بكشف كنوزه وتجليتها وتوجيه الأنظار إلى ما فيها من قيم فكرية وروحية وفنية صالحة للبقاء والاستمرار»⁴ حيث أدركوا «أنه لا نجاة لشعرنا من الهوة التي

1 المرجع نفسه، ص 352 عبد الحميد بن باديس، الشهاب، ج1، ص12، السنة 1355هـ (1936م - 1937م)، ص6

2 يوسف الخال، الحدائث في الشعر، دار الطليعة للطباعة والنشر بيروت-لبنان، ط1، 1978، ص 33

3 أمال دهنون، تحولات القصيدة العربية، مجلة المخبر-أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، قسم الأدب العربي، جامعة محمد خيضر-بسكرة، ص9

4علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، دار الفكر العربي، القاهرة 1997م ص 262

انحدر إليها بغير ربطه بترائه العريق، ووصل بأسبابه، بما في ذلك التراث من عوامل القوة والنماء¹ وتراهم رغم اختلاف وجهات نظرهم حول إشكالية التراث وربطه بالحدائثة إلا أن معظمهم اتفقوا على هذا الربط، «فالحركة الشعرية الحديثة امتداد للتراث وولادة جديدة له، فلا حاضر دون ماض، ولا مستقبل دون حاضر، فكل قصيدة هي امتداد لقصائد سبقتها وكل شاعر هو امتداد لأجداده الشعراء»² «فالمتنبي مخبوء في شوقي، وأبو تمام مخبوء في السياب، وعمر بن أبي ربيعة في نزار قباني»³ إذن لابد للحدائثة أن تكون على صلة بالتراث ومرتبطة به، فعلى الرغم من كسر القوالب الشكلية للقصيدة العربية إلا أن الشاعر المعاصر ظل متمسكاً بالمادة الفكرية والحضارية التي يمدده بها التراث ففي فترة التسعينات أسهمت الحركة الحدائثة في نشر نص شعري «منفتح على الحدائثة الشعرية العربية، وينظر في كيفية إحداث توازن بين التراث والحدائثة، لا يدعو إلى القطيعة والانفصال مع أحد الطرفين، ولا إلى التقليد والتماثل مع أحدها أيضاً»⁴ إذ إن الشاعر الأصيل والموهوب هو من استطاع أن يحدث هذا التوازن «فيعترف بقواعد لغته وأصولها، ومبادئ الأساليب الشعرية المتأثرة بهذه اللغة والمتوارثة في تاريخها الأدبي وفي الوقت ذاته يأخذ لنفسه قدراً كافياً من الحرية لتطويع هذه القواعد والأساليب ونفخ شخصيته فيها»⁵ ذلك أن كل شاعر هو ابن عصره وأنه يمثله ويعبر عنه حسب فهمه وانهماكه فيه، فيأتي شعره جديداً في شكله وإن تغلغل فيه نبض الشعر القديم وروحه .

-موقف الشعر الإصلاحي الجزائري من الحدائثة: رأينا أن الشعر الحدائي قد أخذ لنفسه قدراً كافياً من الحرية من خلال الثورة على القيود الشكلية للقصيدة العربية التقليدية، لكنه أيضاً وفي وجهته نحو الحدائثة لم يدر ظهره للتراث، بل وضعه في موضع الاعتزاز والتقدير... ، والشعر الجزائري لم يكن بدعاً من الشعر العربي إذ أننا نلمس محاولات للتحديث فرضتها الظروف الاجتماعية والثقافية التي كان يعيشها الشعب الجزائري إبان الاستعمار الفرنسي، ولكن قبل أن نخوض في تجربة الشعر الجزائري مع الحدائثة كان لزاماً أن نتكلم قليلاً عن الشعر الإصلاحي في الجزائر الذي «ارتبط بالفكر الإصلاحي، لأن الذين دعوا إلى الإصلاح احتضنوا التراث والأدب واللغة والثقافة العربية في الجزائر، ومن ثم ازدهر هذا الشعر في رحاب هذا

1 المرجع نفسه، ص 58

2 د. فاتح علاق، مفهوم الشعر عند رواد الشعر الحر، موقع اتحاد الكتاب العرب على الانترنت، ص 15

3 المرجع نفسه، ص 19

4 مظاهر الحدائثة في الشعر الحديث، ص 3

5 يوسف الخال، الحدائثة في الشعر، ص 19

الفكر وعبر عن أهدافه ومراميه «والشاعر في هذه المرحلة كان يتأمل واقع المجتمع وما استشرى في من أدواء بسبب الجهل الذي زرعه الاستعمار في عقول الجزائريين، فكان يبحث عن حلول من «زاوية الدين، فزراه يذكر في كل مناسبة بأن الرجوع للقيم الروحية واقتفاء أثر السلف الصالح هو سبيل النجاة وأنه لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها» فالشعر الإصلاحى ارتبط في أغلبه بالجانب الدينى والرجوع إلى ماضى الأسلاف وتاريخهم العريق وأمجادهم الزاهرة اقتداء بهم وبما أثرهم الزاهرة، وفي

هذا السياق نذكر أول قصيدة «تنقد الواقع وتؤرخ للفكر الإصلاحى والدعوة إلى الرجوع للدين الصحيح، قصيدة «المنصفة»² للشاعر محمد المولود بن الموهوب». إذ تتبع فيها الشاعر ما حدث في المجتمع من أمور خارجة عن الدين من انتشار البدع والخرافات...³ فهذه القصيدة تمثل بداية حقيقية للشعر الإصلاحى الذى حمل مسؤولية النهوض بالأمة من واقعها المرير الخارق في الجهل والبدع والخرافات يقول في مطلعها:

صعود الأسفلين به دهيـنا لأنا للمعارف ما هدينا

رمت أمواج بحر اللهو منا أناسا للخمور ملازمينا⁴

كانت هذه القصيدة هي بداية التاريخ للشعر الإصلاحى في الجزائر، ثم تلتها قصائد أخرى كانت أكثر دقة حيث سجلت هي أيضا الخرافات والبدع والطرقية التي استشرى خطرها في المجتمع، «وأحسن من يمثل هذه الفترة الشاعر «عمر بن قدور» حيث صور حزنه وآلامه مما يشهده من استهتار بالدين وأوامره ومبادئه من خلال قصيدته «دمعة على الملة»⁵ فجاءت معانيها دقيقة عميقة بأسلوب رصين مما يدل على استيعاب الشاعر وتمكّنه من التراث، وكذا موهبته الشعرية وهكذا جاءت بقية القصائد لشعراء آخرين من أمثال المولود الزريبي، والمولود بن الصديق الحافظي ومحمد السعيد الزاهري، وعبد الحفيظ بن الهاشمي، ممن فقهوا ماهية الإصلاح وضرورته في هذه الفترة بالتحديد -أي قبيل الحرب العالمية الأولى- وكلها تؤكد على هذا الاتجاه الدينى الذى أشرنا إليه سابقا، ولم يكن الجانب الدينى هو محور اهتمام الشعراء الإصلاحيين بل نجد أنهم عالجوا موضوعات اجتماعية كالاهتمام بالمرأة ومحاربة الآفات

1 عبد الله ركيبي، الشعر الدينى الجزائري الحديث، ج2، دار الكتاب العربى، 2009، ص 7

2 نشرت بعنوان «الأخلاق» في جريدة كوكب أفريقيا 8 أبريل 1910 م

3 عبد الله ركيبي، الشعر الدينى، ص 11

4 المرجع نفسه، ص 12

5 المرجع نفسه، ص 17

الاجتماعية كالفقر والجهل وانتشار الخمر والبطالة وكل ما نهى الشرع الحنيف عنه وثقافية كالتعليم وضرورة إنشاء مدارس ومعاهد لنشر العلم في أوساط الجزائريين من أجل تحقيق نهضة شاملة في جميع الميادين، وكل ما يمكن قوله في هذا الشعر أنه فرق بين لغة الشعر ولغة الفقه أي "أنهم خرجوا بالشعر من مجاله الديني الضيق الذي كان محتجبا فيه"¹ وكانت الحرب العالمية الأولى التي أحدثت تحولا عميقا تمخضت عنه "النهضة الأدبية الحديثة التي ارتبطت بالحركة الإصلاحية"² يقول ابن باديس في هذا السياق "الحقيقة التي لا يعلمها كل أحد أن هذه الحركة الأدبية ظهرت واضحة من يوم بروز جريدة "المنتقد" في يوم ذاك عرفت الجزائر من أبنائها كتابا وشعراء ما كانت تعرفهم من قبل"³ وهؤلاء الأدباء والشعراء تأثروا بالنهضة المشرقية إذ تلقوا تعليمهم إما في الزيتونة بتونس، أو الأزهر بمصر، أو القرويين بفاس، أو بالحجاز، خصوصا نهضة مصر التي كان لها أثر بارز على جميع الدول العربية بما فيها الجزائر وهو ما يؤكد محمد السعيد الزاهري أحد رواد الحركة الإصلاحية: "وما من شيء له أثر في حياة العربي العقلية الاجتماعية إلا وهو مصري غالبا، وكل حركة أدبية أو دينية لها صداها القوي في المغرب العربي." لكن الشعر الإصلاحي في هذه المرحلة لم يأت بجديد على مستوى الشكل والمضمون معا اللهم إلا في رؤية الشاعر للمجتمع وقضاياها تبعا لما اقتضته الظروف ولكن بتعبير الشعر العربي المعروف، أي أن الشعراء الجزائريين "نقلوا الشعر من موضوعات سادت في أشعار من سبقهم إلى موضوعات تتصل بالشعب وقضاياها الحيوية في زمانهم"⁴ فالتجديد كان في الموضوعات والأغراض لا في الشكل "لأن الشعراء لم ينظروا إلى التراث نظرة نقدية بقدر ما نظروا إليه في تقديس وانبهار فلم يتخلصوا من تأثيره فيهم"⁵ فهذا التقديس لجميع أشكال القصيدة التقليدية هو الذي أعاق تطور الشعر الإصلاحي ومن ذلك إشكالية اللغة، فشعراء الإصلاح رأوا في اللغة أمرا مقدسا على اعتبارها لغة القرآن، فالخروج عليها أو محاولة كسر قوالبها يعد خروجا على المقدسات. فالشاعر ليس من حقه أن يغير ويبدل فيها إنما يقتضي أثر السابقين الذين هم أصحاب هذه اللغة.. ولأن اللغة الفرنسية أخذت بالانتشار في أوساط الجزائريين، فكان الخوف دائما من أن تحل هذه اللغة الدخيلة محل اللغة الأم، وهو ما دعا بعض الشعراء الإصلاحيين كالبيشير الإبراهيمي وابن باديس والأخضر الساتحي إلى نظرة العداء الدائم لها "من

1 واقع الثقافة العربية في الجزائر قبل 1925 مقال، ص 9

2 المرجع نفسه، ص 9

3 المرجع نفسه، ص 9

4 المرجع نفسه، ص 10

5 المرجع نفسه، ص 80

6 المرجع نفسه، ص 81

أجل البقاء والحفاظ على كيان الأمة وشخصيتها¹ لكن هذا التيار الإصلاحى المحافظ ضم شعراء تشبعوا بالثقافة العربية الإسلامية ولم يغنهم ذلك على ضم ثقافة أخرى إلى رصيدهم المعرفى فنجد أنهم أحسنوا اللغة الفرنسية ومن خلالها تعرفوا على الثقافة الفرنسية ويمثل هؤلاء الشعراء كل من رمضان حمود، والهادى السنوسى، والسعيد الزاهرى "حيث أن نظرتهم لم تخرج عن نطاق الإصلاحيين المحافظين إلا فيما يخص قوانين الشعر"² يقول رمضان حمود: "الشعر تيار كهربائى مركزه الروح، وخيال لطيف تغذفه النفس

لا دخل للوزن ولا للقافية فى ماهيته، وغاية أمرهما أنهما تحسينات لفظية اقتضاها الذوق والجمال فى التركيب لا فى المعنى، كالماء لا يزيده الإناء الجميل عذوبة ولا ملوحة، وإنما حفظا وصيانة من التلاشى والسيلان"³ ثم يثبت ذلك بأن العرب لم يعرفوا وزنا ولا قافية "إنما حاكوا بشعرهم نغمات الطبيعة المترمة"⁴ ولو كان الشعر وزنا وقافية "لما قالوا فى بداية الدعوة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة والتسليم- أن القرآن شعر، وأن صاحبه شاعر مجنون، مع علمهم أنه كلام مرسل لا أثر للوزن فيه أن صاحبه لم يسمع منه بيتا فى سوق من أسواقهم -ولا فى مجتمع من مجتمعاتهم، ولا تحدث عنه بذلك"⁵. إن رمضان حمود، والسعيد الزاهرى، وغيرهم من الشعراء الإصلاحيين لخير دليل على أن الشعر الإصلاحى لم يكن بمعزل عن حركات التجديد التى عرفها الوطن العربى، لكنه لم يتلبس الحدائى بكل أشكالها وإنما أخذ منها ما يتوافق مع ثقافته وبيئته المحافظة. وسنطرق لاحقا بعض النماذج من هذا الشعر وما هي أوجه الحدائى التى استقبلها والتي تتماشى وروح الإصلاح.

-الشعر الإصلاحى و سبل التحديث: لا نعنى بالتحديث هنا تلبس الحدائى بكافة مظاهرها، حتى تلك السلبية من غموض وتشاؤم وإغراق فى الرمز، أو تلك التى تخالف مبادئ الإصلاح التى دعا إليها شعراء الإصلاح والتي استمدوها من تعاليم الدين الحنيف الصحيح؛ بل نعنى ضرورة الأخذ بالإيجابيات، تلك التى تعنى مواكبة تطور الحياة الطبيعى. وتنامي مظاهر الاجتماع فيها، كضرورة الاهتمام بالمرأة والنهوض بها من قبو الجهل والتخلف فنجد الكثير من الأقلام التى تجردت للتحديث عن دور المرأة ومكانتها فى المجتمع فكانت الدعوة لتعليمها لما فى ذلك من منافع تجنيها لنفسها ولمجتمعا وجمعية العلماء المسلمين كانت السبابة فى إعطاء أهمية بالغة للمرأة باعتبارها الركيزة الأساسية فى بناء المجتمع «وقد نص مكتب الجمعية صراحة على

1 نظرة الإصلاحيين للشعر فى الجزائر ص14

2 المرجع نفسه، ص15

3 د. صالح خرفى، رمضان حمود، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص52

4 المرجع نفسه، ص52

5 المرجع نفسه، ص53

أن تعليم الفتيات مجاني وإن كن قادرات أو غير قادرات على دفع المصاريف وذلك تشجيعا لهن على الإقبال على الدراسة و المواظبة عليها¹ فالهدف الأسمى الذي سعت الجمعية لتحقيقه هو تعليم المرأة الجزائرية والنهوض بها مع الرجل من أجل نهضة حضارية صحيحة، وقد حاربت الجمعية كل من يحاول أن ينزع عنها حجاب الستر بدعوى الحداثة والتطور، وفي هذا السياق يقول ابن باديس: «إذا أردتم إصلاحها الحقيقي، فارفعوا حجاب الجهل عن عقلها، قبل أن ترفعوا حجاب الستر عن وجهها، فإن حجاب الجهل هو الذي أخرها...»² ولكن النظرة العامة إلى المرأة في الفكر الإصلاحى لا تؤيد خروجها أو عملها في المجتمع إلا ما أعطته لها من حق التعلم لتكون جيلا صالحا³ أما النظرة التي تدعم خروج المرأة وسفورها فهي نادرة جدا كما نجده عند الشاعر محمد الصالح خباش في قصيدته «المرأة الجزائرية والحجاب» يقول فيها

مكثوبة في الليلة الليلاء	تركوك بين عباءة وشقاء
محفوفة بكتائب الأرزاء	مغلولة الأيدي بأسوء بقعة
لو مت قبل تفاقم الأدواء	دفنوك من قبل الممات وحيدا
محفوفة بملاءة سوداء	مسجونة مزجورة محرومة
حتى رموك بطعنة نجلاء ⁴	ماذا جنيت على الزمان وأهله

فهذا الشاعر يرى أن الحجاب هو سبب تأخر المرأة، وبقائها جاهلة بالمقارنة مع المرأة الغربية التي كسرت كل القيود وتحررت من أغلال العادات والتقاليد، فهو يهاجم حجابها وبقاءها في المنزل في قوله :

فإلى متى هذا الحجاب؟ إلى متى؟ إلى الثلاثي أم ليوم لقاء
أترابكن من الفرنج غدون في غرف العلاء في عزة قعساء⁵

والحقيقة أن قضية زي المرأة الجزائرية أو حجابها لم يثر اهتمام الأدباء أو الشعراء، «لأنهم كانوا يخشون المجتمع، والتقاليد الضاغطة التي ترى في السفور خروجاً على الدين»⁶ لأن الشعر الإصلاحى في كافة مراحلها كان مرتبطاً بالأخلاق فتجد أغلب قصائدهم تدور في هذا الفلك دون العناية بالشاعر وأحاسيسه، فمثلاً قلما تجد في شعرهم موضوعاً عن الغزل، أو التغزل بل إن منهم من يعتقد في ذلك بعداً أنانياً وهو ما أفصح عنه الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة

1 تركي رابع عمامرة، عبد الحميد بن باديس، فلسفته وجهوده في التربية والتعليم، دت الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ص 333
2 أعجناك (بشي) مينة، المرأة في الشعر الإصلاحى الجزائري الحديث، مجلة الأثر، العدد 19/جانفي 2014، ص 143
3 عبد الله ركيبي، الشعر الدينى الجزائري الحديث، ص 125
4 محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، منشورات السائحي-الجزائر، ج 2، ط 1428، 2007، ص 154
5 المرجع نفسه، ص 15
6 عبد الله ركيبي، الشعر الدينى الجزائري الحديث، ص 126

«إن المجتمع قد فرض علينا في تلك الفترة أن نطرق مواضيع معينة، ولذا جاءت أشعارنا توجيهية، تربوية اجتماعية... على أن الواجب يقتضي من صاحب الموهبة أن يسخرها لفائدة شعبه، لا لفائدته الخاصة، فالغزل لا يخلو من روح أنانية...»¹ فنجد أكثر من شاعر نهج هذا الخط مثل الشيخ ابن باديس في قوله :

ودع غزلا للغايات فطالما سلا عن وصال الغايات نبيل
فديدي الآداب والعلم مقصدي ولا زلت في نيل المعالي أجـول²

وهذا شاعر آخر هو «محمد السعيد الزاهري» يثبت لنا هذا التوجه «ويعطينا هو الآخر صورة للشاعر الجاد الذي تشغله مأساة شعبه عن كل عبث :

ولولا عفاف في طباعي يصدني لما كنت ممن يغلب الحب تقواه
ولكنه سلطان نفسي عفافها فيمنعها من شر ما تتمناه
وما كنت أقوى بالفراق وإنمتا دعا المجد ذا هم بعيد، قلباه³

وكان الغزل أو التشبيب عند هؤلاء الشعراء منكرا من القول أو زورا، إذ لا جناح على الشاعر أن يطرق هذا الباب ما لم يمس ذلك روح الإصلاح أو ينأى به عن وجهته الصحيحة، فنجد شاعرا آخر، وهو حمزة بوكوشة يرد على من ترفعوا عن هذا الغزل بقوله: «...لو كان التغزل في النساء هجرا من القول لنهى عنه النبي -صلى الله عليه وسلم-، ولا نكران علي إذا صرحت بعد هذا: يأتي :

أحب النساء وذكر النساء ويعجب قلب لذيذ الغناء

وأنا أحتفظ بديني وشرفي وكرامتي كشاب مسلم متدين :

ولله مني جانب لا أضيعه وللهو مني والبطالة جانب⁴

والأكيد أن هؤلاء الشعراء كانت له أسبابهم في عدم طرق أبواب من الشعر، تبعا لما أملته عليهم ظروف الإصلاح وتوجهاته، هذا ما يخص المضمون الشعري الذي رأيناه متجددا في بداية محتشمة متأرجحة بين القديم والحداثة -وهي طبيعة كل نهضة فكرية أو أدبية - أما بالنسبة للشكل فإننا نجد مثلا للقصيد العربية القديمة بقوالها الرتيبة مما استثار حفيظة الدعاة إلى التجديد من أمثال «رمضان حمود» في العشرينات إذ يقول في أولئك الذين اتخذوا من النهضة

1. د.ملقوف صالح الدين، مقال بعنوان: «تجليات الفكر الإصلاحي في الشعر الجزائري الحديث مجلة الأثر العدد20/ جوان2014، ص83

2. محمد الهادي السنوسي، شعراء الجزائر في العصر الحاضر، المطبعة التونسية، تونس 1926، ج1، ص39

3. صالح الخرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص292

4. المرجع السابق، ص294

المشرقية الحديثة قدوة ومنهاجا: «نعم إنك لا ترى في هذه السنين الأخيرة إلا مخمسا ومشطرا ، ومعارضاً ، ومحتذياً ، ومادحا ، وهاجيا ، ومتغزلا ، ومسمطا ، إلى غير ذلك مما يدل على البطالة المتناهية التي دهمت هؤلاء الأقوام البؤساء»¹ ويدعم قوله هذا بالشعر قائلا :

أتوا بكلام لا يحرك سامعا
وقد حشروا أجزائه تحت خيمة
وزين ب «الوزن» الذي صار مقتضى
وقالوا وضعنا الشعر للناس هاديا
«عجوز» «شطر» و«شطر هو» الصدر
كعظم رميم ناخر ، ضمه القبر
ب «قافية» للشعر يقذفها البحر
وما هو شعر ساحر ، لا ، ولا نثر²

ولكن دعوة الشاعر إلى التجديد كما رأينا سابقا في غير موقف ما لبثت أن ماتت بموته فنلتها مرحلة «لم يكد الشعر فيها يخرج عن بحور الخليل، ولم يستطع أن يتحرر من الصورة الشعرية التقليدية ومن الطريقة الموروثة في نحت الجمل»³ ومع منتصف الخمسينات عرف الشعر الجزائري ظاهرة جديدة هي «الشعر الحر» كانت امتدادا واستجابة للنداءات المبكرة التي رفعها رمضان حمود لكنها جاءت متأخرة لأن الشاعر الجزائري وقف من الثقافة الفرنسية موقف العداء فلم يحتك بها إلا في وقت متأخر⁴ فنجد أول محاولة لهذا الاتجاه الجديد في الشعر مع الشاعر أبو القاسم سعد الله التي نشرت في جريدة «البصائر» بعنوان «طريقي» وهذا مقطع منها:

يا رفيقي
لا تلمني عن مروقي
فقد اخترت طريقي!
وطريقي كالحياة
شائك الأهداف مجهول السمات
عاصف التيار وحشي النضال
صاحب الأنات عرييد الخيال
كل ما فيه جراحات تسيل
وظلام وشكاوي ووحول
تراءى كطيوف

1 د. صالح خرفي ، الشعر الجزائري الحديث ، ص 338
2 المرجع نفسه ، ص 339 ، نقلا عن كتاب بذور الحياة
3 المرجع السابق ، ص 340-341
4 المرجع نفسه ، ص 352 ، بتصرف

من حتوف

في طريقي

يا رفيقي...¹

وبعد هذه القصيدة تلتها قصائد أخرى أنعشت هذا الشعر ونقلت العدوى لغيره من الشعراء الذين تجرأوا على الإتيان بمثله فنجد محمد الصالح باوية وسعد الدين خمار، وأحمد الغوامي، ومحمد الأخضر السائحي، وعبد الرحمن زناقي... وغيرهم وهذه التجربة أعطت للشعر الجزائري عامة والإصلاحي خاصة نفسا جديدا غير مألوف في المقاييس التقليدية، وأثبتت طموح الشعراء نحو التجديد والخروج من دائرة الرتابة والمألوف، وإذا تحدثنا عن اللغة الشعرية فإنك تجدهم قد "اعتمدوا على العبارات الجاهزة، والصور المسترجعة من الذاكرة ما يجعل اللغة الشعرية لغة مباشرة تفتقر - في أكثرها - للإيحاء، والصور الفنية، لأن شعرهم كان موضوعيا غاية الإصلاح"²، ومثال على ذلك قول الشاعر الكبير محمد العيد آل خليفة "في وقفة على قبور الشهداء في عيد الأضحى سنة 1956"³

الله رحم معشر الشهداء وجزاهم عنا كريم الجزاء

وسقى بالنعيم منهم ترابا مستطابا معطر الأرجاء

أيها الزائرون ساعة طهر قدسي وعزة قعساء

لم أجد في الرجال أعلى وساما من شهيد مخضب بالدماء⁴

من خلال قرائتنا لهذا النص تتراق لنا اللغة الشعرية التقريرية الخالية من الإبداع، واللمسة الفنية، وكأنك أما خطاب نثري أو هكذا يمكننا اعتباره، ولكنك عندما تدرس قصائد شعراء الإصلاح الذين دعوا إلى التجديد فإنك تلمس لغة شعرية قد جنحت جنوحا واضحا عن سابقتها التقريرية فراحت "تتمتع بسمة من التماسك التركيبي ونفحة من الخيال الشعري مع هدوء في الأسلوب وعمق في الأفكار"⁵

خاتمة: يتبين مما سبق ذكره أن الشعر الإصلاحي قد تلبس الحدائث وإن خفاها، من خلال

1 الشعر الجديد في الجزائر ما بين 1955 - 1975، ص 65

2 مسعودي رمضان، اللغة الشعرية في معمار الشعر التقليدي والشعر الوجداني الجزائري، مجلة الذاكرة، العدد 8، يناير 2017، ص 215

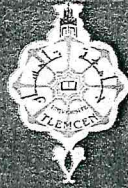
3 المرجع نفسه، ص 215

4 المرجع نفسه، ص 216

5 صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 356

أولئك الشعراء الذين رأيناهم مستائين من هذا الوضع الشعري القعيد بقوالبه الرتيبة الكثيرة، لكنهم ورغم روح الحدائث التي أشربوها لم يحددوا قيد أملة عن الخط الإصلاحي الذي بدأ واضح المعالم أمامهم وهم على ما هم فيه، فتجد أغلبهم قد تناولوا مواضيع في قلب الإصلاح وروحه، كالاهتمام بالمرأة وشؤونها والشباب، ونقد العادات والتقاليد البالية، ولكنها ظلت مرتبطة بالمفهوم التقليدي الذي يهتم بالمضمون الشعري ويغلبه على حساب الشكل، مع أنهما ثنائية لا ينفصل أحدهما عن الآخر، فجاءت أشعارهم إصلاحية هادفة لكنها ضربت أحاسيس الشاعر وعواطفه الذاتية في مقتل بحكم الثقافة المحافظة ومراعاة لأولويات الإصلاح.

république algérienne démocratique et populaire
Université de Tlemcen



EL-MOATAMED

en Terminologie



Arabo ilm

Revue du Laboratoire
L'Arabisation du terme en
sciences Humaines et sociales
N°: 17-18 / Année: Octobre 2018

ISBN: 1542 - 2004

ISSN: 2507 - 7678



دار كنف للانتاج والنشر والتوزيع

حي مخوخ تلمسان - الجزائر
هاتف / فاكس: 03 43-38-40-60 (0) 213 +
E-MAIL: KKOUNOUZ@YAHOO.FR



جامعة البليدة 2- الجزائر

كلية الآداب واللغات

قسم اللغة العربية وآدابها

مجلة

اللغة العربية وآدابها

مجلة علمية، أكاديمية، محكمة

تُعنى بعلوم اللغة العربية وآدابها

المجلد السادس (العدد الأول)

رمضان ١٤٣٩ هـ الموافق لـ: ماي 2018م

ر.د.م.د: ISSN: 2352-9830 رقم الإيداع القانوني: 2013-8004

EISSN: 2600-6898

منشورات جامعة البليدة 2

مجلة

اللغة العربية وآدابها

مجلة أكاديمية، سداسية، محكمة

تصدر عن قسم اللغة العربية وآدابها

كلية الآداب واللغات

جامعة علي لونيسي- البليدة 2-، الجزائر

الرئيس الشرفي

للمجلة:

أ- د/ خالد رمول

مدير جامعة البليدة 2

مدير المجلة:

د/ محمد طيبي

عميد كلية الآداب واللغات

رئيس المجلة مسؤول

النشر:

د/ عبد الحلیم ريوقي

رئيس قسم اللغة العربية وآدابها

عنوان المجلة: مجلة اللغة العربية وآدابها، قسم اللغة العربية، كلية الآداب

واللغات، جامعة علي لونيسي- البليدة 2-، العفرون، البليدة، الجزائر

الهاتف: 020-58-01-35 الفاسوخ: 025-25-01-05

البريد الإلكتروني: dirassat@yahoo.com

تستقبل المجلة المقالات عبر:

المنصة الإلكترونية للمجلات العلمية الجزائرية ASJP

الهيئة العلمية:

رئيس التحرير
د. محمد بلعزوقي

أمانة التحرير:
د. سعيد تومي

هيئة التحرير:

د/علي منصوري
د/نسيمة لوح
د/العيدية رحموني
أ/نصيرة بودينة

- أ- د/عمار ساسي (جامعة البليدة2)
أ- د/ بوجمعة الوالي (جامعة البليدة2)
أ- د/ محمد السعيد عبدلي (جامعة البليدة2)
أ- د/ محجوب بلمحجوب (جامعة البليدة2)
أ- د/ نصر الدين بوحساين (جامعة البليدة2)
أ.د خليفة قرطي (جامعة البليدة 2)
أ.د/ وحيد بن بوعزيز (جامعة الجزائر2)
أ.د/ حفيظ ملواني (جامعة البليدة 2)
د/ علي حميداتو (جامعة البليدة2)
د/ إبراهيم فضالة (جامعة البليدة2)
د/ امحمد العماري (جامعة البليدة2)
د/ فوزية سرير عبد الله (جامعة البليدة2)
د/ أنيسة بن تريدي (جامعة البليدة2)
د/ نعيمة بوزيدي (جامعة البليدة2)
د/ سليمة مدلفاف (جامعة البليدة2)
د / عبد الملك كجور (جامعة البليدة2)
د/ عماد بن عامر (جامعة البليدة2)
د/ حسيبة حسين (جامعة البليدة2)
د/ ميلود شنوفي (جامعة البليدة2)
د/ محمد طيبي (جامعة البليدة2)
د/ صالح تيقابجي (جامعة البليدة2)
د/ محمد فايد (المركز الجامعي تيسمسيلت)
د/ هناء محمود إسماعيل الجنابي
(الجامعة العراقية . بغداد)
د/ بوتشنت العصفورة (جامعة البليدة2)

- د/ محمد هتهوت (جامعة البليدة 2)
د/ كمال بن جعفر (جامعة البليدة 2)
د/ نهمار فاطمة الزهراء (جامعة البليدة 2)
د/ توفيق شابو (جامعة البليدة 2)
د/ مراد العرابي (جامعة البليدة 2)
د/ قوجيل جميلة (جامعة البليدة 2)

*** **

السخرية الهادفة في نصوص أحمد رضا حوحو القصصية

قراءة في "نماذج بشرية"، ومع "حمار الحكيم"

أ-فاطمة الزهراء تابتي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان

تاريخ القبول: 2018/04/10

تاريخ الإرسال: 2017/12/28

الملخص:

AHMED REDA HOUHOU is one of the revolutionary authors who called for social reform through his writings. He participated through his work in raising the interest of readers to the status of the society to improve their living conditions.

He used to share his attitudes towards political and social issues to fight injustice and to build a clean society through the process of social and ethical reform.

The author adopted mockery in his writings as a way to discuss those contradictions and paradoxes that characterized the Algerian society at that time.

In fact, the purpose behind his mockery wasn't to accuse or defame persons but it was rather an artistic technique full of wisdom to call for positive change and reform.

"SI ZAAROUR" and "WE AND THE WEST" are examples of HOUHOU'S stories which include comical situations through which he attempted to transmit lessons of moral laws to the society.

KEY WORDS: the algerian short story, the deliberate irony, irony in the short story, ahmed reda houhou.

أحمد رضا حوحو أديب من زمرة الأدباء الذين ساروا في ركب الإصلاح وأهله، فكان طاقة حية لاستمراريته، وقلما سيلا لمجاهة ضراوة الحياة، فلم يتوانى عن الإفصاح عن مواقفه سياسية كانت أو اجتماعية، يرنو من خلالها إلى إصلاح الحال، والإطاحة بالظلم، كي ينمو مجتمع جديد خال من الشوائب، وهو ما كان يطلق عليه بـ"التقويم الخلفي والاجتماعي"، فلم يجد الكاتب في أحياء كثيرة أحسن من السخرية في وجهها الهازل، وسيلة للتعبير عن تناقضات عميقة، ومفارقات ضج بها المجتمع الجزائري ولكنها سخرية هادفة تنى عن أن تكون استهزاء يستهدف القذف والتجريح، ولكنها صياغة فنية تستبطن الحكمة وترنو إلى الإصلاح، فكانت شخصية "سي زعرور" و"نحن والغرب" أنموذجين لمسنا فيهما زخما من الحكمة المبطنة في قالب هزلي فكاهي هادف..

الكلمات المفتاحية: السخرية الهادفة، القصة القصيرة الجزائرية، أحمد رضا حوحو، السخرية في القصة القصيرة.

عندما يقف الكاتب أمام تناقضات ومفارقات مجتمع عصبية على الاستيعاب فإنه يلتفت حول الكتابة الساخرة ينشد من وراءها الإقناع والتغيير، ولعل السخرية هي أجدى الوسائل وأنفعها في هذا التغيير الذي ينشده الكاتب، لذلك "تقف السخرية على رأس الأساليب الفنية الصعبة، إذ أنها تتطلب التلاعب بمقاييس الأشياء تضخيماً أو تصغيراً، تطويلاً أو تقزيماً، هذا التلاعب يتم ضمن معيارية فنية هي تقديم النقد اللاذع في جو من الفكاهة والإمتاع، غير أن أسلوب السخرية يختلف من عصر إلى عصر، ويتفاوت من كاتب إلى آخر"¹ ولعل الدارس للأدب العربي يجد الكثير من الكتاب الذين خاضوا في هذا الفن قديماً كالجاحظ الذي كان "يعالج المشكلات بالضحك، ويجابه المواقف بالسخر، ويواجه الخصوم بالهزء والاستخفاف"² وعلى الرغم من صعوبة هذا الفن إلا أنه استقطب الكثير من الأدباء والمبدعين الجزائريين على غرار البشير الإبراهيمي، السعيد بوطاجين، أحمد رضا حوحو وغيرهم وهذا الأخير هو محل دراستنا حيث توصل بالقصة القصيرة للتعبير عن واقع مثقل بالهموم والأحزان والمفارقات جاعلاً من السخرية تيمة تعبر عن حملاته وأثقاله، فكانت السخرية، والسخرية الهادفة طابعاً مميزاً لكتابات القاصية وهو إذ يلجأ إلى السخرية لمعالجة قضايا في مجتمعه ذلك لعدم قدرته على تغييرها في الواقع أو التعبير عنها بشكل صريح، فهنا يكون التداوي من الألم بضده ونقيضه، فما هي حقيقة السخرية عند أحمد رضا حوحو وما دوافعها وتجلياتها في نصوصه الأدبية؟

1- تحديد مصطلح السخرية:

1-1- في المعنى اللغوي:

إذا كان الفن القصصي من أشيع الأنواع الأدبية كلها اليوم لاتصاله بالأحاسيس والوجدان فإن القصة الفكاهية أو الساخرة قديمة قدم الإنسان الذي يتسم بأن من خصائصه الضحك³ والسخرية في معناها اللغوي بمعنى "الهزء والتذليل والاحتقار"⁴ فهي بهذا المعنى موقف متعال، يزدري كل ما هو غريب وغير مألوف "وفي كل انقطاع عن المؤلف شيء يثير الضحك."⁵

2-1- حول السخرية وارتباطاتها التاريخية (المفهوم الاصطلاحي):

يبقى لهاته الأخيرة مفهومها الاصطلاحي الذي يصعب تحديده لتداخله مع مصطلحات أخرى تدرج ضمن الأدب الفكاهي إلا أنها تبقى "سلاحاً عدائياً مهما كانت

دوافعها، ومهما كان مقامها، ومهما صغرت درجتها أو كبرت، غير أنه مصوغ بروح الفكاهة وأسلوبها⁶ لطالما كانت السخرية سلاحا يقرع به الأديب الساخر جنود الظلم والبهتان في مجتمع ما وتعريتهم بإلقاء الأضواء على الثغرات والسلبيات وأوجه القصور فهم⁷.

2-السخرية في القصة القصيرة الجزائرية :

السخرية في الأدب فن "ينم عن ألم دفين، ويشف من كرب خفي، يريد اللجوء إليه ليداوي ألمه بالضد، ويشفى كربيه بالتنقيض"⁸ فالسخرية هي تنفيس عن الآلام المكبوتة، وتفريغ للطاقة العصبية البالغة القوة وسد منبع في وجه الظلم والقهر واليأس الذي تصفنا به التناقضات والمفارقات في الحياة⁹ ولقد أجمع الكثير من الدارسين والنقاد الجزائريين على أن ظاهرة السخرية بالجزائر ارتبطت برواية "الحمار الذهبي"، للأديب الأمازيغي "لوكيوس أبوليوس" وهذه الرواية هي صورة ساخرة للمجتمع الإغريقي في جميع جوانبه الحياتية، "فهي ترسم لنا صورة رائعة عن العالم القديم، وتعرض علينا جرأة اللصوص، ودناءة الرهبان، وقسوة السيد علي عبيده"¹⁰ فهي صورة موبوءة بالفساد والانحطاط في ذلك العصر، أما في العصر الحديث الذي عرف الظلم والقهر والعسف بفعل الاحتلال الفرنسي الذي "راح يوظف كل ما لديه من قوة ظاهرة أو باطنة للقضاء على مصادر الثقافة الوطنية."¹¹ فلم يكن الأدب الجزائري والقصة القصيرة تحديدا بمعزل عن هذه الأحداث والملابسات التي يعيشها المجتمع الجزائري، وإنما دأبت على معالجتها بكل أبعادها "تتناول قطعا عرضيا من الحياة تحاول إضاءة جوانبها، أو تعالج لحظة وموقفا يستشف أغوارهما، تاركة أثرا واحدا وانطبعا محددًا في نفس القارئ."¹² وهنا حاولت القصة القصيرة اللعب على السخرية والمفارقة كونها "أسلوبا يتعد عن المباشرة ويتجنب العلنية في المقاومة، ويخفي البنية المبيتة لتوعية الجماهير وتكوينها وثقيفها"¹³ فنجد الكثير من كتاب القصص الجزائريين لجأوا إلى هذا الفن لما له من تأثير ووقع كبيرين على العقل العربي المعاصر وأحمد رضا حوحو واحد من هؤلاء الكتاب استثمر السخرية في أعماله حتى صارت "ظاهرة شائعة في جميع آثاره حتى الجاد منها، يلتجئ إليها للتعبير عن خلجات نفسه وآرائه في شؤون الحياة."¹⁴

1-2- بواعث اللجوء إلى السخرية عند أحمد رضا حوحو:

أحمد رضا حوحو هو رائد القصة الجزائرية، رصد في قصصه هموم الجزائريين ومشاكلهم ومعاناتهم في ظل الاحتلال الفرنسي بأسلوب شيق وممتع ومريح ممزوج بالسخرية الهادفة من أجل إغراء أكثر للقارئ لكي يبقى مستمرا في يقظته أثناء القراءة. ولعل الكاتب يرى في السخرية "طريقة مناسبة لتنبية الظالمين والأشرار والمتعجرفين".¹⁵ على اعتبار أنها "أعرق أسلحة البشر وألطفها، فهي سلاح الفقير على الغني، والضعيف على القوي، وسلاح المظلوم على الظالم".¹⁶ وفي جميع قصصه الساخرة يحمل قضية شعبه ووطنه بآلامها وآمالها يكسر حاجز الصمت "لتصوير الفضائح الاجتماعية، وتقاليد المجتمع المتبدلة بدافع الرغبة في إصلاحها"¹⁷

2-2- نماذج من قصصه الساخرة :

يقول الأستاذ عبد الرحمن شيبان عن أدب رضا حوحو "يمتاز أدب الاستاذ احمد رضا حوحو بطابع الخفة والصدق والانتقاد، فإنك لا تكاد تقرأ له فصلا من فصوله، أو قصة من أقاصيصه، أو تشاهد له مسرحية من مسرحياته حتى يفاجئك بهذا الثالوث الجميل الحبيب... ولا تظن أن كاتبنا يتكلف هذه الخصائص تكلفا، أو يسعى إليها سعيا بل إنها لتنبعث من نفسه الخفيفة الصادقة الناقدة انبعاثا، فهو خفيف في كلامه خفيف في نكته، خفيف في حركته وسكوته، وهو يعالج ما يعالج من الشؤون بكل صدق وينظر إلى كل ما تقع عليه عينه بروح نقدية تنفذ إلى صميم الأشياء، وبتعبير واحد جامع فإن رضا حوحو في أدبه هو نفس رضا حوحو في حياته من غير ما تعديل أو رتوش"¹⁸ فقد دم مجموعة من الأعمال القصصية التي انتزعها من صميم المجتمع الجزائري بأسلوب نلب عليه السخرية والتهكم في غير ما إسفاف أو تعقيد فنجد من أعماله الساخرة :

- مع حمار الحكيم (مقالات قصصية ساخرة 1953م) هي مجموعة قصص ساخرة كاهية تأثر فيها الكاتب بالأديب المصري توفيق الحكيم من خلال كتابه (قال لي حماري).
- صاحبة الوحي (قصص 1954م) التي استقى وقائعها من الحياة اليومية وعلاقاته الناس وقد تميزت هذه المجموعة بالطرافة والفكاهة أحيانا وهي تمثل مرحلة هامة من إحل نشأة القصة وتطورها في الأدب الجزائري.

➤ نماذج بشرية (قصص 1955م) وهي أيضا مجموعة قصصية مستوحاة من عمق المجتمع تنبض بواقع الحياة اليومية وقد برزت في هذه المجموعة روح السخرية لدى الكاتب والتصوير الكاريكاتوري المضحك أكثر من سابقتها.¹⁹

إن المجموعات القصصية التي أوردناها سابقا هي أهم أعمال الكاتب التي لعب فيها على المفارقة والسخرية الهادفة، فليس عجبا أن ينزع رضا حوحو إلى اعتماد هذا الأسلوب في الكتابة في مجتمع كالمجتمع الجزائري "تسوده تقاليد معينة في المرأة ورجال الدين، وتحكمه سياسة معينة قائمة على العنف والإرهاب في كل شيء، فلو أن حوحو امتن الرسم لكان أبرع الرسامين في فن "الكاريكاتير" بالذات.²⁰

3-السخرية الهادفة في "شخصية زعرور" ومع "نحن والغرب":

3-1-3-قراءة تحليلية في "نماذج بشرية":

في هذه المجموعة القصصية وفق حوحو إلى حد كبير في انتزاع شخصياته من عمق المجتمع الجزائري الذي كان يضح بالمفارقات والتناقضات، فاستطاع الكاتب أن يرصد فيها مكامن الضعف والقوة، والخير والشر في أسلوب ساخر فكه طريف يجذب إليه القارئ انجذابا، يقول في ذلك "لم أعمد في عرض النماذج إلى الخيال فأستخدمه في التنميق والتزويق..إنما التجأت إلى المجتمع، وانتزعت من مختلف طبقاته نماذج حية عشت مع بعضها وسمعت بعضها أقدمها للقارئ لعله يتوصل بها إلى تفهم بعض طباع مجتمعه، فيلمس أنبل نفس في أحقر شخصية، ويلمس الإيمان القوي في قلب الرجل الضال، والزيغ والإلحاد تحت عمامة رجل الشرع."²¹ وقد صدر كتابه بقول لابرويار: "يجب أن نتكلم كلاما صادقا، وأن نفكر تفكيرا صائبا، دون أن نحاول جلب الآخرين إلى أذواقنا وعواطفنا... إن ذلك لهو العمل الجليل..²² مما يدل على سعة اطلاعه على الآداب الغيرية التي تعمل على تطوير الموروث حتى يصبح ذا دلالة، متماشيا مع روح العصر فهو الذي يقول: "فإن هناك مذاهب عديدة جديدة في الآداب والفنون من الواجب معالجتها ودراستها والسير على غرارها، ومن العبث إهمالها لأنه لم يكن لنا حظ في إيجادها وخلقها، ومن التعصب الذميمة أن ننكر النافع الجيد من مذاهب الغير."²³ وتضم هذه المجموعة العناوين التالية: الشيخ زروق، وعائشة، والعصامي، والعم نتيش، والسكير، ورجل من الناس، وفقايق الأدب، والشخصيات المرتجلة، والأستاذ، وسيدي الحاج، ويحي الضيف

وسي زعرور، والتلميذ، غير أنه يجب التنبيه إلى أن ما ورد في نماذج بشرية لا ينتهي كله إلى فن القصة القصيرة هناك فصل من مسرحية (الأستاذ)، مقال قصصي (يحي الضيف) فقايق الأدب (مقال نقدي)، سيدي الحاج (مقال قصصي)²⁴

1-1-3: شخصية سي زعرور:

تقوم الشخصيات التي رسمها حوحو في قصصه بدور أساس في تحريك الأحداث من البداية إلى النهاية وهي ذات اتجاه ساخر هازل لا تعدم متنفسا يثير في نفس المشاهد أو القارئ الضحك أو الابتسام²⁵ فنزعة السخرية وجدت مرتعا خصبا ومتنفسا في كتاباته وغلبت عليه فلا يحرك قلمه إلا لينتقد ويسخر، وشخصية سي زعرور واحدة من النماذج التي حرك فيه رضا حوحو قلمه نقدا وسخرية.

2-1-3: ملخص حول قصة سي زعرور:

تدور أحداث القصة حول شخصية سي زعرور المعلم الطيب الساذج القانع بكفاف العيش لا يغيره درهم ولا دينار غير أن الحياة بتقلباتها صهرته في بوتقتها ليخرج إنسانا جديدا غير ما عرفه القارئ في البداية، بل إنسانا جشعا احترف النصب والاحتيال ليقف في الأخير موقفا مضطربا يعاني صراع الضمير²⁶ شخصية زعرور هي الشخصية الرئيسية في النص، وقد أعطاهما الكاتب فضاء واسعا للتحرك داخله على اعتبار أن العمل الفني (قصة أو مسرحية) "يعتمد اعتمادا كلياً على الشخصية، ويرتبط بها، لذا ينبغي فهمها والتعرف عليها حتى تتجلى أفكارها وأفعالها وعلاقتها بالشخصيات الأخرى"²⁷

3-1-3: أساليب السخرية في القصة: هي في النص متعددة لتعدد المفارقات

والتناقضات وقد حاولنا تجليتها كما أفرزتها الكتابة الإبداعية عند حوحو:

❖ التصوير الكاريكاتوري: وهو وضع الشخص في صورة مضحكة كالمبالغة في

وصف عضو من أعضاء الجسم، غير أنه لم يرد كثيرا في النص، فلا نكاد نثر عليه إلا نادرا وذلك عندما قام الراوي بوصف المدير الجشع "ببطنه المنتفخة"²⁸ وذلك لكثرة ما أكل من أموال الناس بالباطل والانتهاز.

❖ معالجة الشيء الحقير كأنه عظيم (الذم بما يشبه المدح): نجد هذا الأسلوب

عندما وصف الراوي المدير الجشع باللباقة عندما توجه هو ووالد التلميذ إلى قسم "سي زعرور" من أجل إفهامه الغرض من زيارته،²⁹ فحاول المدير بلباقتة أن يفهمه الغرض من

زيارته ولكنه خيب ظنه "فهنا تهكم وسخرية من المدير المعروف بالجشع والطمع ، غير أنه عندما يرى المال يتحول إلى إنسان وديع لبق يحسن التصرف.

❖ التبالة ، أو تجاهل العارف : نجد هذا الأسلوب عندما توجه المدير مع والد التلميذ من اجل الاستفسار عن سبب النتائج السيئة للتلميذ ، غير أن "زعرور" وصفه بأنه "تلميذ بليد ، كثير التأخر ، قليل العمل ، ولهذا فلا غرابة إذا ما أحرز على هذه النتيجة السيئة.."³⁰ ورغم محاولة المدير إفهام الوالد أن الخطأ من الحاسب وغمزه للمعلم زعرور ليؤكد على صحة كلامه غير أن هذا الأخير تجاهله مدعياً أنه لا يعرف هذا الحاسب وأنه هو الذي ينقل النتائج بنفسه³¹

❖ المفارقة : من ألزم لوازم السخرية ، المفارقات والتناقضات التي تتجلى في النص القصصي الساخر ، وهي في هذا النص تتجلى في شخصية "سي زعرور" الذي بدا في البداية "قانعاً بالحياة ، وبنصيبه منها ، راضياً عن نفسه وعمله ، كان رجلاً تقياً فاضلاً نزيهاً ... لا يعرف الشر ولا يتصور صدوره من الناس"³² لتنقلب الأدوار وينقلب معها الحمل الوديع ذئباً خطيراً دخل في مجال ليس من اختصاصه خسرفيه شرفه وسمعته الحسنة "فكشر عن أنيابه ، وطرد النائب وصديقه من مكتبه وحرّم عليهما دخوله غير عابئ بالتهديد والوعيد"³³ ومن المفارقات العجيبة أيضاً أن "زعرور الجديد" الذي غيرته الظروف القاسية فتحوّل من إنسان فاضل شريف إلى إنسان "لا يشبه خلفه إلا في الاسم ، أوبقية ضمير مثقل بالذنوب وشرف مدنس بالردائل"³⁴ قد عثر وهو يقرب في البريد على وسام المعارف الذي طالما تمنى الحصول عليه وهو في عز أخلاقه وشرفه وفضله لكن القدر عاكسه وأهداه الوسام مع رسالة رقيقة تثني على معارفه وشرفه ، وتطري أخلاقه وفضله وهو غارق في وحل الرذائل والدنس..

كانت هذه بعض من أساليب السخرية الهادفة التي استعان بها الكاتب لفضح بعض الشخصيات الانتهازية الكثيرة الموجودة في المجتمع شخصيات تتصف بالتفاق والرياء والخداع والجشع ، تتسلق على حساب الضعفاء البسطاء لتصل إلى أهدافها وتحقق مصالحها ...

2-3: قراءة تحليلية لقصة "مع حمار الحكيم:

الكتاب هو مجموعة مقالات كان يكتبها في جريدة "البصائر"، استهله في جانفي 1949 بمقال بعنوان: "ساعة مع حمار الحكيم" تحدث فيه عن استمتاعه بمطالعتة الشيقة لكتاب "حماري قال لي" للأديب المصري توفيق الحكيم، وبناه على أساس "من التصور بأن حمار توفيق الحكيم بأفكاره الفلسفية قد زار الجزائر، وأن حوحو قد استقبله بوصفه كاتباً وأديباً".³⁵ وقد بدا حوحو في كتابه المذكور ذا صراحة وجرأة كبيرتين في تناول القضايا التي جمعها من قلب المجتمع الجزائري العميق، فالكاتب استطاع أن ينفذ لحياة الشعب وأحواله، وحاول أن يغير ما يمكن أن يكون قهراً أو تسلطاً، أو جهلاً، أو ركوداً اجتماعياً غير أن الكتاب تعرض لنقد شديد من بعض النقاد كقول أحدهم: "ما هو جانب الابتكار الأدبي، والفني في كتابه؟ أهو في خلق شخصية حمارية، والحمار لتوفيق الحكيم، أم في الأسلوب والشكل، وهو محاكاة بيئية، أم في الموضوعات وهي مما طرقه الكاتب المصري في كثير من كتبه، يعرف ذلك كل من قرأ له"³⁶ فرد عليه الكاتب بقوله: "وهذا القسم الأول من النقد تافه، وتافه جداً... وماذا يهم أن يختار الكاتب بغلا جزائرياً، وحماراً مصرياً لحواره، وليس لهذه الحيوانات البكم جنسيات، فهي عالمية"³⁷ لكنه وهو في جو الرد على النقاد لا يخلو من دعاية وطرافة وفكاهة في الحديث، وتضم هذه المجموعة القصصية العناوين التالية: حمار الحكيم، والآداب والفنون، والأدباء والفنانون، نحن والغرب، والزواج، وفلسفة الحمار، مع القارئ، المجنون، أحزابنا السياسية، والآداب العربي، والسعادة، وعلم التربية، وبريد الحمار³⁸

3-2-1 ملخص لمقال "نحن والغرب":

في هذا المقال القصصي يحاور أحمد حوحو كاتباً غربياً مستشرقاً يدعي أنه من المهتمين بحضارة العرب ويريد أن يبرز النواحي الرائعة منها منتظراً من كاتبنا أن يغمره بعبارات الشكر والإطراء، غير أنه دهش وسقط في يديه عندما أبدى له حوحو غير ذلك بل طالبه أن يبدي مساوئ الغربيين الذين ينظرون إلى العرب نظرة احتقار وازدراء حتى أولئك الذين يدعون أنهم يقفون موقف الدفاع عن الحضارات أياً كان أصلها هم أنفسهم، متعصبون ينظرون إلى العرب من برج عاجي فدعاهم أحمد حوحو أن ينزلوا من صرح أوهامهم وغرورهم عند ذلك يمكن أن يكون التلاقي والتحاور من منطلق أن الجميع متساوون في المحاسن والمساوي..³⁹

2-2-3 أساليب السخرية في المقال : هذا المقال القصصي كغيره من المقالات التي وردت في المجموعة الساخرة ، وهو يعالج قضية ثقافية كان لها وزنها في المجتمع وهي قضية الاستشراق غير أن الكاتب عالجا بطريقة هزلية تهكمية أوسع فيها هؤلاء المستشرقين -المتعالين في نبرتهم وهم عز في دفاعهم عن الحضارة العربية والإسلامية- أوسعهم فضحا وتعرية مستخدما بعض الأساليب التي تخدم توجهه الساخر ومن هذه الأساليب :

❖ الأساليب البلاغية: التي ترمي إلى السخرية والتهكم كالأستفهام في قوله : "ولماذا تحمل نفسك هذا العناء ؟"⁴⁰ وقوله : "وأين هذا التساوي وأنتم تنظرون إلينا كشعب منحط في حاجة إلى التربية والتعليم؟ أولم تكن دعوة هذا الاستعمار أنه يقوم برسالة تمدينية؟"⁴¹ وقوله أيضا : "ألا ترى بعد هذا أن الشقة بعيدة بيننا ، بعد الشرق عن الغرب؟"⁴² وهي كلها استفهات ساخرة لم يرد الكاتب جوابا لها ، بل كان يبغي من وراءها كشف هؤلاء الذين يدعون أنهم حريصون على تقديم الحقائق إلى العالم ، وخدمة القضايا العادلة ، لكنهم ليسوا كذلك ، فهم يختفون وراء الشعارات البراقة التي ينثرونها هنا وهناك ، بدافع التمدن والتحضر ، كيف لا وهم يفضون الطرف عن استغلال حكوماتهم للبلاد العربية ، ويعيئون فيها فسادا وإجراما ، جعلوا "الغربي في صورة المعلم المثالي ، والشرقي في صورة التلميذ الشرس البليد ، فبعثتم في نفوس أبناء بجدتكم الغرور والكبرياء ، حتى أصبحوا يتخيلون أفضع مساوئهم محاسن يستحقون عليها الشكر والثناء."⁴³

❖ التشبيه : من خلال تصويره للمواطن الجزائري وهو في أشد حالات ضعفه بصورة "التلميذ الشرس البليد"⁴⁴ وهي صورة رسمها الاحتلال الفرنسي للمواطن الجزائري إمعانا في إذلاله وتحقيره. بالمقارنة مع المواطن الأجنبي .

❖ التعريض : وفيه "ينال الكاتب الساخر من المسخور منه ، ويعبث بخصمه بطريقة خفية ذكية ، ومؤلمة في الوقت نفسه ، فهو يوفر الجمالية في التعبير والطرافة في القول ، والمتعة في نفس القائل والمستمع والمطلع على القول المعرض."⁴⁵ ويظهر هذا الأسلوب في قول الكاتب "ولكن للأسف تتجلى هذه التربية في استغلالكم لبلادنا ، ويظهر هذا التعليم في إهانتكم لشعبنا ، حتى أنكم تصبغون دائما أعمالكم إزاءنا -وحتى القاسية منها -بصبغة التحضير والتمدين"⁴⁶ فهنا يعرض كاتبنا بالكاتب الأجنبي وحكومته التي

تعمل على تذليل الشعب وإهانته مدعية أنها جاءت لرفع راية التمدن والتحضر في البلاد العربية.

ونلاحظ هذا الأسلوب أيضا عندما توجه الكاتب بحديثه إلى الحمار بعد ان سأله هذا الأخير عن رأيه في الكتاب الغربيين فأجابه: "كم من كاتب ضليع كان يحتل في نفسي مكانة لا تقل عن مكانة غيره من كبار كتاب العربية، ولكنني حينما قرأت له ما يسميه بـ"المشرفيات" تلاشت مكانته، وانمحي إكباري له، وزال إعجابي بعقله الذي بدا لي صغيرا ضعيفا واهيا... وكم من شاعر تراه يسمو فيما يكتبه من أدبيات أو اجتماعيات حيث تجده يتحرى الإخلاص والدقة وسداد الرأي ومثانة الأسلوب.. لكنه عندما يكتب عن الشرق والمشرقيين فإنه ينزل من صرحه الشامخ إلى الدرك الأسفل من الانحطاط لما يأتي به من الترهات والسخافات التي يملها عليه تعصبه البغيض." ⁴⁷ فالكاتب يعرض بأولئك الكتاب الغربيين الذين يدرسون عن المشرق وشؤونهم بكتابات تدعو إلى السخرية لأنهم ينطلقون من مبدأ التعصب لحضارتهم الغربية ناظرين إلى غيرهم من العرب نظرة تصغير وتقزيم، فأضاعوا الحق وتزينوا بالباطل ولم يتوخوا الإنصاف والحياد في أحكامهم فلا هم لهم إلا "إرضاء أغراضهم الخاصة، وإشباع شهواتهم بالنيل من الشرق والمشرقيين، وكل ذلك باسم العلم، باسم المدنية، باسم الاجتماع، باسم الأدب." ⁴⁸ هؤلاء هم المستشرقون كلهم متشابهون في حكمهم على العرب حتى المنصفين وهم قلائل تراهم ينظرون إلى العرب وكأنهم سرغامض لذلك يرى أحمد حوحو أن نقطة التلاقي بين الشرق والغرب بعيدة جدا بعد الشرق عن الغرب.

❖ المفارقة: وتتجلى هذه الظاهرة في قول أحمد حوحو للحمار: إني أبيع لنفسي أن أتكلم في أبناء جنسي بما أريد، ولكنني لا أسمح لك أبدا أن تفتح فمك بكلمة واحدة في شأنهم! ⁴⁹ وذلك عندما استوضحه الحمار بطريقة ساخرة تهكمية: "تقصد تلك النقائص التي يمتاز بها الإنسان عن الحيوان؟! ⁵⁰ في نظرة الحمار لنقائص الإنسان نبرة تهكم من هؤلاء المستشرقين الذين يعيبون على العرب تخلفهم فكان الأولى بهم أن يلتفتوا لأنفسهم ويقيموا ميزان أخلاقهم الذي يفتقد لأبسط أبجديات الفطرة السليمة عند ذلك يمكن أن يكون الالتقاء بين الغرب والشرق

طرح الكاتب هذا الموضوع وغيره من الموضوعات الثقافية والاجتماعية في كتابه الذي أجراه على لسان حمار الحكيم بكل جرأة وصراحة متخذاً من هذا الأخير درعاً واقياً من سهام النقاد القاسية، فألقى العبء كله على الحمار الذي تولى مهمة الإفصاح والإصلاح معاً دون خوف أو تردد..

الهوامش:

- ¹ نجيب كيالي، من تقنيات السخرية في إمبراطورية المجانين لخطيب بدلة، منتديات ستارتايمز عبد الحليم محمد حسين، السخرية في أدب الجاحظ، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع، ليبيا، ط1، 1397هـ-1988م، ص6.
- ² عبد العزيز شرف، الأدب الفكاهي، الشركة المصرية العالمية للنشر-لونجمان، ط1، 1992، ص85.
- ³ جمال الدين ابن منظور، لسان العرب، تحقيق: عامر أحمد حيدر، مراجعة: عبد المنعم خليل إبراهيم، م3، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1، 1426هـ/2005م، ص329-330.
- ⁴ أدونيس، زمن الشعر، دار العودة، بيروت، ط1، 1972، ص28.
- ⁵ عبد الحكيم خرشوش، أسلوب التهمك في عيون البصائر، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة محمد خيضر بسكرة، 1437/1436هـ-2016/2015م، ص23.
- ⁶ نبيل راغب، الأدب الساخر، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، د ط، 2000، ص13.
- ⁷ شمسي واقف زاده، الأدب الساخر، أنواعه وتطوره مدى العصور الماضية، جامعة آزاد الإسلامية، بيشوا -إيران، ص101.
- ⁸ ينظر، مصطفى السيوفي، الأدب الضاحك، الدار الدولية للاستثمارات الثقافية-مصر، ط2008، ص17.
- ⁹ لوكيوس أبوليوس، الحمار الذهبي، أول رواية في تاريخ الإنسانية، ترجمة: أبو العيد دودو، نشر مشترك رابطة كتاب الاختلاف، الجزائر/الدار العربية للعلوم، بيروت، ص6.
- ¹⁰ سامية مشتوب، السخرية وتجلياتها في القصة القصيرة، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة مولود تيزي وزو، ص21، نقلاً عن العربي الزبيري، المثقفون الجزائريين والثورة، ص8.
- ¹¹ عامر مخلوف، مظاهر التجديد في القصة القصيرة الجزائرية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص29.
- ¹² مشتوب، مرجع سابق، نقلاً عن محمد بن قاسم، السخرية في الأدب الجزائري الحديث، ص79-83.
- ¹³ أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، ط3، الدار التونسية للنشر، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1985، ص93.
- ¹⁴ شمسي واقف زاده، مرجع سابق، ص105.
- ¹⁵ علاء الدين أحمد الغرابية، المفارقة في خطاب الأدب الساخر (أحمد حسن الزعيبي نموذجاً)، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، جامعة الزيتونة الأردنية الخاصة، 2014، ص1.
- ¹⁶ عبد العزيز شرف، مرجع سابق، ص115.
- ¹⁷ أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982، ص8.

- 19 أحمد حمدي، قراءة في سيرة أحمد رضا حوحو، موقع بن باديس، 12 جمادى الأولى 1438هـ/2017-2-9م
- 20 أبو القاسم سعد الله، مرجع سابق، ص93
- 21 أحمد رضا حوحو، نماذج بشرية، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، مصر، ص2013، ص10
- 22 المصدر نفسه، ص8
- 23 المصدر نفسه، ص15
- 24 المصدر نفسه، ص24
- نجية طهاري، بناء الشخصيات في مسرح أحمد رضا حوحو، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة الحاج
- 25 خيضر، باتنة، 1431-1432هـ/2010-2011م، ص175
- 26 أحمد رضا حوحو، مصدر سابق، ص129-121
- 27 ينظر، المرجع نفسه، ص213
- 28 المصدر نفسه، ص57
- 29 المصدر نفسه، ص59
- 30 المصدر نفسه، ص59
- 31 ينظر، المصدر نفسه، ص59
- 32 المصدر نفسه، ص57
- 33 المصدر نفسه، ص61
- 34 المصدر نفسه، ص61
- 35 المرجع نفسه، ص68، نقلا عن الطيب ولد العروسي، أعلام من الأدب الجزائري، ص79
- 36 المرجع نفسه، ص68، نقلا عن مولود الطيب، مع حمار الحكيم من جديد، ص3
- 37 عبد الله الركيبي، القصة الجزائرية القصيرة، ص68
- 38 أحمد رضا حوحو، مع حمار الحكيم، ص51
- 39 المصدر نفسه، ص38-42
- 40 المصدر نفسه، ص38
- 41 المصدر نفسه، ص39
- 42 المصدر نفسه، ص43
- 43 المصدر نفسه، ص39-40
- 44 المصدر نفسه، ص39
- إيمان طيشي، النزعة الساخرة عند السعيد بوطاجين، مذكرة لنيل شهادة الماجستير، جامعة قاصدي
- 45 مرياح، ورقلة، 2010-2011م، ص73
- 46 رضا حوحو، مصدر سابق، ص39
- 47 المصدر نفسه، ص41
- 48 المصدر نفسه، ص42
- 49 المصدر نفسه، ص40
- 50 المصدر نفسه، ص40